روسيا تلعب على واجهات مختلفة في ليبيا
ص4

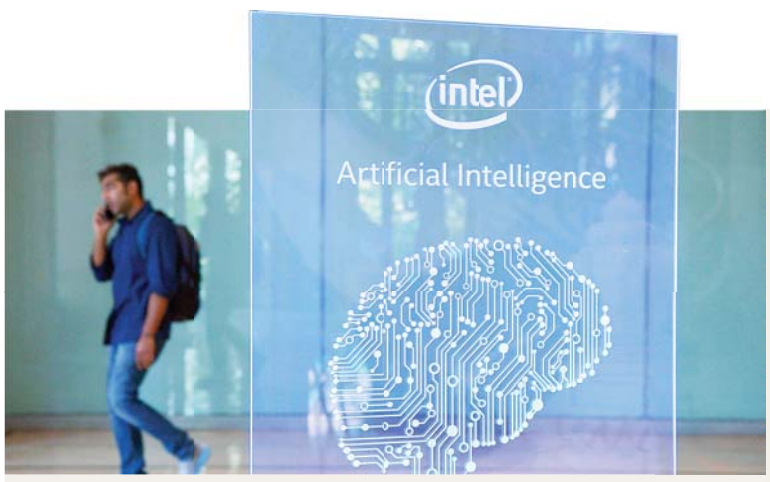

«الدكتور بيانات» يشخص المرض أسرع من الطبيب
ص17

لطيفة أخرباش

دبلوماسية متعددة المهام يختارها المغرب لرئاسة «الهاكا»
ص8

العرب

www.alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2018/12/30
22 ربيع الثاني 1440
السنة 41 العدد 11214
Sunday 30/12/2018
41st Year, Issue 11214

موعد عند الفرات: مؤشرات واضحة لتدخّل الحشد في سوريا

● الميليشيا العراقية تنتظر انسحاب ترامب للاندفاع داخل العمق السوري والالتقاء بقوات الأسد

❑ **دمشق** – فتح الانسحاب الأميركي من شرق الفرات المجال أمام تسابق قوى وميليشيات موالية لتركيا وإيران لملء الفراغ وتقوية النفوذ على الأراضي السورية. وعكس اللقاء الذي جمع بين الرئيس السوري بشار الأسد، السبت، وفالح الفياض قائد ميليشيا الحشد الشعبي سعيا محموما من إيران لتكون المستفيد الأكبر من قرار الانسحاب الذي أعلنه الرئيس الأميركي دونالد ترامب منذ أيام وتقطع الطريق أمام المساعي التركية.

يأتي هذا في الوقت الذي يجد فيه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان نفسه في وضع معقد، فمن ناحية هو مكبل بتفاهمات أستانة والتنسيق مع روسيا الذي يلزمه بالاعتراف بـ"وحدة الأراضي السورية"، ومن ناحية ثانية السعي للعب دور الشرطي الذي أوكله له ترامب والتورط في حرب مزدوجة ضد داعش والأكراد.

وذكرت وكالة الأنباء السورية (سانا) أن الرئيس السوري تلقى رسالة من رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي تمحورت حول استمرار التنسيق بينهما على الأصعدة كافة، وخاصة في ما يتعلق بمحاربة الإرهاب والتعاون القائم بهذا الخصوص، ولا سيما على الحدود بين البلدين.

وقالت مصادر عراقية لـ"العرب" إن زيارة الفياض، جاءت بعد اتصالات مستمرة على مدى الأيام الماضية بين مسؤولين أمنيين عراقيين ونظرائهم السوريين لبحث الترتيبات المشتركة لمرحلة ما بعد الانسحاب الأميركي.

واعتبر الخبير الأمني هشام الهاشمي في تصريح لـ"العرب" أن زيارة الفياض تحمل رسائل من بينها التطبيع الرسمي مع دمشق بدلا من الدبلوماسية المحافظة، والتحضير الأمني والعسكري لملء الفراغ بعد مرحلة الانسحاب الأميركي، والتنسيق لفتح الطريق البري تجاريا.

وواضح أن ميليشيا الحشد، التي تأتمر بأوامر إيرانية مباشرة، تنتظر أن تتوضّح تفاصيل الانسحاب الأميركي للاندفاع داخل العمق السوري وتلتقي بالقوات السورية عند الفرات، وهي الخطة التي انطلقت، الجمعة، بإعلان الجيش السوري دخوله مدينة منبج.

ولم يخف الحشد مسعاه لمثل هذا الدور، فقد أعلن منذ أيام جاهزيته للتعامل مع أي خطر ينتج عن تنفيذ قرار ترامب بسحب قوات بلاده من سوريا، مشددا على أن تلك الخطوة تهدف "إلى إفساح المجال لعناصر داعش بالتوغل في الأراضي العراقية".

لكن مراقبين عراقيين حذروا من أن دخول ميليشيا الحشد إلى الأراضي السورية ليس أمرا سهلا أو أنه لن تعترضه عراقيل، خاصة من القوات الروسية التي تدفع نحو سحب القوات الأجنبية وليس إغراق سوريا بميليشيات جديدة.

ولم تخف روسيا دعمها لإعلان القوات السورية الانتشار في مدينة منبج، لكن قد لا تقبل دخول انتشار إيراني واسع لخلافة الانسحاب الأميركي، خاصة أن هزيمة تنظيم داعش باتت وشيكة، كما أن خطوات الحل السياسي على قاعدة استمرار الأسد حصل حولها شبه توافق إقليمي-دولي، ما يعني أن وجود قوات جديدة سيكون عبئا على الحل السياسي، فضلا عن كونه يعيق الانسحاب الإيراني الذي بات أولوية قصوى لروسيا في ضوء الضغوط الإسرائيلية.

صرخة كردية.. فمن يستجيب

وتشير تقارير مختلفة إلى أن الصراع قد يحتدّ على مناطق سيطرة الأكراد ذات الموقع الاستراتيجي، خاصة أن روسيا لن تسمح لأي جهة بوضع يدها على منابع النفط والغاز في تلك المنطقة الاستراتيجية.

ووفقا لدراسة اقتصادية لـ"بي.بي.سي"، فإنّ قوات سوريا الديمقراطية تُسيطر على نحو 90 في المئة من الثروة النفطية بالإضافة إلى 45 في المئة من إنتاج الغاز في سوريا.

وفيما يعتبر لقاء الأسد بالفياض بمثابة ضوء أخضر للحشد للتدخل بشكل "شرعي" تماما مثل مقاتلي حزب الله والمستشارين الإيرانيين، فإن مثل هذه الخطوة ستزيد من الضغوط على تركيا التي تستمر بحشد قواتها في محيط المناطق الكردية.

وأعلن وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف، عقب محادثات أجراها مع نظيره التركي مولود جاويش أوغلو، أن موسكو وأنقرة اتفقتا، السبت، على تنسيق العمليات البريّة في سوريا بعد إعلان واشنطن الأسبوع الماضي قرارها بسحب قواتها.

ورغم الانسحاب، فإن واشنطن خططت لتلغيم المشهد في المناطق التي يسيطر عليها الأكراد، من خلال توكيل أردوغان بمهمة "شرطي المنطقة" لمحاربة داعش، وفق ما كشف عنه محتوى المكالمة المطولة التي جمعته بترامب بعيد الإعلان عن الانسحاب.

وقال مسؤول تركي لرويترز "سأله ترامب: إذا سحبنا قواتنا، هل بوسعكم القضاء على داعش؟". وقال إن أردوغان أجاب بأن القوات التركية قادرة على إنجاز المهمة.

وأبلغه ترامب على الفور "إذن عليكم القيام بذلك". وقال الرئيس الأميركي لمستشاره للأمن القومي جون بولتون في الاتصال "ابدأ العمل لسحب القوات الأميركية".

ويضغط قادة عسكريون أميركيون لأجل السماح للحلفاء الأكراد بالاحتفاظ بأسلحتهم الثقيلة لمواجهة الهجوم التركي.

وسيؤدي ترك الأسلحة والتي قد تشمل صواريخ مضادة للدبابات وعربات مدرعة وقذائف مورتر إلى طمأنة الحلفاء الأكراد على أنه لن يتم التخلي عنهم.

هشام الهاشمي
زيارة الفياض تهدف إلى التنسيق الأمني والعسكري

شبح الإرهاب يخيم على إسطنبول في رأس السنة

❑ **إسطنبول** – قالت مصادر أمنية تركية، إن 39 ألف عنصر أمن سينتشرون بإسطنبول ليلة رأس السنة الجديدة، لتأمين الاحتفالات بهذه المناسبة وسط تخوفات من هجمات تستهدف المدينة بسبب الدور العسكري التركي في سوريا، سواء ضد الأكراد أو ضد تنظيم داعش.

وفي مؤتمر صحافي، السبت، أوضح رئيس قسم الأمن العام بمديرية أمن إسطنبول، ظفر باي بابا، إن الإجراءات الأمنية المتخذة في إطار تأمين الاحتفالات، بدأت تطبق تدريجيا في جميع أنحاء المدينة اعتبارا من 21 ديسمبر الجاري.

وأشار إلى أن المديرية كلفت 39 ألف شرطي بتأمين احتفالات رأس السنة وتنقلات المواطنين، بينهم 17 ألفا سينتشرون في منطقة "بك أوغلو" التي يقع ضمنها شارع الاستقلال وميدان تقسيم السياحيان.

وتشمل التدابير الأمنية الميادين الكبرى، والأماكن التاريخية والسياحية، ومراكز التسوق والمطارات ومحطات النقل العام.

وتقول أوساط تركية إن هناك تخوفات كبرى من هجمات مفاجئة في أكبر المدن التركية بسبب مشاركة أنقرة في النزاع السوري، وهي التي لا تفتأ تتلقى تهديدات من أطراف كردية تركية أو سورية، فضلا عن هجمات متوقعة من تنظيم داعش.

ولا تزال المدينة تعاني من مخلفات صدمة الهجوم الذي نفذه مسلح أوزبكي موال لتنظيم داعش منذ سنتين، حيث فتح النار على المحتفلين بالعام الجديد في ملهى ليلي مكتظ على ساحل مضيق البوسفور ما أسفر عن العشرات من القتلى غالبيتهم من الأجانب.

وقبل عام من ذلك نفذ مهاجم آخر موال لداعش هجوما انتحاريا في إسطنبول أسفر عن مقتل سياح ألمان.

وتشير الأوساط التركية إلى أن المخاوف التركية من الهجمات ستتضاعف خلال رأس السنة لهذا العام بسبب التدخل في سوريا وأن الأكراد قد يبادرون إلى تنفيذ هجمات انتقامية ضد مواقع رسمية تركية، ولم تستبعد فرضية أن يعود تنظيم داعش إلى استهداف مصالح تركية بسبب الدور الذي تلعبه أنقرة شمال سوريا، وتحالفها مع روسيا لإخراج المتشددين من مدينة إدلب.

ويولي حزب العدالة والتنمية الحاكم أهمية خاصة للمدينة التي تحولت إلى مكان لتجميع قيادات جماعات الإسلام السياسي في المنطقة. وأعلن أردوغان أمس ترشيحه رئيس الوزراء السابق بن علي يلدريم لمنصب رئيس بلدية إسطنبول في مسعى لإبقاء المدينة ذات الثقل في يد الحزب بعد انتخابات 2019.

الحوثيون يستبدلون مقاتليهم في ميناء الحديدة بعناصر موالية

● المتمردون يشترطون فتح الممرات وتمرير المساعدات قبل إنهاء ترتيبات وقف إطلاق النار

صالح البيضاني

❑ **عدن** – قالت مصادر سياسية في الحكومة اليمنية لـ"العرب" إن فرص نجاح الإجراءات الخاصة بعمل لجنة إعادة الانتشار تتعرض للتهديد بالفشل جراء الانتقائية التي تتعامل بها الميليشيات الحوثية مع جوهر اتفاقات السويد.

وأشارت المصادر إلى أن الحوثيين رفضوا الالتزام بالبرنامج الزمني الذي قدمه الجنرال الهولندي باتريك كاميرت رئيس فريق المراقبين الدوليين في اجتماعات لجنة إعادة الانتشار المشتركة التي عقدت بمشاركة ممثلي الحكومة والمتمردين الحوثيين.

ووفقا لمصادر "العرب" فقد قفز الحوثيون على الفقرات الخاصة بتثبيت وقف إطلاق النار والانسحاب من ميناء ومدينة الحديدة ونزع الألغام الأرضية إلى البند الخاص بفتح ممرات وطرق آمنة لتدفق المساعدات الإنسانية من الحديدة إلى صنعاء.

وأكدت المصادر أن الحوثيين قاموا وبشكل أحادي ومن دون حضور ممثلي الحكومة اليمنية في لجنة إعادة الانتشار بإخلاء مسلحيهم القبليين من ميناء الحديدة وقاموا بتسليم الميناء لقوات من خفر السواحل وأخرى من الأمن العام تابعة لهم.

وتشير العديد من المصادر إلى اعتزام الأمم المتحدة تولي مهام الإشراف الإداري والمالي على ميناء الحديدة وتكليف مدير جديد للميناء، لكنها في الوقت نفسه لا تبدي الكثير من الاهتمام حيال الجهة الأمنية التي ستتولى مسؤولية أمن الميناء وهو الأمر الذي قد يهدد بنسف كافة الاتفاقات المبرمة بين الحكومة والمتمردين الحوثيين.

وكان ممثلو الحكومة اليمنية في لجنة إعادة الانتشار قد غادروا مناطق سيطرة الحوثيين في مدينة الحديدة بعد عقد ثلاثة اجتماعات مع ممثلي الحوثيين في أحد فنادق الحديدة، بحضور كاميرت، حيث لم يتم التوصل لآلية موحدة حول إعادة الانتشار، وإصرار الميليشيات الحوثية على التفسير الخاص بها لاتفاق السويد الذي تقول الحكومة إنه ينص على تسليم ميناء الحديدة لها دون سواها.

ويحاول الحوثيون إظهار خطوة الانسحاب من الميناء وتسليمه لعناصر أخرى موالية لهم بأنه تنازل يستوجب تقديم تنازلات مماثلة من قبل الحكومة اليمنية كما روج عضو الوفد التفاوضي الحوثي سليم مغلس. وقال مغلس في منشور له على فيسبوك "نتمنى أن يقابل الطرف الآخر خطوتنا في إعادة الانتشار من ميناء الحديدة بخطوة جادة مماثلة". وأضاف "كان لدى الطرفين هاجس حول الجهة التي ستبدأ بتنفيذ اتفاق السويد، وقمنا بكسر هذا الهاجس بخطوة إعادة الانتشار".

ويسعى الحوثيون لتعزيز تواجدهم الأمني والعسكري في مدينة الحديدة وتكرار سيناريو ميناء الحديدة في ما يتعلق بإعادة الانتشار وخصوصا أن تقارير إعلامية قد كشفت عن توجيههم عناصر مسلحة بارتداء الزي الرسمي لوزارة الداخلية.

ونوه مراقبون يمنيون إلى تفاقم الخلافات مع اقتراب المواعيد المخصصة لإعادة الانتشار في ظل رفض الحوثيين تسليم أي من المناطق للحكومة، والسعي لاستثمار الوقت لفرض سياسة الأمر الواقع على الأرض.

وشكك الباحث السياسي اليمني كمال السلامي في تصريح لـ"العرب" في نية الحوثيين لتنفيذ اتفاق الانسحاب من الحديدة وموانئها، مشيرا إلى أن كل الإجراءات التي سيتخذونها ما هي إلا إجراءات التفافية، لمنح أنفسهم شرعية السيطرة على المدينة.

تركيع لبنان
خيرالله خيرالله
ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

غموض مصير بوتفليقة يزيد متاعب الجزائريين

الجزائر: عام الانقلاب غير المعلن على الدستور والتشريعات

لم يكن عام 2018 الذي يشارف على النهاية سهلا على الجزائريين، بسبب تراجع الاقتصاد وما رافقه من تردّ للأوضاع المعيشية، أمام مخاوف من أن يضع الغموض حول مصير الرئيس المريض عبدالعزيز بوتفليقة وضبابية المشهد السياسي البلاد في حالة من التخبط غير المسبوق.

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – رغم ما علق من آمال على الأنفاس الأخيرة من العام 2018، ليكون منصة لمرحلة جديدة في مستقبل البلاد، إلا أن الخيبة التي انتهت إليها انتظارات الجزائريين أكدت أنه سينقضي كما انقضت باقي السنوات الأخيرة، مع منسوب زائد من اليأس والاحتقان، واللحظة الفارقة التي انتظرها الجميع من بوتفليقة، ليخلد نفسه وينقذ البلاد من تخبط غير مسبوق لم تحن بعد.

وقد تضاربت مشاعر الجزائريين، الخميس الماضي، بين حزن على ذلك الشاب عياش محجوبي الذي قضى في بئر ارتوازية (بئر عميقة جدا) في بلدة الحوامد بمحافظة المسيلة، وبين أمل علق على اجتماع مجلس وزراء، أحيط بكثير من الجدل والتكهنات، حول إصداره لقرارات هامة تتعلق بمستقبل البلاد، غير أن الخيبة كانت كبيرة، فلا شيء تحقق إلا بعض الطقوس الروتينية.

وحتى نكهة الاحتفال بالعام الجديد لدى الجزائريين، اختفت من الواجهة، وباستثناء بعض الأثرياء والأوفياء لتلك اللحظات التي تعودوا على قضائها خارج الوطن، فإن مسحة الحزن واليأس هي الرداء الذي يلتف به الجميع، وسيحفر في ذاكرتهم، مأساة الشاب عياش، الذي كان يرفض نزع قبعة زي الخدمة الوطنية من رأسه، احتراما للوطن، أنه قضى ثمانية أيام بلياليها في بئر ارتوازية، وبين أمل الحياة ومصير الموت، وتضامن الجزائريين، عجز الوطن عن إنقاذه.

ووشح العام 2018 صدره، بدموع ومآسي العشرات من العائلات الجزائرية، المكلومة بالنهاية المأساوية لأبنائها في عرض البحر المتوسط، بعد فشل مغامرتهم تحت أسباب مختلفة، في تحقيق حلم المرور إلى الضفة المقابلة، والهروب من وطن لم يعد يحضنهم ويحن عليهم، ولا يعتبرهم إلا مجرد أرقام في لوائح الاستحقاقات الانتخابية، أو الخدمة العسكرية.

> سيتذكر الجزائريون هذا العام جيدا، قياسا بما حفل به من حراك سياسي وصراعات، بدأت بفضيحة شحنة الكوكايين المحجوزة في ميناء وهران في مايو الماضي، وينتظر أن ينتهي إلى تحول سياسي غير مسبوق في مسار البلاد منذ استقلالها في 1962

ومن ساحل ضاحية "لابوانت" بالعاصمة، إلى ساحل الشلف الذي تلقف في بحر هذا الأسبوع جثثا بالعشرات فلتت من أسماك القرش، ورمتها أمواج البحر، والعشرات من الحوادث المماثلة في مدن الساحل الجزائري، تقف العشرات من الأمهات والأهالي على الشواطئ وقد شخصت أبصارهم في أفق لا ينتهي، أملا في أن تقذف موجة من أمواج البحر، ابنا أو قريبا، أعادته الأقدار جثة هامدة.

وطغت أخبار وشائعات الهجرة السرية على المقاهي والساحات العمومية في الأحياء الشعبية بالعاصمة، وكبريات المدن الجزائرية، وظهرت صفحات على شبكات التواصل الاجتماعي، تهتم وتتداول أخبار المغامرات البحرية، منافسة بذلك وسائل الإعلام المتفرغة للشأن السياسي ولجدل الاستحقاق الرئاسي.

وتبقى المأساة عميقة والجرح غائر، فالوطن الذي تمسك به أبناؤه في ذروة العشرية الحمراء، لما كانت الدماء تتدفق والجثث تترامى، انتهى إلى هروب غير مسبوق لشبابه وأبنائه، الذين صاروا يفضلون المغامرة فوق قوارب الخشب، على البقاء رهائن لدى ممارسات الإقصاء والتهميش والظلم.

ورغم ما لتفاقم الظاهرة بشكل لافت في السنوات الأخيرة، من دلالات سياسية تدين السلطة والحكومات المتعاقبة التي فشلت في احتضان أبنائها والتكفل بهم اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، فإن إحصائيات المنظمات الحقوقية، جاءت صادمة ومؤثرة.

وكشفت الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان، عن تواجد نحو 20 ألف جزائري في معتقلات التوقيف الأوروبية، ووصول أربعة آلاف شاب إلى السواحل الإسبانية في العشرة أشهر الأخيرة، وتسجيل هجرة عشرة آلاف في نفس المدة، ووفاة العشرات في البرد والجوع في الأحراش والغابات في رحلات الانطلاق من اليونان لبلوغ عواصم الشمال المتوسطي.

ولا زالت السلطة تتملص من مسؤوليتها السياسية والأخلاقية على أبنائها وعلى سمعة البلاد التي تديرها، ويبقى خطاب المؤامرة طاغيا على تبريرات الجهات الوصية لظاهرة الهجرة، التي تنامت بشكل مذهل في السنوات الأخيرة، ولم تمنعها حتى التقلبات الجوية في هذا الفصل البارد، فبدل الاعتراف بالمسؤولية وبالفشل، والنزول من الشجرة لمواساة الأهالي، يتم ترصد وتطويق تظاهرات الشباب الغاضب على تعاطي الحكومة مع الظاهرة.

وبالموازاة مع المستجدات المؤلمة لظاهرة الهجرة السرية، التي تعززت بعائلات بكاملها، وبنساء وأطفال ومسنين انضموا إلى قوافل الشباب، تبقى الأنظار مشدودة إلى ما سيفضي إليه الجدل القائم حول الاستحقاق الرئاسي، ومستقبل السلطة في البلاد.

وسيبقى الجزائريون يتذكرون هذا العام جيدا، قياسا بما حفل به من حراك سياسي وصراعات قوية، بدأت بفضيحة شحنة الكوكايين المحجوزة في ميناء وهران خلال نهاية شهر مايو الماضي، وينتظر أن ينتهي إلى تحول سياسي غير مسبوق في مسار البلاد منذ استقلالها في 1962.

وتفاجأ الرأي العام المحلي، المنغمس آنذاك في الطقوس الرمضانية، بأخبار الفضيحة التي أفضت إلى زلزال عميق في مؤسسات الدولة، بسبب ضلوع شخصيات وأقارب وأبناء مسؤولين سامين من مختلف المؤسسات الرسمية كالقضاء والإدارة والأمن والجيش، وإلى رأس مدبرة (تاجر اللحوم كمال شيخي) أوهمت الناس بالأعمال الخيرية وتشييد المساجد.

وفتحت الحادثة تحوّلات مفصلية في أجهزة الدولة، بدأت بتنحية المدير العام للأمن الوطني الجنرال عبدالغني هامل، المحسوب على جناح الرئاسة، وسلسلة من التغييرات العميقة والهامة في المؤسستين الأمنية والعسكرية، بدأت في يونيو الماضي، ومست جنرالات وضباطا سامين وقادة نواح عسكرية ومديرين مركزيين في وزارة الدفاع.

وفيما كان نائب وزير الدفاع الوطني وقائد أركان الجيش الجنرال أحمد قايد صالح، يبرر معاركه بالجدارة والكفاءة في التداول على مناصب المسؤولية، تضاربت التأويلات والقراءات للأبعاد والدلالات للحركة العميقة في صفوف المؤسسة العسكرية، خاصة وأنها تزامنت مع بداية ترتيبات الأجنحة النافذة في السلطة لخوض الاستحقاق الرئاسي.

وجاءت قضية إحالة خمسة من كبار جنرالات الجيش على السجن في شهر أكتوبر الماضي، بتهم الفساد واستغلال الوظيفة، وإطلاق سراحهم بعد أسابيع، لتؤشر على وصول الصراع بين أجنحة السلطة مرحلة متقدمة، خاصة وأن مصدر قرار الإيداع وإطلاق السراح يبقى مجهولا لحدّ الآن، ولو نسب إلى الرئيس بوتفليقة، الذي يمرّ بحالة صحية قاهرة.

وتشير موجة التوقيفات والاعتقالات التي طالت عددا من الإعلاميين والفنانين والمدونين والناشطين، على شبكات التواصل الاجتماعي

قلق من المستقبل

خلال الأسابيع الأخيرة، أحد تجليات الأزمة السياسية التي تتخبط فيها البلاد، وانعكاس ذلك على وضعية الحريات الأساسية في البلاد، وهو ما كرّسه توجه الأذرع السياسية للسلطة، إلى انتهاج أسلوب خرق الدستور وانتهاك التشريعات والنصوص الناظمة لمؤسسات الدولة، والتأسيس لما أسماه رئيس الوزراء وأمين عام التجمع الوطني الديمقراطي أحمد أويحيى، بـ"سياسة الأمر الواقع"، لتبرير الانقلاب على رئيس البرلمان المبعد سعيد بوحجة، في أكتوبر الماضي.

وأعقبت ذلك تنحية أمين عام حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم جمال ولد عباس، منتصف الشهر الماضي، وحل مؤسسات وهياكل الحزب، وتعويضه بالرئيس الجديد للبرلمان معاذ بوشارب، كمنسق عام له.

وينتظر أن يبصم العام 2018 قبل أن ينقضي، على تحول غير مسبوق في مسار البلاد، يقوم على انقلاب غير معلن على وثيقة الدستور، فكل الخيارات المطروحة لتجاوز أزمة الاستحقاق الرئاسي، تقود إلى انتهاك لدستور لم يمض على تعديله إلا سنتين فقط.

المغرب: انتصارات دبلوماسية خارجيا وتحديات أمنية واجتماعية داخليا

❑ **الرباط** – شهد المغرب خلال عام 2018 الكثير من الأحداث على الصعيد السياسي والاقتصادي، ورغم أنها اتسمت بالإيجابية لكن مازالت أمام المملكة تحديات تستوجب أن تتخطاها خاصة على المستوى الأمني كحال بقية دول المنطقة والعالم.

وقبيل طي صفحة هذا العام حاول الإرهاب أن يزعزع ثقة المغاربة في اعتدالهم وتعايشهم لكنه فشل. وعلى سفح جبل توبقال قتل متطرفون سائحتين صديقتين من النرويج والدنمارك غدرا. وأظهرت هذه الحادثة كيف أن الشعب المغربي بمؤسساته يلفظ قواميس الإرهاب ويستهجن التطرف بكل أشكاله ويستوعب في الأخير إرباكاته العابرة للحدود.

وقال وزير الداخلية المغربي عبدالوافي لفتيت إن "الأفراد الواقفين وراء الحادث تشبعوا بأفكار فردية متطرفة"، ووصفهم بـ"الذئاب المنفردة التي تتحرك في الظل".

وأكد لفتيت أن هذه الحادثة حصلت بوسائل بدائية متاحة للعموم وغير متوقعة، وبرهنت أن الإرهاب لا وطن له ويمكن أن يضرب في أي وقت من الأوقات مهما بلغ وعي الدولة والمجتمع به، مشددا على أن أول خطوة لمواجهته هي وقاية مجتمعنا من المخاطر، ومنع استغلال الدين لتحقيق أغراض دنيئة، بعيدا عن قيمه السمحة.

ويبذل المغرب جهودا حثيثة للقضاء على هذه الظاهرة وتطويقها، وتعمل المؤسسات الأمنية بصفة متواصلة لكشف وتتبع وتطويق أي عملية في طور الإنجاز، وذلك بحسب شهادات لمنظمات دولية.

وتشير الإحصائيات التي قدمها المكتب المركزي للأبحاث القضائية، المعروف اختصارا بـ"البسيج"، إلى أن المغرب فكك 57 خلية إرهابية، بما في ذلك 8 خلايا خلال العام الجاري، ووصل العدد الإجمالي للخلايا التي تم تفكيكها في المغرب منذ عام 2002 إلى الآن 183 خلية، سعت إلى القيام بأعمال إرهابية في المملكة، كما حالت تدخلات "مكتب الخيام" الناجحة دون وقوع 361 عملا تخريبيا. ويجمع خبراء على أن المقاربة الأمنية لا غنى عنها لكنها ليست الوحيدة لإنهاك التنظيمات المتطرفة، بل لا بد من الاستثمار في المعرفة الدينية بتخليص المقررات من كل ما يمكن تأويله بصفة خاطئة ومشوّهة لتعاليم الإسلام وقيمه المعتدلة. وتبعا لذلك ولحماية أحد مصادر الشريعة من أي تعسف في التأويل خدمة لأجندات متطرفة، أطلق العاهل المغربي الملك محمد السادس في نوفمبر الماضي "الدروس الحديثية" لإذاعة محمد السادس للقرآن الكريم، حول الحديث الشريف.

وعلى صعيد اجتماعي عرف المغرب خلال هذه السنة الآيلة للأفول عدة احتجاجات شعبية تطالب بتحسين الأوضاع الاجتماعية وتوفير فرص عمل وتنمية عادلة. ودفعت الأوضاع الاجتماعية الصعبة الكثير من الشباب إلى الهجرة، ورغم حجم التحديات الاجتماعية تعمل المملكة في مجالات متعددة لاستيعاب أكبر عدد ممكن من حاملي الشهادات، حيث تنبه أصحاب القرار إلى أن المغرب يحتاج إلى اليد الماهرة والعقول المكونة تقنيا وعلميا، وعليه لا بد من توفير المجال لاستثمار هؤلاء والحؤول دون هجرتهم.

وأكد وزير الصناعة والاستثمار والتجارة والاقتصاد الرقمي المغربي حفيظ العلمي، تلقيه تعليمات ملكية صارمة من أجل تأهيل الشباب، مؤكدا بقوله "سنضاعف مجهوداتنا للنهوض بوضع الشباب". وسبق أن حمل العاهل المغربي مسؤولية الوضع الاجتماعي إلى تقاعس الحكومة في تدبير الموارد اللازمة لاستيعاب هذه الشريحة من المجتمع في سوق العمل وتأهيلها علميا.

وتراجعت الثقة في الأحزاب المغربية بشكل خطير هذا العام ما أثر سلبا في دورها الوسائطي بين المجتمع والدولة، ولهذا دعا الملك محمد السادس أمام أعضاء مجلسي البرلمان، بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثالثة من الولاية التشريعية العاشرة، إلى الرفع من الدعم العمومي للأحزاب، مع شرط تخصيص جزء منه لفائدة الكفاءات التي توظفها، في مجالات التفكير والتحليل والابتكار.

وقد ظهر هذا التهرؤ مركزيا ومحليا عندما اندلعت الاحتجاجات الاجتماعية بعدة مناطق، فقد عرفت سنة 2018 استقالة مفاجئة لرئيس حزب الأصالة والمعاصرة المعارض إلياس العماري، ورغم انتخاب قيادة جديدة لا يزال الحزب يعاني أزمة داخلية وتيها في التعاطي مع المرحلة المقبلة بكل تحدياتها ومنها سباق الانتخابات المقبلة.

ويعيش حزب العدالة والتنمية (إسلامي) الذي يقود الحكومة بدوره مرحلة اضطراب داخلي، حيث فشلت كل محاولات الصلح في جلسات حوار بين تيارين متناقضين في الرؤى والتوجهات.

وطرحت محاكمة عبدالعالي حامي الدين، القيادي بالحزب على خلفية جريمة قتله أحد اليساريين بفاس في العام 1993، عدة تساؤلات حول اختيارات الحزب بين الانتماء إلى مشروع الدولة والمجتمع أو الانتصار لرؤية حزبية ضيقة مهما كانت الدواعي والأسباب، حيث عبر حزب العدالة والتنمية عن دعمه لحامي الدين، فيما وصف زعيمه ورئيس الوزراء سعدالدين العثماني قرار قاضي التحقيق بإعادة المحاكمة بأنه "غير مفهوم".

ومثل هذا العام بالنسبة لحزب التجمع الوطني للأحرار المشارك في الحكومة امتحانا صعبا له، إذ أثرت في توازن أدائه السياسي حملة المقاطعة الشعبية لثلاثة منتجات استهلاكية من ضمنها أفريقيا غاز التي يملكها عزيز أخنوش رئيس الحزب. واعتبر مراقبون أن المستقبل السياسي للحزب تراجع نتيجة المقاطعة.

مغاربة بصوت واحد: لا للإرهاب

وفي ما يخص قضية الصحراء المغربية، فقد شهدت مستجدات جديدة قبيل نهاية السنة الجارية، حيث تفطن المجتمع الدولي إلى ضرورة إدماج الجزائر في أي عملية سياسية باعتبارها طرفا في الملف، وهذا ما تم عندما استضافت جنيف السويسرية مائدة مستديرة جمعت المغرب والجزائر وموريتانيا إلى جانب جبهة بوليساريو الانفصالية للتباحث كمقدمة تشجيعية من طرف الأمم المتحدة لإحياء المفاوضات.

وحمل العام 2018 مبادرة مغربية لحلحلة العلاقات المتأزمة مع الجزائر إذ فاجأ العاهل المغربي قادة الجزائر بدعوة إلى حوار مفتوح دون حواجز ولا طابوهات، حوار يمتلك مقومات اللقاءات الحاسمة برؤية وأدوات سياسية واقعية لمغالبة مخلفات الماضي والذهاب بعيدا نحو مستقبل الاندماج والتضامن الحقيقي، في حين لم تبد الجزائر استعداداها لهذه الخطوة.

وعلى مستوى تشريعي قامت المملكة بإعادة هيكلة مؤسسات دستورية بإمكانها العمل على امتصاص الصدمات واقتراح الحلول ووقف أي نزيف يمسّ الجسم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والحقوقي المغربي، كمؤسسة الوسيط ومجلس المنافسة والمجلس الاجتماعي والاقتصادي والبيئي والمجلس الوطني لحقوق الإنسان. كما شكل إطلاق قمر اصطناعي ثان لدواع أمنية واستراتيجية مع تدشين أول قطار فائق السرعة الأول في المغرب والعديد من المشاريع الاستثمارية المهمة اقتصاديا وتجاريا، نقطة إيجابية في سجل السنة التي شارفت على الانتهاء.

الحكومة المصرية تطوّق تداعيات حادث الأهرامات

الهجوم محاولة من جماعات متشددة تلفظ أنفاسها بسبب الحصار الأمني

تحاول الحكومة المصرية استباق العواقب الناجمة عن الهجوم الإرهابي الأخير، الذي حدث بمنطقة الأهرامات بالجيزة القريبة من القاهرة وراح ضحيته أربعة أشخاص. وتسعى الحكومة إلى احتواء الأضرار السياسية والأمنية والاقتصادية، عبر سلسلة إجراءات تهدف إلى التأكيد على أن البلاد آمنة وأن الحادث عابر، ولا ينم عن وجود خلل في الإجراءات المتبعة.

محمود زكي

❏ **القاهرة** – أعلنت الحكومة المصرية، السبت، عن مقتل 40 إرهابيا، إثر تبادل إطلاق نار مع جماعات إرهابية في غربي العاصمة القاهرة وشمال شرقي البلاد. وجاء الإعلان بعد تفجير وقع قرب منطقة الأهرامات، واستهدف حافلة سياحية، كانت تقل 14 سائحا من فيتنام، وأسفر عن مقتل 4 أشخاص، بينهم مرشد سياحي مصري و3 من السياح، وإصابة 11 آخرين.

وأوضحت الشرطة المصرية أنه تم قتل المسلحين، في ساعة مبكرة من صباح السبت، خلال مداهمتها لثلاثة أماكن في نطاق محافظتي الجيزة وشمال سيناء، تابعة لخلايا كانت تخطط لتنفيذ سلسلة من العمليات الإرهابية، ضد مؤسسات الدولة ومقومات صناعة السياحة ودور عبادة مسيحية، قبل أيام من بدء احتفالات رأس السنة.

ووجدت الحكومة المصرية نفسها في موقف حرج، فالحادث ربما يؤثر على سلسلة الإجراءات الواعدة في ملف الإصلاح الاقتصادي وإنعاش السياحة، لأنه الأول منذ أكثر من عام، ويكشف عن عدم وجود استقرار كامل. وركزت التصورات الحكومية على نفي وجود قصور أمني، وحصرت التفجير في أنه محاولة بائسة لجماعات متشددة تلفظ أنفاسها الأخيرة، بسبب الحصار الأمني، وعندما أخفقت في هزّ أركان الدولة الرئيسية، من خلال استهداف معسكرات الجيش والشرطة والشخصيات القضائية، عادت إلى الأهداف التي قد تحدث دويا خارجيا، يشي بأن الحكومة المصرية لم تتعاف أمنيا.

> قراءات عديدة تقول إن هجوم الأهرامات استهدف سياحا أجانب بعد أن أضحى المتطرفون عاجزون عن مهاجمة المناطق الأمنية والدينية كما في السابق

إرهاب يائس

ورغم عدم وجود علاقة مباشرة بين مقتل 40 إرهابيا وهجوم الأهرامات، إلا أن غالبية القتلى ينتمون إلى تنظيمات إسلامية مختلفة، لكن يبدو الإعلان عن توقيت العملية الأمنية الغرض منها "إشاعة شعور عام بالرضا وتوفير قدر من التهدئة المقصودة، لتخفيف عواقب تأثير الهجوم الإرهابي مستقبلا على ملفي السياحة والاستثمار الأجنبي".

وأكد مجدي البسيوني مساعد وزير الداخلية الأسبق لـ"العرب"، أن الإعلان عن القضاء على عدد من الأوكار الإرهابية، السبت، هدفه تشتيت العناصر المتطرفة وإخماد الأمل الذي يراودها بفعل هذا الحادث، كي لا تستطيع استجماع قواها، وقطع الطريق على قيامها بحوادث إرهابية جديدة.

وتعرض عدد من دور العبادة المسيحية، قبيل أعياد الميلاد، السنوات الماضية لعمليات تفجير طالت البعض من الكنائس في القاهرة والإسكندرية وطنطا، وهو ما تخشى تكراره حاليا أجهزة الأمن والتي أمعنت في إجراءاتها لمنع حدوث انتكاسة في ما تحقق من تقدم على صعيدي الأمن والاستقرار.

ويريد جهاز الشرطة البرهنة على أن الأوضاع الأمنية تحت السيطرة، وحادث الأهرامات لن تكون له تأثيرات على مستوى التشكيك في كفاءة التواجد الأمني في الشارع، والتي تزايدت أخيرا. وأضاف البسيوني أن حادث الجيزة "لا يفزع على المستوى الأمني، لأن توقيت التنفيذ جاء متزامنا (تقريبا) مع حوادث إرهابية تقع في دول أوروبية عدة"، بمعنى أن ما يجري في مصر لا يقتصر عليها.

وشدد على أن تقلص العمليات الإرهابية في مصر في الفترة الماضية يبرهن على أن خطر الخلايا الإرهابية قارب على الانتهاء.

ولم تعلن أي من الجماعات الإرهابية مسؤوليتها عن الحادث، حتى ظهر، السبت، لكن البعض من المراقبين قالوا لـ"العرب"، إن "طريقة تنفيذ الهجوم تتشابه مع العمليات التي تتباناها تنظيمات صغيرة تابعة لجماعة الإخوان وذيولها".

وقال منير أديب، الخبير في شؤون التنظيمات الإرهابية، إن بدائية الحادث الإرهابي ومحدودية الأضرار التي نتجت عنه مقارنة بحجم الخسائر البشرية والمادية وطبيعة الأماكن المستهدفة في عمليات مماثلة جرت في القاهرة سابقا وتورط فيها تنظيم داعش، تشير إلى تورط حركتي "حسم" أو "لواء الثورة"، التابعتين لجماعة الإخوان المسلمين. ويبدو أن من وقفوا خلف حادث الأهرامات يريدون تذكير المصريين بفترة قاسية خلال تسعينات القرن الماضي، كانت فيها السياحة هدفا رئيسيا للإرهابيين.

وأضاف أديب لـ"العرب"، أن رد قوات الأمن السريع على العملية مع عدم التأكيد على تورط العناصر التي تمت تصفيتها، يبرهن أن الأجهزة الأمنية تمتلك معلومات بشأن تحركات هؤلاء. وأشار إلى أن القاهرة الكبرى (القاهرة والجيزة والقليوبية)، تعاني من انتشار عدد من الخلايا الإرهابية النشطة التابعة للإخوان، وليس لتنظيم داعش الذي فقد غالبية قوته بعد العملية الشاملة التي انطلقت بسيناء في فبراير، لافتا إلى أن هذه العناصر لا تعمل بشكل منظم وتغلب عليها التصرفات البدائية والعشوائية ما يصعب التعامل معها.

ويعزز غياب هوية مرتكب الحادث تبريرات الحكومة التي تقول مصادر قريبة منها، إن الهجوم استهدف سياحا أجانب بعد أن أضحى المتطرفون عاجزون عن مهاجمة المناطق الأمنية والدينية، كما في السابق.

ويحمل اختيار الهجوم على فوج سياحي دلالات متعددة، أهمها بحث الجهاديين على مناطق ونقاط بديلة للهجوم على المراكز الأمنية والكنائس لتعزيز التأثير السلبي، كما أنها تعد ضربة قوية لقطاع السياحة الذي بدأ مرحلة التعافي مؤخرا.

يونيفيل والجيش اللبناني يعالجان خرق القرار الدولي 1701

❏ **بيروت** – أكدت القوات الدولية العاملة في جنوب لبنان "يونيفيل" السبت، أنها تعمل بالتنسيق مع القوات المسلحة اللبنانية لاتخاذ الخطوات المناسبة لمعالجة انتهاك قرار مجلس الأمن الدولي 1701، الذي أنهى النزاع بين إسرائيل وحزب الله في 2006.

وقالت "يونيفيل" في بيان نشرته وكالة الأنباء اللبنانية الرسمية "الوكالة الوطنية للإعلام"، إنه "في 26 و27 ديسمبر الجاري، وفي سياق التحقيق الجاري حول وجود أنفاق على الخط الأزرق، قامت يونيفيل مع القوات المسلحة اللبنانية بمسح مبنى لمعمل باطون قديم في الجزء الجنوبي من كفركلا، وذلك بعد أن لاحظت وجود إسمنت سائل يتدفق من المبنى داخل هذه المنشأة".

وأضافت أنه "تم ضخ السائل الذي طفا على الجانب اللبناني من قبل الجيش الإسرائيلي من خلال فتحة تم حفرها في طرف نفق، من ناحيتها كانت يونيفيل قد أكدت من قبل بشكل مستقل أنه يعبر الخط الأزرق في نفس محيط المنطقة".

وتابعت "بناء على هذه الملاحظة، يمكن ليونيفيل أن تؤكد أن معمل الباطون القديم في كفركلا فيه فتحة على النفق الذي يعبر الخط الأزرق".

وأعلنت أنه "في 26 ديسمبر الجاري، أبلغ الجيش الإسرائيلي يونيفيل عن عملية أخرى استخدم فيها متفجرات في نفق جنوب عيتا الشعب (جنوب لبنان)."

وقالت إن "هذا النفق الذي حدده الجيش الإسرائيلي لم يُبلغ عنه من قبل إلى يونيفيل، وبالتالي لم يتم التحقق من وجوده بشكل مستقل من قبل يونيفيل".

وأضافت أنه "في 27 ديسمبر الجاري، أجرت يونيفيل تقييما لما بعد الانفجار ولاحظت وجود حفرة في المنطقة، وتعمل يونيفيل مع القوات المسلحة اللبنانية على تقييم أي ضرر ناتج عن الانفجار".

وأشارت إلى أنها "تواصل العمل مع الأطراف لضمان تنسيق جميع الأنشطة في المناطق الحساسة حسب الأصول، واحترام الخط الأزرق بالكامل من الطرفين، ومساعدة الأطراف على الوفاء بالتزاماتها تجاه وقف الأعمال العدائية بموجب القرار 1701".

وكان الجيش الإسرائيلي قد أعلن مؤخرا أنه رصد أنفاقا لـ"حزب الله" اللبناني تسمح بالتسلل من لبنان إلى أراضي إسرائيل. وباشرت إسرائيل القيام بأنشطة جنوب الخط الأزرق للبحث عما يشتبه في أنها أنفاق، في عملية أطلقت عليها اسم عملية "درع الشمال".

والأسبوع الماضي، قام الجيش الإسرائيلي باستكمال تدمير أنفاق حزب الله، حيث اعتبر مراقبون أن الإعلان عن تدمير هذه الأنفاق مؤشر عن قرب انتهاء عملية درع الشمال، التي أثارت قلقا واضحا في ظل خشية من تطورها إلى مواجهة بين حزب الله وإسرائيل.

إيران تزيد نفقات الحرس الثوري في موازنة العام القادم

❏ **طهران** – رفعت الحكومة الإيرانية الدعم المالي الموجه لسداد نفقات الحرس الثوري الإيراني في مشروع موازنة العام القادم، لكنها بالمقابل خفّضت مخصصات وزارة الدفاع، في خطوة تأتي لتعزز أهمية الدور الموكول لهذا الجهاز خاصة في تنفيذ أجندة إيران في الخارج في ظل أزمة اقتصادية تعيشها البلاد وفرضتها العقوبات الأميركية.

وأشارت تقارير إعلامية محلية إلى ارتفاع حصة الحرس الثوري في موازنة 2019، إلى 250 تريليون ريال (حوالي 6 مليارات دولار) بعد أن كانت 202 تريليون (حوالي 4.8 مليارات دولار) في 2018، ويعني ذلك زيادة بنسبة 25 بالمئة.

وذكرت وسائل إعلام إيرانية عبر مواقعها الإلكترونية، أن مخصصات الإنفاق الدفاعي كانت 713 تريليون ريال (حوالي 17 مليار دولار) خلال العام 2018، وانخفضت إلى النصف في موازنة 2019.

والثلاثاء الماضي، قدم الرئيس الإيراني حسن روحاني لائحة الموازنة العامة للعام الهجري الشمسي القادم (1398) إلى البرلمان بقيمة 4700 تريليون ريال (حوالي 110 مليارات دولار). وتبدأ السنة المالية في إيران بتاريخ 21 مارس من كل عام، حتى 20 من الشهر ذاته للعام التالي له، وفق قانون الموازنة. وبلغ إجمالي موازنة إيران 104 مليارات دولار، لعام 2018.

والحرس الثوري هو فرع من فروع القوات المسلحة الإيرانية التي تأسست بعد ثورة 1979. وتعهد لهذا الجهاز إدارة العمليات الإيرانية في الخارج تنفيذا لمشاريعها التوسعية والتخريبية في بلدان عديدة من العالم وعلى رأسها المنطقة العربية.

وتتهم إيران بالتدخل في الشأن الداخلي للعديد من البلدان العربية التي تشهد توترات أمنية وسياسية وصراعات مثل سوريا ولبنان واليمن والعراق، كما أنها تحاول إشاعة الفوضى في بلدان أخرى تعيش استقرارا مثل البحرين.

والأسبوع الماضي، بث التلفزيون الإيراني الرسمي مشاهد وصورا لمناورات نفذها الحرس الثوري الإيراني في مياه خليج العرب. وتزامنت تلك المناورات مع تصاعد التوتر بين طهران وواشنطن على خلفية إعادة فرض الولايات المتحدة للعقوبات على إيران بسبب برنامجها النووي، وكانت حاملة طائرات أميركية قد دخلت إلى الممر الملاحي في الخليج قبل يوم من المناورات الإيرانية.

وعرض التلفزيون لقطات لقوات برمائية تهبط في جزيرة قشم الإيرانية بالخليج خلال التدريبات التي شاركت فيها أيضا قطع بحرية وطائرات هليكوبتر وطائرات مسيرة وراجمات صواريخ ووحدات من الكوماندوز.

وفي تصريح نقلته وكالة الأنباء الإيرانية، قال القائد العام للحرس الثوري الميجر جنرال محمد علي جعفري "نأمل من خلال هذه المناورات أن يكون الأعداء قد أدركوا أكثر من ذي قبل مدى قدراتنا المدمرة في مواجهة إجراءاتهم".

وقشم هي أكبر جزر الخليج وتقع بالقرب من مضيق هرمز الذي يمر من خلاله ثلث النفط العالمي المحمول بحرا. وكان مسؤولون إيرانيون قد هددوا بتعطيل شحن النفط عبر هذا المضيق إذا ما أصرت واشنطن على المضي قدما في وقف صادرات النفط الإيرانية في إطار العقوبات الأميركية على طهران.

وإيران متورطة في حالة الفوضى وعدم الاستقرار والطائفية التي يغرق فيها العراق من خلالها عدد من الأحزاب العراقية والميليشيات الشيعية الموالية لها. كما أن دعمها لجماعة حزب الله في لبنان جعله حزبا مسلحا في بلد تمزقه الطائفية ويعيش حالة عدم استقرار من أبرز مظاهرها تعطل تشكيل الحكومة منذ شهر مايو الماضي.

وفي أكتوبر الماضي، أدرجت كل من السعودية والبحرين الحرس الثوري الإيراني وقائد فيلق القدس التابع له قاسم سليماني على قائمة الأشخاص والمنظمات التي يشتبه بضلوعها في تمويل الإرهاب، وفق ما ذكرت وكالة الأنباء السعودية نقلا عن بيان صادر عن الأجهزة الأمنية في البلدين.

وقبل شهر، أعلن مدير عام الإدارة العامة للمباحث والأدلة الجنائية في مملكة البحرين أنه تم القبض على 15 من العناصر التخريبية، التي قامت بارتكاب أفعال وتصرفات مسيئة في قرية المالكية، خلال ما يعرف بذكرى عاشوراء، بهدف إثارة الفوضى والتخريب.

وأوضح المسؤول البحريني أن أعمال البحث والتحري، أكدت أن الحرس الثوري الإيراني يقف وراء عملية التمويل من خلال العناصر الإرهابية الذين تأويهم إيران، وفي مقدمتهم عناصر تنظيم 14 فبراير.

ومن جانبها، قالت وزارة الخزانة الأميركية في أكتوبر الماضي إنها فرضت عقوبات جديدة على شبكة تمويل قوات الباسيج الإيرانية، مشيرة إلى أن هذه القوات شبه العسكرية التابعة للحرس الثوري متهمة بتجنيد أطفال لا تتجاوز أعمارهم 12 عاما ونشرهم في ساحات المعارك في سوريا.

وأوضح بيان الوزارة أن العقوبات تشمل 20 شركة وكيانا إيرانيا تنشط في الشرق الأوسط وأوروبا إضافة إلى خمس مؤسسات مالية إيرانية أخرى بينها بنكا مهر اقتصاد وملت إيران، وشركة مباركه أصفهان للحديد.

أما في اليمن، فقد أثبتت العديد من التقارير تورّط الحرس الثوري في دعم الميليشيات الحوثية وفي نشر الفوضى في هذا البلد الذي يعاني من أزمة إنسانية حادة بسبب ممارسات المتمردين.

وطالب الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي إيران برفع يدها عن بلاده، في مناسبات عديدة كان آخرها خطاب بثه التلفزيون الرسمي في أكتوبر الماضي وطالب فيه هادي إيران بالتوقف عن دعمها للميليشيا الحوثية في شمال اليمن وأطرف أخرى في الجنوب.

وكشف الرئيس اليمني عن وجود معتقلين من الحرس الثوري الإيراني وحزب الله اللبناني، لدى الجيش اليمني ويجري التحقيق معهم.

ذراع إيران التخريبية

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

روسيا توظّف التشتت الدولي في إدارة الأزمة الليبية

سيف الإسلام القذافي ورقة تضيفها موسكو إلى قائمة رهاناتها المتعددة

عدّلت روسيا استراتيجيتها في ليبيا، فبالإضافة إلى دعمها للمشير خليفة حفتر، قائد الجيش الليبي، تبذل موسكو جهدا كبيرا لاستقطاب حكومة طرابلس المدعومة من الأمم المتحدة، وغيرها من مراكز القوة والنفوذ في ليبيا، بما في ذلك الجماعات التي تسيطر على مدينة مصراتة، في غربي البلاد، كما كشفت مؤخرا عن ورقة جديدة في مسار تدخلها على خط الصراع في ليبيا، وهي ورقة سيف الإسلام القذافي.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

❑ يؤكد تعامل روسيا مع الأزمة الليبية أنها قريبة وليست بعيدة كما يتصور كثيرون، أو على الأقل أن ليبيا محل اهتمام من قبل قادتها. والتردد الظاهر على تصوراتها يبدو مفهوما في سياق التعقيدات السياسية والعسكرية التي تمر بها ليبيا، وجعلت موسكو تتعمد جس النبض من خلال أدوات مختلفة، كي تتهيأ الفرصة لتنقض عليها، كما انقضت على الأزمة السورية في لحظة حاسمة، مستفيدة من الارتباكات التي خيمت على أدوار قوى إقليمية ودولية، جعلتها عاجزة عن مناطحة الدور الروسي.

كشف الإعلان عن زيارة مبعوث لسيف الإسلام القذافي إلى موسكو مؤخرا، وتسليمه رسالة للرئيس فلاديمير بوتين، أن روسيا بدأت تسارع خطوات الانفتاح على قوى متعددة، ولم تعد علاقتها قاصرة على المشير خليفة حفتر قائد الجيش الوطني الليبي، أو عقيلة صالح رئيس البرلمان في طبرق، ويمكن أن تمتد إلى أبعد من ذلك بكثير، طالما قررت التقدم خطوة للأمام على صعيد الأزمة الليبية.

> روسيا تسارع خطوات الانفتاح على قوى متعددة، ولم تعد علاقتها قاصرة على المشير خليفة حفتر قائد الجيش الوطني الليبي، أو عقيلة صالح رئيس البرلمان في طبرق، ويمكن أن تمتد إلى أبعد من ذلك بكثير، طالما قررت التقدم خطوة إلى الأمام على صعيد الأزمة الليبية

اتسعت المروحة السياسية لموسكو، بكلام ميخائيل بوغدانوف نائب وزير الخارجية الروسي، عندما قال، الاثنين، "ينبغي أن يلعب سيف الإسلام القذافي، دورا في المشهد السياسي الليبي"، وهو ما تزامن مع محاولات حثيثة تقوم بها دوائر محلية وخارجية تريد المساعدة في انخراطه داخل العملية السياسية مباشرة.

يظل سيف الإسلام القذافي ورقة رابحة في أيدي الكثيرين، ليس لأنه نجل معمر القذافي، وينتمي إلى قبيلة عريقة (القذاذفة) لها حضور ونفوذ كبيران في أماكن متباينة، لكنه عنوان لمرحلة كان يسعى فيها إلى تقديم توليفة مصطنعة لمشروع مبتكر للحكم، قبل إجهاضه من جانب مناوئين للفكرة، احتلوا مكانا بارزا في السلطة، حتى ذهبت بعيدا عن الجميع، غير أن مكونات المشروع لا تزال تحظى بجاذبية لدى بعض القوى النافذة في ليبيا.

يحمل التودد الدبلوماسي لسيف الإسلام القذافي، قدرا من البراغماتية، ولا يعني أن موسكو تضع بيضها في سلته وحده، أو القطع بأن فرصته مضمونة في الوصول إلى السلطة، لكن هي فكرة من بين مقاربات عدة تسعى روسيا إلى القبض عليها، لتكون رقما في معادلة صعبة، وربما يتم استدعاؤها للفصل بين قوى سياسية وأمنية متناحرة، كل منها يميل إلى جهة خارجية أو محسوب عليها، ولتجنب الدخول في صدام مع قوى غربية تقلق من موسكو، أو بمعنى أدق طمأنتها بأن روسيا سوف تسير على طريقها.

تتمنى روسيا توظيف التشتت الدولي في إدارة الأزمة الليبية، وإخفاق أو تعثر المبادرات الأممية والإقليمية والفرنسية والإيطالية، للإمساك بتلابيب الأمور، باعتبارها المنقذ من الفوضى الحالية، وتمثل صورتها في المنطقة، وفي ليبيا بشكل خاص، رمزا للتعاون البناء، وبعيدة عن الأفكار المتداولة بشأن تاريخ قوى استعمارية مثل فرنسا وإيطاليا، ومهيمنة كالولايات المتحدة، أو قوى تأمل في فرض سطوتها لتعميم أجندتها الأيديولوجية مثل تركيا وقطر.

تعرف موسكو أنها تملك مقومات كثيرة تساعدها على المزيد من الحركة الإيجابية، ما جعلها تحتفظ بمسافة عن المشير حفتر، وتنأى عن تصويرها في شكل الحليف للشخص الواحد على الساحة، لذلك بدأت توسع نطاق شبكة التعاون، وتصل بها إلى قوى متعددة، وهو دليل على رغبتها في القيام بدور مؤثر داخل ليبيا، بعد أو قبل أن تلملم جيوبها في سوريا.

تنطوي الإشارات الروسية الزاحفة نحو سيف الإسلام القذافي على معان سياسية تتجاوزه كشخص طموح، لكنها تصب في خانة أنه رمز لتوجه يضم أطيافا متباينة من القوى، في مقدمتها جزء معتبر من أنصار العقيد الراحل معمر القذافي، تراودهم أحلام العودة إلى السلطة، مستندين إلى التدهور الذي أعقب سقوطه بالقوة، وندم مجموعة كبيرة من المواطنين على الأيام الخوالي، وما تلاها من كوابيس أمنية واقتصادية، لا يوجد أفق قريب للخروج منها.

يرى الكثيرون في نجل القذافي أنه على وفاق تام مع شريحة كبيرة من المنتمين إلى التيار الإسلامي، وظهوره على الساحة مجددا يحيي، ولو رمزيا، فكرة الجمع بين النقيضين، أي قطاع مهم من أتباع النظام القديم وجماعة الإخوان ومن يلفون لفها.

ظهرت ملامح الجمع بينهما حديثا في أماكن عدة مثل مؤتمر داكار في مايو الماضي، الذي كان شاهدا على عدم استبعاد التحالف بينهما، ما يمثل صيغة جيدة لقوى غربية تعمل على أن يكون للتيار الإسلامي وجود مؤثر في السلطة بالمنطقة، وتدرك أن هذا التيار ربما يتعرض لهزات عنيفة، إذا قرر المضي قدما في العملية السياسية والاستحواذ على الحكم بمفرده، في ظل وجود جهات إقليمية رافضة لمشاركته أصلا، وتقبل على مضض أن يكون جزءا في اللعبة وليس كل اللعبة.

يدعم هذا الاتجاه، أن جميع مغازلات الإخوان السياسية في ليبيا مع شخصيات مثل المشير حفتر أو عقيلة صالح، أو فايز السراج رئيس المجلس الرئاسي، رئيس حكومة الوفاق، تكتيكية ولتجاوز بعض العقبات الآنية، ولا تدخل في باب التحالفات الاستراتيجية، التي تتمنى بعض القوى الوصول إليها مع قوة مدنية لفك شيفرة السلطة في ليبيا، بعد أن وصلت إلى طريق شبه مسدود، يصعب معه توقع الشخص الذي يمكن الالتفاف حوله وينجح في ملء الفراغ الراهن.

كلما جرى الاستفتاء شفويا على شخص، وجد عقبات كثيرة تمنع حسم تفوقه، وكلما مالت بورصة التوقعات إلى جهة يمكنها إحكام السيطرة على السلطة، ظهرت عوامل تقلل من قدرتها على تخطي التحديات المتناثرة في ربوع ليبيا.

توحي التصرفات التي تقوم بها موسكو أنها تريد تقديم رؤية سياسية أو عسكرية في ليبيا، لأن انفتاحها على قوى كثيرة يصب في صالح هذا المنهج، بالتالي فالحديث عن دور مستقبلي لسيف الإسلام القذافي، لا يعني تبنيه ودعمه في الوصول إلى الحكم، لأن فئة كبيرة من الليبيين تدرك تضاؤل فرصته أمام شخصيات أكثر حضورا، قد تكون وازنة بما يفوق مؤهلات نجل القذافي.

ناهيك أن الرجل يمكن أن يتسبب في إشعال المزيد من النار على الأزمة، وليس العكس، فلا يزال هناك ليبيون محتقنون ويكنون عداء سافرا لرموز النظام القديم، فما بالنا بأحد أبناء الحاكم السابق؟

كما أن التعامل مع أتباع القذافي ككتلة واحدة خطأ جسيم، فثمة تشتت وتشرذم وترهل أصاب هؤلاء، جعل بعضهم يتبنون مواقف أبعد ما تكون عن ثوابت العقيد الراحل، في ما يتعلق بالعلاقة مع تيار الإسلام السياسي والدول الداعمة، أو في النظر إلى الآليات السياسية لحل القضايا الدقيقة في البلاد، ووصل البعض إلى حد الانحياز إلى مصالحهم الشخصية، من دون مراعاة للمصالح الوطنية.

يرى ليبيون أن الإصرار على إعادة سيناريو سيف الإسلام القذافي ومحاولة تصديره كوجه توافقي من جانب بعض القوى الدولية، قد تكون نكبة كبيرة، لأنها تشعل الأزمة ولا تطفئها، وتفتح جراحا عميقة، ومن يروجون له، عن قصد أو من دونه، ربما يقودونه إلى التهلكة، لتعود الأزمة الليبية إلى اليوم التالي لمصرع القذافي، ومحاولة ترتيب الأوراق مرة أخرى منذ هذه اللحظة، التي أجهزت فيها قوات الناتو على النظام السابق ودمرت قدراته العسكرية، بمعنى خروج مراكز القوى التي تتمترس وراء السلطة أو الميليشيات حاليا.

ولذلك بدأت عملية الترويج لأسماء محسوبة على النظام السابق، مثل أبوزيد دردة رئيس جهاز الأمن الخارجي في عهد النظام السابق، والذي يستطيع العمل وفقا للمعالم التي رسمها مشروع سيف الإسلام القذافي، لكن كل ذلك يتوقف على توازنات القوى الدولية، والتي تتغير بين فينة وأخرى، لأن الأزمة لم تدخل بعد مرحلة الحسم التام، وضجيج التحركات والمبادرات والمؤتمرات هو دليل على استمرار الارتباكات وفقدان البوصلة، ما يمهد الأجواء لروسيا للتدخل في ليبيا.

جمال السي.آي.أي

علي الصراف
كاتب عراقي

❑ هناك شيء ما جميل للغاية في وكالة السي.آي.أي الأميركية؛ جمال لا نقاش فيه. فمثلما يمكن لأرقى الأعمال الفنية أن تثير الدهشة والحيرة والتأمل والتساؤلات دفعة واحدة، فإن هذه المؤسسة تثير الانفعالات نفسها، بزيادة واحدة: الرعب. إنها لوحة ما كان بوسع أكبر فناني التاريخ أن يرسموا مثلها على الإطلاق. ولكنها لوحة مضادة. وجمالها جمال مضاد.

لقد حاول بابلو بيكاسو برسمه للغرنيكا أن يصور آلام وعذابات قصف مدينة غرنيكا في إقليم الباسك خلال الحرب الأهلية الإسبانية، ولكن من سيكون بوسعه أن يوجز في لوحة واحدة العشرات من الحروب الأهلية التي صنعتها هذه المؤسسة، والآلاف من جولات القصف على مدن شتى؟

لا أدري كيف يمكن لمستوى خارق من الجريمة، أن ينتج لوحة خارقة في بشاعتها. ولكنها واقع قائم، ولا أحد قادر -حتى الآن على الأقل- على اختصاره في لوحة. إنها -والحق يقال- أكبر مؤسسة للشر عرفها التاريخ. ومصدر "الجمال" فيها هو أن تاريخها الأسود غير خاف على أحد. ولا يحتاج إلى شهادة من أحد، حتى أنها أمر لا يمكن، ولا بأي صورة من الصور، أن يكون موضع جدل.

إنها مؤسسة بربرية إلى درجة أنها لا تستطيع أن تتحدى نفسها، إلا بالمزيد من المقاصد المتوحشة. وذلك بأن تضيف إلى تاريخها ما يؤكد ذلك التاريخ ويدعمه ويجعله أيقونة لكيف يمكن لمؤسسة أن تخدم مصالح بلد عن طريق الانحطاط الشامل، ليس على المستوى الدولي، بل على كل المستويات الإنسانية، وعلى مستوى كل ما عرفته البشرية من قيم.

والحال، فكلما مرّ على وجودها المزيد من الوقت أضافت قبيحا آخر لجبل القبح الذي يؤلف تاريخها. ولذلك، لا يجب أن يستغرب المرء من هذه المؤسسة أن تفعل أي شيء؛ أن تقتل، وأن تختطف بشرا، وأن تعذبهم في مراكز سرية، وأن ترمي بهم في سجون من دون محاكمة إلى أمد غير محدود، وأن تدفع ضحاياها إلى طلب الموت، لأنه أرحم عليهم من تحقيقات "الإيهام بالغرق".

لقد نفذت هذه الوكالة انقلابات في مجموعة ضخمة من البلدان، أسفرت عن مقتل مئات الآلاف من البشر. وأنشأت جمهوريات موز، وأقامت عليها عملاء كانوا من النذالة بحيث أنهم لم يتورعوا عن القيام بأي عمل. وكان انقلاب تشيلي عام 1973 ضد الرئيس المنتخب سلفادور أليندي واحدا من تلك الانقلابات. والكل يعرف ماذا فعل الجنرال اوغستينو بينوشيه بالملايين من أبناء شعبه خدمة لأوامر تلك الوكالة.

لقد أحرق بينوشيه كتبا، وقتل فنانين، وأعدم أدباء، وقطع أوصالهم (كما حدث مع المغني والمخرج المسرحي فيكتور جارا الذي أطلقت على جسده 44 طلقة)، واختفى في سجونه أكثر من 3 آلاف معتقل، كما تعرّض للتعذيب أكثر من 27 ألف إنسان. ووقفت وكالة السي.آي.أي وراء كل تلك الآلام والعذابات التي ظل التشيليون يعانون منها لـ17 عاما متواصلة.

وتشير اعترافات بعض من شاركوا في ذلك الانقلاب الهمجي، إلى أن ضباط السي. آي. أي كانوا يراقبون كل شيء، بما في ذلك الإعدامات الجماعية للضحايا الذين حشروا في ملاعب كرة القدم، بعد أن ضاقت بهم السجون. وكانت هذه السي.آي.أي هي التي أشرفت على رشوة بينوشيه بالعشرات من الحسابات المصرفية التي فتحت له بأسماء مختلفة في الولايات المتحدة.

هذا مجرّد نموذج واحد، للعشرات من النماذج المماثلة، التي لم تقتصر على أعمال استيلاء غير مشروع على السلطة، بل امتدت إلى اختلاق حروب أهلية ومجازر متواصلة وبناء عصابات تمرّد كان يتم دعمها بالمال والسلاح وتجارة المخدرات. ونيكاراغوا مثال ساطع آخر على ذلك.

لقد دفعت قارة بأسرها، أميركا اللاتينية، الملايين من الضحايا من جراء الجرائم التي دعمتها هذه الوكالة. وكانت سببا لنهب ثرواتها وإفقار شعوبها إلى يوم الناس هذا. جريمة غزو العراق بناء على أكاذيب وافتراءات، مثال ساطع آخر. فهل كان واقع خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل خافيا على هذه الوكالة؟

> وكالة السي.آي.أي نفذت انقلابات في مجموعة ضخمة من البلدان، أسفرت عن مقتل مئات الآلاف من البشر. وأنشأت جمهوريات موز، وأقامت عليها عملاء كانوا من النذالة بحيث أنهم لم يتورعوا عن القيام بأي عمل

لو أجاب ممثلو هذه الوكالة بـ"نعم" لأقروا أنهم يمثلون أغبى وكالة في التاريخ. ولو أجابوا بـ"لا" لأقرّوا في المقابل بأنهم ارتكبوا جريمة كبرى من أجل أن يحوّلوا هذا البلد إلى حطام شامل. لا سيما وأن هذه الوكالة نفسها هي التي وضعت أسس التمزيق الطائفي، ورعت عملاءها فيه، وظلت تحمي فسادهم، ولعلها فتحت لهم حسابات بعشرات المليارات مما نهبوه، أو تقاسموه مع طهران.

لقد كانت هذه الوكالة مدفوعة بأغراض سياسية، ومصالح شركات، وأطماع إستراتيجية، عندما زوّرت الحقائق المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل في العراق، تلك التي دمرها خبراء الأمم المتحدة بأنفسهم، وبإشراف هذه الوكالة نفسها. وحوّلت وزير خارجية الولايات المتحدة كولن باول إلى أضحوكة أمام سجلات التاريخ عندما دفعته ليخاطب مجلس الأمن الدولي وهو يحمل قارورة زعم أنها تحوي مادة كيميائية تدعى "أنثراكس" تكفي لقتل الملايين من البشر!

كذبة كبيرة، لم تكن لتخرج إلا من وكالة أكاذيب كبيرة.

ولئن أصبح العالم كله يعرف ما تم ارتكابه من جرائم تعذيب واغتصاب للآلاف من الأبرياء في سجن أبوغريب في العراق، فقليل فقط من يعرف أن تلك الأعمال كانت تجري بمعرفة وتشجيع ومراقبة مباشرة من ضباط السي.آي.أي.

وليس من العجيب أبدا أن يختفي كل أثر لهم بعد افتضاح تلك الجرائم التي اقتصرت المحاكمات فيها على بضعة جنود صغار فقط. وكأن السجن كان يُدار من قبلهم فحسب، من دون مسؤولين، ولا مسؤولون فوق أولئك المسؤولين، ولا وزير دفاع استصغر علنا كل جريمة ارتكبت في هذا البلد، لكي لا نقول إنه حرّض عليها وأشرف عليها بنفسه!

اليوم، وبينما تجر خلفها جبلا من سجلات الرعب، فلقد دفعت هذه الوكالة مجلس الشيوخ الأميركي، ليوجه اتهاما لولي العهد السعودي بأنه كان على علم بجريمة مقتل جمال خاشقجي، بقفزة ما كانت لتطال مثيلاتها دونالد رامسفيلد، ولا ديك تشيني صاحب مجزرة "بلاك ووتر"!

المسألة لا تتعلق بـ"تقنيات" مقتل خاشقجي، البشع والمؤسف، ولا حتى بمستوى الابتزاز الذي تقصده تلك الوكالة، ولا الغايات الرخيصة الأخرى. المسألة إنما تتعلق بحقيقة أن هذه الوكالة تخطط لدمار المشروع التنموي الذي نهض به الأمير محمد بن سلمان، وتريد أن تحاصره.

إنه مشروع خلاق، يدفع إلى تحويل السعودية، باستثمار مواردها ومكانتها الإقليمية والدولية الراهنة، لبناء قوة اقتصادية تعمّ بخيراتها على المنطقة بأسرها. وهو الفرصة الأخيرة، ماديّا وزمنيا، للخروج من قمقم العيش على سلعة واحدة.

هذا هو ما يُرعب وكالة الوحشية التاريخية هذه. وهذا ما تعتبره خطرا. إنها آخر، آخر، بل وآخر، من يمكنه أن يقدّم مواعظ لأي أحد عن أي انتهاك، أو عن حقوق الإنسان. ومن الخير لها أن تدس فمها بالتراب قبل أن تحاول أصلا. على الأقل لكي لا تندلع منه رائحة الجثث. فمن شاء فليصدق الكذّاب، ومن شاء فليتأمل بشاعة اللوحة.

تركيع لبنان

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ إذا كان الهدف تركيع لبنان، فإن لبنان ركّع نفسه بعد كلّ الأحداث التي مرّ فيها في السنة 2018، وهي أحداث أقلّ ما يمكن أن توصف به أنّها جاءت لتكرّس هيمنة الدويلة على الدولة. لم يجد رئيس الجمهورية ميشال عون ما يقوله عن العراقيل التي تحول دون تشكيل حكومة منذ ثمانية أشهر سوى أنّ هناك من يريد إيجاد "تقاليد" و"أعراف" جديدة، علما أنّه كان من الأفضل لو قال إن هناك من لا يعترف بالدستور الذي يفترض أن يكون الحكم وصاحب الكلمة الفصل في كل ما له علاقة بتشكيل الحكومة.

> ما الذي ينفع تشكيل حكومة برئاسة سعد الحريري إذا لم تضمّ شخصيات تمتلك المعرفة والخبرة في حقول المال والأعمال والكهرباء والماء والنفايات وكلّ ما له علاقة من قريب أو بعيد بالاقتصاد والبنى التحتية والمحافظة على القطاع المصرفي وإعادة ربط البلد بمحيطه العربي، خصوصا دول الخليج

معروف تماما من يسعى إلى "تقاليد" و"أعراف" جديدة، خصوصا بعدما أظهر "حزب الله" أن الحدود الدولية للبنان لا تعني له شيئا وأنّ دويلته يجب أن تكون مرتبطة بالقوّة بأراض سورية، كما يجب أن يكون له وجود عسكري دائم فيها. ما لم يتنبّه إليه كثيرون في السنوات الأخيرة أن التطوّر المهمّ، وربّما الأهمّ، على الصعيد الإقليمي يتمثل في أن الرابط المذهبي الذي برّر به "حزب الله" مشاركته في الحرب على الشعب السوري، صار أهمّ بكثير من السيادة الوطنية والحدود الدولية للبنان.

تشكّلت حكومة أم لم تتشكّل في الأيام الثلاثة الأخيرة من السنة، ذلك لن يقدّم ولا يؤخر في غياب وجود فريق عمل وزاري يضمّ أفضل الاختصاصيين اللبنانيين مهمّته الانكباب على معالجة الوضع الاقتصادي تفاديا لكارثة لم يسبق أن شهد البلد مثيلا لها. ما الذي ينفع تشكيل حكومة برئاسة سعد الحريري إذا لم تضمّ شخصيات تمتلك المعرفة والخبرة في حقول المال والأعمال والكهرباء والماء والنفايات وكلّ ما له علاقة من قريب أو بعيد بالاقتصاد والبنى التحتية والمحافظة على القطاع المصرفي وإعادة ربط البلد بمحيطه العربي، خصوصا دول الخليج.

بات لبنان بلدا مهدّدا في غياب القدرة على تشكيل حكومة فاعلة وفعّالة بدل حكومة محاصصة إرضاء لهذا الطرف السياسي أو ذاك أو لجعل "حزب الله"، ومن خلفه إيران، مطمئنا إلى أن لبنان صار في "محور الممانعة". هناك ما هو أخطر من الفراغ الحكومي. هناك سعي إلى جعل مجلس الوزراء ساحة للمبارزات السياسية بدل أن يكون هذا المجلس فريق عمل منتجا يعالج الأزمات التي غرق فيها لبنان.

يدفع لبنان حاليا ثمن الانقلاب المستمرّ منذ ما قبل اغتيال رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005. في الواقع، بدأ الانقلاب بالتمديد لإميل لحود، رئيس الجمهورية المدعوم من "حزب الله" والنظام السوري، على الرغم من صدور القرار رقم 1559 عن مجلس الأمن، وهو القرار الذي دعا إلى حلّ كل الميليشيات اللبنانية، أي الميليشيا التي اسمها "حزب الله" تحديدا، والامتناع عن التمديد لإميل لحود ومباشرة الجيش السوري انسحابه من لبنان.

ليس سرّا أن الردّ الأول على القرار 1559 الذي صدر في الثاني من أيلول – سبتمبر 2004 كان محاولة اغتيال الوزير مروان حماده بعد مضي أقل من شهر على صدور القرار. كانت الرسالة ذات بعد ثلاثي. كانت موجهة إلى رفيق الحريري أوّلا وإلى وليد جنبلاط وإلى جريدة "النهار". فمروان حماده درزي محسوب سياسيا على وليد جنبلاط وهو من القريبين من رفيق الحريري، كما أنّه خال جبران تويني الذي كان رئيس تحرير صحيفة "النهار" التي لعبت في تلك المرحلة دورا بارزا في التصدي للوصاية السورية...

نجا مروان حماده بأعجوبة من محاولة الاغتيال. لم يحل ذلك دون اغتيال رفيق الحريري وذلك بغية وضع حدّ لتنفيذ القرار 1559 الذي يشدد على وحدة لبنان وسيادته وإنهاء الوضع غير الطبيعي الناجم عن السلاح غير الشرعي من جهة والوجود العسكري والأمني السوري من جهة أخرى.

كان اغتيال رفيق الحريري أوضح تعبير عن أزمة النظام السوري التي ما لبثت أن تكشفت ابتداء من العام 2011، وهي أزمة ما زالت مستمرّة إلى يومنا هذا مع دخول الحرب التي يشنّها النظام على شعبه مرحلة جديدة ذات طبيعة مختلفة.

يندرج ما شهده لبنان من أحداث منذ صدور القرار 1559 في سياق واحد. لا بدّ هنا من الاعترافِ بأنّ "حزب الله" استطاع الاستفادة من كلّ حدث بدءا من تفجير موكب رفيق الحريري وصولا إلى اغتيال محمد شطح في مثل هذه الأيّام قبل خمسة أعوام.

طوال أربعة عشر عاما، لم يحدث شيء بالصدفة في لبنان. من مسلسل الاغتيالات الذي استهدف لبنانيين لهم معنى يشكل كلّ منهم رمزا من رموز ثقافة الحياة في لبنان، إلى حرب صيف 2006 التي انتهت بانتصار لـ"حزب الله" على لبنان واللبنانيين، إلى الاعتصام في وسط بيروت لتدمير قلب المدينة ومعه الاقتصاد وتهجير أكبر عدد من الشباب اللبناني من لبنان، وصل البلد إلى انتخابات أيّار – مايو 2018 استنادا إلى قانون وضعه "حزب الله" هدفه الأوّل والأخير زعامة سعد الحريري على الصعيدين الوطني والسنّي.

من المرعب، في هذه الأيّام، غياب الوعي المسيحي، خصوصا لدى من يسمّون أنفسهم بـ"العونيين"، أي "التيار الوطني الحر" الذي يرأسه وزير الخارجية جبران باسيل، صهر رئيس الجمهورية.

من المستغرب التلهي، من الآن، بمن سيكون الرئيس المقبل بعد ميشال عون. كذلك، مستغرب الكلام عن حقوق المسيحيين وعن الثلث المعطِّل في مجلس الوزراء في بلد كلّ شيء فيه معطّل.

هناك ما هو أبعد بكثير من فراغ حكومي في لبنان. هناك خطر على لبنان. هذا ما لم يستطع فهمه واستيعابه أي ماروني لبناني على استعداد لأن يكون رئيسا للجمهورية بأيّ ثمن. من بين أسباب هذا الخطر الاختراق الذي حقّقه "حزب الله" مسيحيا والذي مكنه في 2018 من الاستناد إلى مجلس نيابي، لا أكثرية فيه لقوى الحريّة والسيادة والاستقلال، من أجل تحقيق هدف بعيد المدى. هذا الهدف هو ربط لبنان بإيران. لا يستفيد الحزب من الغياب الأميركي والعربي فحسب، بل يستفيد أيضا وقبل كل شيء من غياب الوعي لدى قسم كبير من المسيحيين لأمر في غاية الأهمّية. هذا الأمر هو أن الحزب لم يكن يوما حزبا لبنانيا ولم يكن يوما مهتما بمستقبل اللبنانيين ومستقبل أولادهم. همّ الحزب محصور في تنفيذ ما تطلبه إيران لا أكثر ولا أقلّ. لماذا يهتمّ حاليا الحزب الإيراني بانهيار النظام المصرفي في لبنان خصوصا والاقتصاد عموما؟

من المفيد هذه الأيام العودة إلى تغريدة لمحمّد شطح في مرحلة ما قبل اغتياله. تختزل هذه التغريدة ما يعيشه لبنان حاليا من مآس. قال محمّد شطح، الرجل المستنير الهادئ "حزب الله' يهوّل ويضغط ليصل إلى ما كان النظام السوري قد فرضه لمدة 15عاما: تخلي الدولة له عن دورها وقرارها السيادي في الأمن والسياسة الخارجية". تقول هذه التغريدة كلّ شيء. تقول أين لبّ الأزمة التي يمر فيها لبنان ولماذا مطلوب تركيع لبنان...

مستقبل ضبابي

عجائب وغرائب عراقية لا تنتهي

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ لو كان الذين أعلنوا الثورة على الرئيس الأميركي دونالد ترامب دفاعا عن السيادة الوطنية العراقية التي انتهكتها زيارته لجنوده وضباطه في قاعدة عين الأسد العراقية غير حبايب إيران العراقيين لاستحقوا من أهل الوطن العراقي السليب كل تحية وعرفان وامتنان.

مع العلم أن الاتفاقية الإستراتيجية الموقعة بين العراق وأميركا تخول لأي مسؤول أميركي دخول العراق والخروج منه دون إذن من أحد ودون مبررات، يعني أنه في داره وبين أهله وذويه. لكن هؤلاء الغاضبين اليوم على ترامب لم يغضبوا بالأمس حين فعل الشيءَ نفسَه الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش الابن في عهد نوري المالكي، وباراك أوباما في عهد حيدر العبادي.

وقبل ذلك لم يغضبوا حين احتلت دبابات الرئيس بوش الابن شوارع الوطن، كلها، وساحاته كلها، ولم يبكِ أحد منهم على سيادة ولا يحزنون. ثم ألم تكنَ قرارات بول بريمر ومستشاريه ومعاونيه المتربعين على عروش القصور الرئاسية "مشاريع أميركية صهيونية مستقبلية تزعزع أمن العراق" كما يقولون في بياناتهم وتصريحاتهم هذه الأيام؟ بل كانوا معه يدا بيد، شركاء، حلفاء، أدلاء يُرشدون قادة جنوده وضباطه على أوكار أعدائهم (الخونة)، أعداء العراق الديمقراطي الأميركي.

ولا عجب ولا غرابة، فقد كان بوش الابن، وقبله بيل كلنتون، وقبله بوش الأب، أولياء نِعَمِهم، ومموليِ مؤتمراتهم وأحزابهم وجرائدهم وإذاعاتهم، وواعِديهم بخزائن العراق، وجاعليهم رؤساء ووزراء وسفراء وأصحاب فخامة ومعالي وسيادة.

فعن أي سيادة وطنية يتحدثون، وما زال كبارُهم، قبل صغارهم، يباهون بولائهم الأول والأخير لدولة الولي الفقيه، ويعلقون صور الخميني ووريثه خامنئي في مكاتب أحزابهم وميليشياتهم، علنا وعلى شاشات التلفزيون، ولا يخافون ولا يستحون؟

وما زال كبار قادة النظام الإيراني، العسكريون والمدنيون، يعلنون صراحة أن العراق ولدُهم الضائع العائد إلى أحضان أمه، بعد غياب طويل.

فهذا علي يونسي، مستشار الرئيس الإيراني حسن روحاني، يقول إن "إيران اليوم أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ، وعاصمتها بغداد حاليا، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي".

ووزير الدفاع العميد حسين دهقان يعلن أن العراق إيراني، ويهدّد من يعترض على ذلك بمصير صدام حسين الذي قال إنه "كان غارقا في أحلامه، لكننا في النهاية أيقظناه من أحلامه، وقتلناه".

ويقول إن "على العرب الذين يعيشون في العراق أن يغادروه إلى صحرائهم القاحلة التي جاؤوا منها، من الموصل وحتى حدود البصرة". ويضيف "لدينا في العراق قوة الحشد الشعبي الشيعي، وسنُسكت أيَّ صوت يميل إلى جعل العراق يعود إلى ما يسمى بمحيطه العربي".

وبرغم كل هذه الإعلانات والتصريحات والإنجازات الإيرانية الفاقعة المجلجلة ما زال عشاق الولي الفقيه العراقيون يتحدثون عن (سيادة) العراق الوطنية، ويرفضون المساس بها، ويهددون من يعتدي عليها بحرب داحس وغبراء جديدة لا تبقي ولا تذر.

يقول قيس الخزعلي، قائد ميليشيا عصائب أهل الحق، إن "زيارة ترامب لقاعدة عسكرية أميركية دون مراعاة الأعراف الدبلوماسية تكشف عن حقيقة المشروع الأميركي في العراق".

ثم استنكرت قيادة سرايا السلام الجناح العسكري للتيار الصدري بشدة تلك الزيارة، وهدد الحاج أبوياسر، المعاون الجهادي لزعيم التيار مقتدى الصدر زعيم الشر العالمي ترامب بجاهزية الجناح العسكري للصدر لردع تلك الانتهاكات للسيادة العراقية، ومشاريع أميركية صهيونية مستقبلية تزعزع أمن العراق. كما أعلنت ميليشيات حركة النجباء أنها لن تسمح بأن يصبح العراق قاعدة أميركية لتهديد (دول الجوار)، وطالبت الحكومة بطرد القوات الأميركية، لأن وجودها على الأراضي العراقية يمس بسيادة البلاد.

والشيء بالشيء يذكر. فقد أعلن المكتب الإعلامي لرئيس مجلس الوزراء، عادل عبدالمهدي، أن "السلطات الأميركية أبلغت السلطات العراقية برغبة ترامب بإجراء الزيارة، إلا أن تباين وجهات النظر بشأن اللقاء حال دون عقده بين ترامب وعبدالمهدي، ليكتفيا باتصال هاتفي. ورحب رئيس الوزراء، وفقا لما ورد في بيان مكتبه الإعلامي، "بزيارة الرئيس الأميركي، ودعاه لزيارة بغداد، كما دعاه الرئيس الأميركي لزيارة واشنطن، واتفق الطرفان على الاستمرار بتوثيق العلاقات المشتركة بين البلدين".

ومن الناحية الفنية والقانونية والواقعية يكون ترامب غير مخطئ وغير مذنب حين يزور جنوده وضباطه في الأرض الأميركية المقتطعة من العراق بعلم الحكومة وموافقتها وباتفاقات موثقة ومنشورة على الملأ. فلأميركا أربع قواعد عسكرية ضخمة في الأنبار، وقاعدة كبيرة في كردستان.

ويؤكد فرحان الدليمي عضو مجلس محافظة الأنبار أن "الجيش الأميركي أنشأ قاعدتين عسكريتين جديدتين على أرض خاوية في المحافظة"، "القاعدة الأولى أنشئت شمال ناحية الرمانة التابعة لقضاء القائم على حدود سوريا"، وتم إنشاء القاعدة الثانية شرقيّ مدينة الرطبة على بعد 100 كيلومتر عن الحدود السورية، ويتمركز الجنود الأميركون أيضا في قاعدتي الحبانية وعين الأسد في ناحية البغدادي غرب الرمادي لمساعدة القوات العراقية على السيطرة على حدود الوطن، لمنع تسلل عصابات داعش، ومنع عودتها إلى المدن المحررة.

وفي ما يخص وجود القوات القتالية في القواعد الأميركية المنتشرة في أربيل أعلن الأمين العام لوزارة البيشمركة جبار الياور أنها أرسلت من العاصمة بغداد، وأن"الحكومة الاتحادية هي المسؤول الأول عن دخول أي قوات أجنبية إلى إقليم كردستان". و"لا يمكن أن تزيد أميركا أعدادها إلا بموافقة بغداد والإقليم".

سؤال مهم، ألم يكن من باب اللياقة والإتيكيت الدبلوماسي أن يهاتف الرئيس الأميركي نظيره العراقي، أولا، ثم رئيس الوزراء بعد ذلك؟ إنها عجائب وغرائب عراقية لا تنتهي.

أوروبا تستقبل 2019 غارقة في الأزمات

انقسامات عميقة حول الهجرة والهوية

محمود القصاص
كاتب مصري

❏ أثناء احتفالات أعياد الميلاد في كل عام يغادر الكثير من الشباب الأوروبي المدن الكبيرة التي يعملون ويقيمون بها، مثل لندن وبرلين وباريس وأمستردام، ويعودون إلى القرى والمدن الأوروبية الصغيرة التي ولدوا وعاشوا بها قبل أن يجبرهم السعي وراء فرص عمل أفضل على الانتقال إلى فضاءات أوسع خارج دوائر عائلاتهم.

وربما تكون أعياد الميلاد هي المناسبة الوحيدة التي تجمع قطاعين مختلفين داخل القارة الأوروبية: قطاع الشباب الأفضل تعليما والأصغر سنا والأكثر قدرة على الاستفادة من التغييرات المتلاحقة في سوق العمل، خاصة في قطاع تكنولوجيا المعلومات، والذي يعيش عادة في المدن الأوروبية الكبيرة، وهو أكثر قبولا للمهاجرين والوافدين والمنتمين لثقافات أخرى بشكل عام، والقطاع الآخر أكبر سنا، وأقل تعليما، ويعمل عادة في الصناعات والمهن التقليدية، ويعيش في القرى والمدن الصغيرة، وهو بالتبعية يتوجس من المهاجرين الذين لا يعرفهم ولا يفهم غالبا ثقافاتهم، ويتخوف من التغييرات في سوق العمل لأنه غالبا غير قادر على ملاحقتها.

من الطبيعي أن تنعكس هذه الاختلافات الواسعة بين هذين القطاعين في الدول الأوروبية على مواقفهما السياسية والاجتماعية. ولعل هذه الفروق تفسر لماذا صوّت أغلب سكان لندن لصالح البقاء في الاتحاد الأوروبي، فيما صوّت أغلب الناخبين الإنكليز خارج لندن لصالح الخروج من الاتحاد.وتوضح لماذا اندلعت مظاهرات "السترات الصفراء" في الريف والمدن الفرنسية الصغيرة بعد أن اتخذ الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قرارا برفع أسعار الوقود، الأمر الذي جعل الحياة أكثر صعوبة بالنسبة للعمال وسائقي الشاحنات الذين يعتمدون في عملهم على قيادة سياراتهم وشاحناتهم إلى المدن الكبيرة حيث يعملون. وتوضح أيضا لماذا تدافع عمدة أمستردام، فيمكه هالسيما، عن التعدد الثقافي والتنوع العرقي وعن المشروع الأوروبي بخلاف مواقف اليمين المتطرف في هولندا. وهذا هو نفس موقف صديق خان، عمدة لندن، الذي يؤيد البقاء في الاتحاد الأوروبي، ويدعو إلى الحفاظ على المكاسب التي تجنيها لندن باعتبارها من أبرز العواصم الأوروبية التي تحتضن مواطنيها على اختلاف أعراقهم ودياناتهم.

من الواضح أن الانقسامات الحالية في المجتمعات الأوروبية، خاصة في الدول الأوروبية الكبيرة، مثل ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، تجاوزت الخلافات التقليدية بين اليمين واليسار التي ظلت مهيمنة على الحياة السياسية في أوروبا لعقود طويلة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. تعاني هذه الدول الآن من خلافات وانقسامات حادة تجاه قضايا رئيسية مثل دور الاتحاد الأوروبي، وكيفية التعامل مع المهاجرين واللاجئين، والهوية الثقافية والدينية للمجتمع في ظل وجود أعداد متزايدة من المهاجرين الذين ينتمون لديانات وثقافات متعددة.

وهناك ثلاث قضايا هامة واجهت الدول الأوروبية الكبيرة خلال عام 2018، وتبحث عن حلول في عام 2019:

● ماي تبحث عن مخرج من الأزمة

أبرز أزمة واجهتها بريطانيا في عام 2018 هو الاتفاق الذي توصلت إليه تيريزا ماي، رئيسة الوزراء البريطانية، مع الاتحاد الأوروبي بهدف تنظيم العلاقة بين الجانبين بعد أن تخرج بريطانيا من الاتحاد في نهاية مارس 2019 كما هو مخطط.

تعرض هذا الاتفاق إلى انتقادات واسعة سواء من قبل أعضاء في حزب المحافظين الحاكم، الذي تتزعمه ماي، أو من جانب حزب العمال المعارض لأنه ببساطة لم

> الانقسامات الحالية في المجتمعات الأوروبية، خاصة في الدول الأوروبية الكبيرة، مثل ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، تجاوزت الخلافات التقليدية بين اليمين واليسار التي ظلت مهيمنة على الحياة السياسية في أوروبا لعقود طويلة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية

أوروبا تفقد الكثير من قوتها

يحقق تطلعات وتمنيات من يؤيد الخروج من الاتحاد الأوروبي أو من يعارضه. يؤدي هذا الاتفاق إلى استمرار خضوع بريطانيا لأغلب قواعد ونظم السوق الأوروبية مقابل حصولها على حق التجارة في السلع بلا قيود مع هذه السوق التي تمثل أكبر شريك تجاري لبريطانيا، هذا علاوة على مشكلة كبيرة مرتبطة بوضع أيرلندا الشمالية التي ستكون خاضعة لقواعد تجارية مختلفة عن باقي أقاليم بريطانيا، وذلك بهدف عدم وجود نقاط تفتيش على السلع التي تنتقل بين أيرلندا الشمالية، وجمهورية أيرلندا التي تتمتع بعضوية الاتحاد الأوروبي، وترفض تماما وجود مثل هذه النقاط التي تقسم جزيرة أيرلندا.

يرى مؤيدو بقاء بريطانيا في الاتحاد الأوروبي أن الوضع الحالي أفضل، حيث تشارك بريطانيا في صناعة القرارات في الاتحاد الأوروبي بدلا من أن تخضع لقرارات لا تساهم في صياغتها. وتجاه هذه الانتقادات اضطرت ماي إلى تأجيل التصويت على مشروعها إلى مطلع عام 2019.

وإذا رفض مجلس العموم البريطاني هذا المشروع، فستكون هناك خيارات صعبة أمام بريطانيا، من بينها إجراء استفتاء آخر، أو الخروج من الاتحاد بلا أي اتفاق، الأمر الذي ستكون له آثار سلبية واسعة على الاقتصاد البريطاني.

● ماكرون والسترات الصفراء

ربما لم يتوقع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أن شعبيته ستتآكل بسرعة إذا سعى لتطبيق الإصلاحات الاقتصادية التي وعد بها عند انتخابه، خاصة أنه تجاوز الانقسامات السياسية المعادة في فرنسا بين اليمين واليسار، ونجح في تكوين حزب جديد هو "الجمهورية إلى الأمام"، وتمكن من الفوز بمقعد الرئاسة بفارق واضح عن منافسته مارين لوبان، وتمكن حزبه أيضا من الفوز بأغلبية برلمانية مطلقة.

لكن، ما حدث أن ماكرون دخل في مواجهة مع عدة نقابات بسبب الإصلاحات التي يريد تطبيقها، ثم كانت المواجهة الأكبر مع مظاهرات "السترات الصفراء" التي اهتزت لها فرنسا كل يوم سبت خلال شهر نوفمبر 2018.

اضطر ماكرون بعدها إلى التراجع السريع عن الزيادة في أسعار الوقود التي سعى لتطبيقها، وإلى حزمة من المساعدات للفقراء الذين احتجوا على سياساته بلغت تكلفتها نحو عشرة مليارات يورو. وكانت النتيجة أن تراجعت حدة المظاهرات بشكل ملحوظ، لكنها لم تتوقف بالكامل، والأهم أن أسبابها ودوافعها لازالت قائمة.

من أهم هذه الأسباب أن ماكرون يريد تغيير نموذج دولة "الرفاه الاجتماعي" الذي اعتاد عليه الفرنسيون لسنوات طويلة، والذي أدى إلى وجود ضرائب عالية تنفر المستثمرين، وعجز مالي هائل يرهق الحكومة.

وفي ذات الوقت يرى العمال الفرنسيون، الذين يحصلون نسبيا على رواتب محدودة، أن ماكرون يحمّلهم وحدهم أعباء إصلاحاته الاقتصادية، وأن مستوى معيشتهم يتراجع باستمرار مع الارتفاع المستمر في الأسعار، وأن ماكرون هو "رئيس الأغنياء" الذي لا يشعر بمعاناة الفقراء. ومن ثم، يمكن أن تندلع مظاهرات "السترات الصفراء" مجددا في عام 2019 إذا عاد ماكرون لسياسات تزعج الفقراء، وعليه أن يجد طريقة لتمرير إصلاحاته دون تحريك الشارع ضده، وهي مهمة عسيرة بلا شك.

● ميركل وأزمة المهاجرين

اضطرت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل إلى الاستقالة من رئاسة حزبها، الحزب المسيحي الديمقراطي، في عام 2018 بعد خلافات واسعة سواء داخل حزبها أو مع شريكها في الاتحاد المسيحي، وهو الحزب المسيحي الاجتماعي، حول سياسات الهجرة. غير أن ميركل وقفت بكل قوة مع خليفتها المنتظرة، أنغريت كرامب كارنباور، التي تلقب أحيانا "بميركل الصغيرة" واستطاعت الدفع بها لرئاسة الحزب بعد منافسة قوية مع فريدريتش ميرتس الذي كان يعارض بوضوح سياسات ميركل تجاه اللاجئين والمهاجرين، ويريد أن يتبنى نهجا يقارب ما يطرحه حزب "البديل من أجل ألمانيا" الشعبوي.

ويعدّ نجاح كرامب كارنباور مكسبا كبيرا لميركل، إذ سيساعدها على البقاء ممسكة بزمام السلطة حتى تنتهي فترة ولايتها الرابعة كمستشارة عام 2021.

غير أن هناك تحديا كبيرا في انتظار المستشارة الألمانية في عام 2019، وهو انتخابات البرلمان الأوروبي، إذ يسعى حزب "البديل من أجل ألمانيا" لتكوين شبكة من الشعبويين في البرلمان الأوروبي تضم إيطاليا والنمسا، وتعمل على الضغط باتجاه تشديد قوانين وقواعد الهجرة واللجوء، والتضييق بشكل عام على المهاجرين ممن ينتمون لثقافات أخرى، خاصة المسلمين.

وتبقى المواجهات مستمرة في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا بين من يرون في الهجرة مكسبا اقتصاديا، وتنوعا ثقافيا يزيد من ثراء وقوة المجتمع، وبين من يرونها كارثة تهدد المجتمعات الأوروبية، وتعصف بثقافتها، ومن يرون الاتحاد الأوروبي مشروعا يضمن الازدهار والنمو للدول الأوروبية، ومن يراه تهديدا لدور الحكومة المنتخبة في كل دولة، وتصديرا للعمالة الرخيصة القادمة من شرق أوروبا.

وبقدر ما تتمكن الدول الأوروبية من تقريب الفجوة بين الفئات الأكثر تعليما وانفتاحا التي تعيش في المدن الكبيرة، وبين تلك التي تعيش في الريف والمدن الصغيرة، بقدر ما يمكن لمشروع الوحدة الأوروبية أن ينجح، ويمكن للمجتمعات الأوروبية أن تتجاوز انقساماتها العميقة حول الهجرة والهوية.

تونس: مسار الثورة المتعرج والطريق نحو المجهول

الحبيب مباركي
كاتب تونسي

❏ تتسع دائرة التضييق على التونسيين يوما بعد آخر وسط اضطراب في المشهد السياسي يصعب كسر الطوق عليه لفهم حيثياته مع تزايد موجة الاحتجاجات والإضرابات بما ينذر بتفاقم الوضع أكثر ودخوله طريق المجهول.

أسباب هذه الاحتجاجات معلومة وحيثيات تأصيلها مكشوفة قياسا بالمناخ العام الذي يسود تونس ودول عربية أخرى ويمتد إلى أوروبا وبقاع أخرى من العالم.

يلخص هذه الاحتجاجات سقف المطلبية الشعبية المتزايد بشأن التشغيل وتحسين الوضع المتردي، فيما الأهم كسر حالة التهميش التي أضحى التونسيون يتحسسونها في عدة مناطق وخصوصا الداخلية منها وتبدّد آمالهم في غد أفضل مثلما تعد بذلك حكوماتهم المتعاقبة.

على النقيض من هذا الطرح يتكشّف للتونسيين هول الفساد الضارب في أعماق الدولة والذي نخر أجهزتها وغطى على كل مسعى جاد لاحتواء مقدراتها.

في هكذا ظرف متقلب يقف التونسيون على تخوم ثماني سنوات من اندلاع ثورتهم "المغدورة".. هذا المعنى يتجسد حقيقة في منتجات ما بعد سقوط نظام الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي في 2011. وكأن الثورة ارتدت على أصحابها أو المطالبين بقيامها.

شيء من اللايقين يضع قارئ السطور التي صدحت بها الحناجر أيام الثورة "شغل، حرية، كرامة.." وغيرها، أمام حتمية مغلوطة أو أنصاف حلول زاحت بالثورة عن مسارها الحقيقي الذي بعثت من أجله. لا بَل تكفي مغالطة. الثورة خُطفت. ولم تتبق سوى أصداؤها في الأذهان، يردّدها هذا وذاك بمفعول رجعي ينسب مداه إلى يقين بأن الثورة مهما كان باقية وتتمدد ربما في العقول فقط.

معنى هذا الحديث لا يتجه ناحية بداهة فلسفية أو تأصيل لغوي موغل في التراجيديا لفهم الواقع التونسي، إنما وعي يتكشف معناه مع كل لحظة آتية تمر بها تجربة الديمقراطية الكأداء في تونس.

يكفي الاستدلال بمجموعة من المؤشرات للوقوف على حقيقة الثورة "المسلوبة" في تونس: أول هذه المؤشرات تبدّد الآمال بـ"كذبة" الثورة التي استخلص التونسيون زيفها وانتهوا إلى حقيقة أنهم لم يغيروا سوى رأس النظام. النظام الذي تغير فقط في عقولهم هم، لكن الدولة العميقة باقية وتتمدد.

المؤشر الثاني يفرض نفسه وتعبر عنه الحصيلة الهزيلة لواقع التنمية والانتقال الديمقراطي المتلكئ وغيرهما من مفاعيل المحاصصة بين الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني.

أما المؤشر الثالث فيتعلق بمآلات التقارب المغشوش بين أكبر حزبين النهضة والنداء من ناحية وارتدادات الطلاق الذي أدخل البلاد في دوامة تصفية حسابات حزبية وأزمة بين رأسي الحكم في تونس قويت مفاعيلها في الفترة الأخيرة منذرة بانسداد أفق الحلحلة وتعمّق الهوة أكثر نحو حرب صراع من أجل البقاء.

في هذا مستوى من الأزمة المستفحلة على جميع الأصعدة في تونس تكاد الدولة تكون غائبة ولم تستعد هويتها الأصلية التي خبرها التونسيون وتعايشوا معها لسنين طوال. يتساءل الكثيرون عن تونس التي يعرفونها ولم تعد كذلك.

منطلق الحديث تفسّره رؤية الشارع بوضوح. تتفق الآراء التي يلحظها أي متابع لمواقف التونسيين وانطباعاتهم وتفاعلاتهم حول الوضع الذي تمر به تونس آنيا على أن هناك حنينا إلى الماضي بما يحمله من معان. الأكيد أن ذلك يحمل الشيء الكثير للتونسيين. ضبابية المشهد وانحسار الأفق والأزمات المستفحلة كلها عوامل دافعة نحو هكذا رؤية وهكذا تفكير.

تناست الطبقة السياسية هموم الشعب وباتت تبحث وراء مسوغات تتخفى وراءها، رغم أن هذا الكلام لا يحجب حقيقة أن مسار الانتقال يجب أن يأخذ مجراه الطبيعي ببقاء هذه الطبقة السياسية أو زوالها بلا رجعة، الأمر سيان. تعقيدات بيروقراطية وأسلوب مماحكة وتفصّ من المسؤولية يضعان الدارس للمشهد السياسي في تونس أمام رؤية ضبابية وتعتيم على المشاكل الحقيقية تقودها الطبقة السياسية، بإدراك منها أو دونه. الخلاصة بعد مسار ثماني سنوات من "الهبّة الشعبية" في تونس وتغيير نظام الحكم فيها أن الثورة قبرت وشيّعت إلى مثواها الأخير، فقط صداها هو ما يتردد ويعيد إلى الأذهان ذلك الخيط الناظم بين جدار البناء والهدم، وهو ما يردده التونسيون اليوم دون تبيّن آثاره على أرض الواقع.

هواوي.. العملاق الذي لا يثق به أحد

• مصدر الشكوك تاريخ مؤسس الشركة رين زينغفوي العضو في الحزب الشيوعي الصيني

• واشنطن قلقة من تجسس بكين عبر هواوي لأنها فعلت نفس الشيء في الماضي

❑ **واشنطن** – يعتبر المديرون التنفيذيون للشركات الكبرى في العالم شخصيات ذات أهمية، لكن قلة منهم يكونون قادرين على زعزعة الأسواق العالمية وتصدر الصفحات بمجرد إلقاء القبض عليهم، مثلما كان الحال مع الصينية مينغ وانتشو، المديرة المالية لشركة هواوي، في كندا في الأول من ديسمبر بناء على طلب تسليم أميركي لاتهام الشركة بخرق العقوبات بتعاملها التجاري مع إيران.

واعتقلت المديرة التنفيذية لشركة هواوي، وابنة مؤسسها رين زينغفوي، في فانكوفر، الأمر الذي صعّد من التوتر بين الصين والولايات المتحدة من جهة، وأيضا فتح باب الجدل واسعا أمام مخاطر تكنولوجيات الجيل الخامس وإلى مدى تشكل البرمجيات والشرائح الدقيقة خطرا على الأمن القومي للدول.

وما دعا إلى استنفار العالم، وبشكل أساس مجموعة العيون الخمس، وهي أكبر تحالف استخباراتي في العالم ويضم كندا ونيوزلندا وأستراليا والولايات المتحدة والمملكة المتحدة، أن الخطر قادم من الصين، هذه المرة، والوضع يختلف عن تلك الشرائح التي عرفها العالم، في التسعينات، والتي كانت متوفرة في كل مكان ويمكن استخدامها بسهولة في الأسلحة الموجّهة والطائرات. وتلك الشرائح كان أغلبها تايواني الصنع، أما اليوم فالخطر كوري وصيني، والحرب على أشدها، خاصة مع الصين.

والأزمة مع شركة هواوي ليست الأولى من نوعها، حيث عانى عملاق تكنولوجيا الاتصالات الصينية من انعدام الثقة من قبل، حتى أن روب ديفيس، المتخصص في شؤون التجسس في صحيفة الغارديان، وصف الشركة بالعملاق الذي لا يثق به أحد. ويستحضر دفاع رين زينغفوي، عن شركته خلال منتدى دافوس الاقتصادي العالمي لسنة 2015، حين قال "لا يمكن اختراق أنظمة الآخرين، ولم نتلق مثل هذا الطلب من الحكومة الصينية".

وبذلت الشركة جهدا كبيرا لمعالجة سمعتها، وتوظف عددا من مستشاري العلاقات العامة، كما استأجرت مدير المعلومات السابق في الحكومة البريطانية جون سوفولك كمسؤول عن السلامة الإلكترونية العالمية. وقال سوفولك لصحيفة إيكونوميست "لا تصدق أي شخص وافحص كل شيء". وحسب رين زينغفوي، فإن اسم الشركة يأتي من شعار وطني رآه على حائط في أحد الأيام ويعني "الصين تحدث فرقا"، لكن يبدو أن الاسم عمّق الأزمة وزاد من عدم الثقة.

من هو المؤسس

تفوقت هواوي على شركة أبل في وقت سابق من هذا العام لتصبح ثاني أكبر شركة للهواتف الذكية في العالم وراء سامسونغ، حيث حققت مبيعات تصل إلى 54 مليون هاتف في غضون ثلاثة أشهر. ورغم نسبة نجاحها، إلا أن شركة هواوي لم تكن قادرة على تبديد سحابة الشكوك التي تحوم حول رين زينغفوي وشركته. ونظرا لحجم التجسس والهجمات الإلكترونية التي تضرب من الصين دولا وشركات، فقد أثيرت التساؤلات حول مدى الأمن عند استخدام تكنولوجيات هذه الشركة التي أسسها خبير في التكنولوجيا العسكرية الصينية.

وتم دعم شركة هواوي من قبل الحزب الشيوعي الحاكم في الصين والجيش من خلال قروض منخفضة الفائدة مع ميزة حماية الوصول إلى السوق المحلية. ويطلب القانون الصيني من الشركات في الصين "الدعم، والتعاون، والاشتراك في شبكة المعلومات الاستخباراتية"، وذلك في سياق استراتيجية تعود إلى الثمانينات لتطوير البنية التحتية للاتصالات، وحرصت خلالها الحكومة الصينية على الاعتماد على نفسها، وتقليل دور الشركات الأجنبية في مجال الاتصالات، واستيراد معداتها من الخارج، ولتحقيق هذا الهدف كان القرار بتأسيس عدد من الشركات المحلية القادرة على تصنيع وتطوير معدات الاتصال ومن ضمنها مقاسم الهواتف.

ويبدو أن المخاوف بشأن هواوي تأتي من تاريخ مؤسسها رين زينغفوي، البالغ من العمر 74 عاما، الذي كانت له علاقات طويلة مع كل من جيش التحرير الشعبي، حيث عمل مهندسا عسكريا. ونمت شركته من مصنع للهواتف المحلية إلى أكبر مصنع لأجهزة الاتصالات في العالم. وانتشرت مبيعاته في أسواق 170 دولة.

ارتفاع رين زينغفوي من الفقر إلى الغنى هو جزء من رواية هواوي الرسمية. إذ نشأ البالغ من العمر 74 عاما فقيرا، وهو ابن معلمين في بلدة جبلية نائية في مقاطعة قويتشو الجنوبية الغربية. درس في معهد تشونغتشينغ للهندسة المدنية والهندسة المعمارية وانضم لاحقا إلى الجيش "عن طريق الصدفة" في فترة السبعينات عندما كانت الحكومة تجنّد أي شخص لديه تعليم جامعي للمساعدة في بناء المعدات.

وبعد رحيله من الجيش، أسس رين زينغفوي هواوي مع ما يقرب من 4000 جنيه إسترليني في رأس المال المتأتي من خمسة مستثمرين. ثم توسعت شركة هواوي لتصبح أكبر شركة تكنولوجيا في الصين من قبل الموظفين (توظف أكثر من 180 ألف شخصا).

واستمرت علاقة رين زينغفوي بالحزب الشيوعي، فهو عضو فيه منذ عام 1978. وتمت دعوته لحضور مؤتمره الوطني الثاني عشر عام 1982. وفي مناسبة الذكرى الأربعين لإصلاح وانفتاح الصين هذا العام، اعتبر رين زينغفوي واحدا "من رواد الأعمال الخاصين الممتازين". كما يأمل النقاد في وضع الشركة كواحدة من "الأبطال الوطنيين" في الصين، إلى جانب الشركات التي يعتبر توسعها العالمي مساهما في المصلحة الوطنية.

تكنولوجيا اتصال وتجسس

ويمتلك رين زينغفوي حوالي 1 بالمئة من الشركة، ويسيطر على معظم القرارات الرئيسية، وتشير بعض التقارير إلى أنه يديرها مثل وحدة عسكرية على الرغم من أنه من المفترض أنه يتقاسم الوظيفة مع ثلاثة رؤساء تنفيذيين آخرين.

وغالبا ما يقول رين زينغفوي إن أحد أبنائه سيخلفه، وكان ينظر إلى مينغ وانتشو كمرشحة رئيسية لهذا المنصب، إلا أن اعتقالها في كندا قد يغيّر مستقبلها ومستقبل الشركة عموما، في ظل الأزمة الراهنة.

تصعيد العيون الخمس

بعد اعتقال مينغ وانتشو، الملقبة بأميرة التكنولوجيا، اتخذت كل من الولايات المتحدة وأستراليا ونيوزيلندا خطوات لمنع استخدام معدات هواوي في شبكات الجيل الخامس. واعتبرت شركة هواوي تهديدا للأمن القومي من قبل المسؤولين الأميركيين، الذين حثوا الحلفاء الذين يستضيفون القواعد العسكرية الأميركية على حظر استخدام منتجات هواوي في البنية التحتية للاتصالات الخاصة بهم.

وحذرت الولايات المتحدة حلفاءها من مخاطر استخدام معدات الاتصالات التي تنتجها شركة هواوي، وطلبت، في وقت سابق من هذا العام، من مواطنيها بألا يستخدموا هواتف هذه الشركة، كما أطلعَ المسؤولون الأميركيون نظراءهم في بلدان مثل ألمانيا وإيطاليا واليابان، بالإضافة إلى شركائهم في مجموعة العيون الخمس، على ما يعتبرونه مخاطر محتملة تتعلق بالأمن الإلكتروني.

ومنعت هواوي من المشاركة في تركيب شبكات المحمول جي 5 في نيوزيلندا وأستراليا، (بالإضافة إلى الهند) ومنعت من بيع الهواتف في القواعد العسكرية من قبل البنتاغون في الولايات المتحدة. وفي المقابل، لم تتخذ بريطانيا خطوات مماثلة، رغم أن ألكس يونغ، رئيس جهاز الاستخبارات البريطانية الخارجية (أم. آي. 6)، أثار مخاوف أمنية من أن هواوي تشترك في البنية التحتية للاتصالات في بلاده. ولا يوجد حظر رسمي في المملكة المتحدة، لكن بريتيش تيليكوم استبعدت البنية التحتية للاتصالات من هواوي من الجيل الخامس الخاص بها، وأزالت بعض معداتها من شبكة الجيل الرابع.

وفي إشارة إلى منشآت اختبار هواوي في بريطانيا، التي تزخر بالعاملين من ضباط الاستخبارات السابقين، قال يونغر "مع تكنولوجيا الجيل الرابع هناك طرق محددة من التكنولوجيا وقمنا بتطوير تفاهم جيد جدا مع هواوي نستطيع فيه مراقبة ودراسة هذا النوع من عرضهم.. وهذا مستحيل مع الجيل الخامس". وأشار رئيس "أم.آي.6" إلى أن دخول تكنولوجيا الجيل الخامس سيجعل مراقبة تكنولوجيا هواوي يمثل تحديا أكبر، وهي مهمة صعبة على نحو خاص بسبب دولة الحزب الواحد في الصين. وأضاف السيد يونغر "لديهم في الصين إطار أخلاقي وقانوني مختلف.. إنهم قادرون على استخدام مجموعات من البيانات والتلاعب بها على نطاق يمكننا أن نحلم به فقط."

وفي كندا، حذر ديفيد فينيو، رئيس الاستخبارات الكندية في أول خطاب علني له من تزايد التجسس الذي ترعاه دولة من خلال التكنولوجيا الجيل الخامس. هناك خمسة مجالات محتملة للنمو في كندا معرّضة للتهديد على نحو خاص ومن بين هذه المجالات تكنولوجيا الجيل الخامس للهاتف المحمول حيث تحقق هواوي إنجازات في هذا المجال.

وتابع قائلا "رأى جهاز الاستخبارات الكندية اتجاه تجسس ترعاه دولة في مجالات حيوية لقدرة كندا على البناء واستدامة اقتصاد مزدهر مبني على المعرفة.. أنا أتحدث عن مجالات مثل الذكاء الصناعي، وتكنولوجيا الكم، والجيل الخامس، والصيدلة الحيوية، والتكنولوجيا النظيفة. بعبارة أخرى، الأساس لنمو مستقبل كندا".

ويشير روب ديفيس إلى أن الشكوك تحوم حول إمكانية استخدام مجموعة هواوي للتجسس على المنافسين الأجانب، أو سرقة الملكية الفكرية، أو حتى استهداف مشاريع الطاقة أو المشاريع الصناعية. وحذر بعض المحللين من أنه في حالة حدوث نزاع، يمكن لبكين استغلال التكنولوجيا الخفية في أجهزة هواوي لإغلاق البنية التحتية للطاقة الأجنبية بلمسة زر واحدة.

وكتب الخبير في الشؤون الصينية ستيفن موشر، في صحيفة نيويورك بوست، قائلا إن هواوي هي أكثر من مجرد مصنع للهواتف الذكية بريء، معتبرا أنها "وكالة تجسس للحزب الشيوعي الصيني". وأضاف "أنه منذ القبض على مينغ وانتشو، احتجزت الصين ما لا يقل عن ثلاثة رهائن كنديين، ما يعني أن القضية تتجاوز حدود 'مخالفات' ارتكبتها شركة للاتصالات".

التصعيد الأميركي

يرى جون ديتريكشي، الخبير في الشؤون المالية في صحيفة كوارتز، أن الولايات المتحدة تشعر بالخوف من تجسس الصين عبر هواوي لأنها فعلت الشيء نفسه في الماضي، موضحا أن المسؤولين الأميركيين استخدموا هذه الاستراتيجية في الماضي. ونذكر فترة أواخر الثمانينات، عندما انتشرت الكريبتولوجيا، التي كانت في السابق تكنولوجيا خاصة بالجيش، في الشركات التجارية. كما تطورت أجهزة الكمبيوتر الشخصية، وأصبحت شركات التكنولوجيا تحتاج وسيلة لتأمين البيانات والمعلومات من المتسللين والمجرمين الآخرين الذين قد يرغبون في سرقتها. وتستخدم لوتوس نوتس، وهي شركة قاعدة بيانات، الكريبتولوجيا لحماية معلومات المستخدمين. لكن تصدير البرمجيات باستخدام تقنيات التشفير عالية الجودة، يخضع لضوابط وزارة الخارجية الأميركية في ذلك الوقت.

> «ردة فعل بكين على اعتقال أميرة التكنولوجيا أثبتت أن شركة تصنيع الهواتف الذكية تمثل جزءا من خطة الصين للهيمنة على القرن الحادي والعشرين».
>
> ستيفن موشر

وعندما سعت لوتس نوتس إلى بيع منتجاتها في الخارج، استندت وكالة الأمن القومي إلى استخدام نسخة أضعف من التشفير في منتجها، وفقا لكتاب ستيفن ليفي "كريبتو". وبعد سنوات من المناقشات، سمحت وكالة الأمن القومي لوتس نوتس لشحن منتجها للتصدير باستخدام التشفير 32 -بت، مقارنة مع إصدار 64 -بت في النسخة المحلية.

وفي ذلك الوقت، كان اختراق التشفير 64 -بت يعتبر مستحيلا، لكن تشفير 32 -بت كان أكثر ضعفا، خاصة ضد أجهزة الكمبيوتر العملاقة التابعة لوكالة الأمن القومي التي كانت يمكن أن تكسّر مثل هذه الحواجز بسهولة خلال أيام، وفقا لكتاب ليفي. وكانت النسخة 32 -بت ضعيفة لدرجة أن اللصوص من ذوي الموارد الجيدة يستطيعون كسر التشفير خلال 60 يوما باستخدام أجهزة الكمبيوتر الشخصية.

وفي سنة 2018 ارتفعت المخاوف بشأن معدات الاتصالات من هواوي مع استعداد العالم للتحول إلى تقنية شبكات الجيل الخامس. وكانت هواوي في طليعة تطوير هذه التقنية. ونظرا لسلوكهم في الماضي، فإن تعبير المسؤولين الأميركيين عن قلقهم أمر منطقي. وتشير الضغوط الأميركية للتأثير على التشفير في القطاع الخاص إلى وجود أسباب وجيهة للاعتقاد بأن الصين تستطيع أن تفعل الشيء نفسه مع التقنيات المحلية.

حصان طروادة

تأسست شركة هواوي، التي تتخذ من شنتشن مقرا لها، في عام 1987، وتحولت من شركة محلية إلى أكبر مورّد في العالم لمعدات شبكات الاتصالات. وتفوقت على شركات مثل سيسكو وإريكسون ونوكيا. ويرى منتقدون أن شركة هواوي هي حصان طروادة محتمل، فهي جزء من أنظمة الاتصالات الدولية، ويمكن أن توفر فرصا للتجسس الحكومي الصيني أو التحكم عن بعد في أنظمة الاتصالات الحيوية.

دبلوماسية متعددة المهام يختارها المغرب لرئاسة «الهاكا»

لطيفة أخرباش

تبحث عن المشترك الإنساني للرقي بمهنة الإعلام

● تكليف العاهل المغربي لأخرباش بعدد من مواقع المسؤولية وإثباتها الجدارة والكفاءة هو تعبير عن الدرجة التي بلغتها المرأة المغربية من حرية الوصول إلى مناصب كانت حكرا على الرجل.

● إيمان أخرباش بالتعددية الثقافية ينسجم مع هدف الهاكا بتنظيم عمل تيارات الفكر والرأي.

● انتماؤها إلى المنطقة المتوسطية يدفع أخرباش إلى النظر إلى هذه المنطقة كمنتدى للحوار بين دول الضفتين، وفضاء استراتيجي للتفاعل والعمل المشترك.

محمد بن امحمد العلوي

❑ مطلع ديسمبر الجاري عين العاهل المغربي الملك محمد السادس سفيرة الرباط في الجمهورية التونسية لطيفة أخرباش على رأس الهيئة العليا للمجلس الأعلى للاتصال المسموع والمرئي بالمغرب، والمعروف اختصارا بـ"الهاكا"، رئيسة جديدة لهذه المؤسسة الدستورية المهمة. وقد أكد المتتبعون على أن الفريق الذي تترأسه أخرباش فريق استثنائي وأنها تستحق المنصب كتشريف ومسؤولية نظرا لكفاءة هذه المرأة المغربية وحضورها الوازن في المهام التي كلفت بها سابقا، والتي برهنت من خلالها على ميزة المرأة المغربية وعطائها المستمر والمتميز والمتنوع.

إرادة حديدية

تجديد تركيبة هذه الهيئة الهامة يأتي حسب بيان الديوان الملكي بعد الارتقاء بها إلى مؤسسة دستورية مستقلة لتقنين وضبط مجال الاتصال السمعي البصري الوطني، كما يعكس حرص العاهل المغربي على قيامها بمهامها، ولا سيما ما يتعلق منها بضمان حرية الاتصال السمعي-البصري، وحرية التعبير وحمايتها، وحق المواطنات والمواطنين في المعلومة وفي الإعلام والخبر، بما يكفل إرساء مشهد سمعي-بصري متنوع وتعددي ومتوازن، في إطار احترام التعددية السياسية والثقافية واللغوية، وتيارات الرأي والفكر ببلادنا، والالتزام بالقانون وبالمهنية وأخلاقيات المهنة.

أخرباش المولودة في تطوان شمالي المغرب سنة 1960، تأتي إلى هذا المنصب وهي مثقلة بهموم وتحديات الصحافة والإعلام، غير مرتبكة ولا متوجسة، فهي ابنة الميدان دراسة وتدريسا وإدارة وبحثا. ونظرا لكون المنصب يتمتع بهالة دستورية كبيرة فالمتوقع أنها ستشحذ كافة أسلحتها التفاوضية والإقناعية التي خبرتها في ميدان العمل الدبلوماسي في عدد من البلدان سفيرة ومسؤولة في وزارة الخارجية حيث كانت تشغل منصب كاتبة الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية والتعاون الدولي.

وسينصب عملها على رأس الهاكا على تطوير الهيئة وإعطائها البعد التنويري والتعددي وإطلاق حزمة من القرارات والمشاريع للنهوض وإعادة تأهيل قطاع الإعلام كقوة ناعمة وواجهة للدفاع عن المكتسبات وإبراز الفرص ومواطن الضعف. وتبدو أخرباش متسلحة بترسانة علمية مهمة ورصيد معرفي في المجال الإعلامي، فبعد حصولها على الباكالوريا في شعبة العلوم الرياضية، التحقت بالمعهد العالي للصحافة بالرباط، وتخرجت منه سنة 1983.

طموح أخرباش وإرادتها الحديدية دفعاها إلى الاجتهاد والانكباب على الدرس للحصول على الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال من جامعة باريس. وقد خبرت ميدان التدريس والبحث بمجال الإعلام لأكثر من 20 عاما، ومن خلال عملها كمديرة للمعهد العالي للإعلام والاتصال وكمديرة للإذاعة المغربية.

"الهاكا"، كمؤسسة دستورية مستقلة تتولى تقنين وضبط مجال الاتصال المسموع والمرئي بالمغرب. ولذلك يتوقع أن تشمر أخرباش عن سواعد قوتها ورصيدها الثقافي وحسها الحقوقي، لتختبر ما أسنده المشرع المغربي للهيئة منذ إحداثها، مهمة ضمان التعبير عن تعددية تيارات الفكر والرأي في خدمات الاتصال السمعي البصري، إضافة إلى السهر على الحق في المعلومة في الميدان السمعي البصري، وذلك في إطار احترام القيم الحضارية الأساسية وقوانين المملكة.

وقد سبق للمجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري أن أصدر في 7 يونيو من العام الحالي، قرارا جديدا يتيح للهيئة العليا للاتصال السمعي البصري تنظيم التعبير التعددي لتيارات الفكر والرأي في خدمات الاتصال السمعي البصري خارج فترات الانتخابات العامة والاستفتاءات.

المرأة المغربية والحريات

إيمان أخرباش بالتعددية الثقافية والفكرية يتماشى مع هدف قرار الهاكا بتحقيق نقلة نوعية في تنظيم التعبير التعددي لتيارات الفكر والرأي، باعتماده مقاربة تزاوج بين "مبدأ الإنصاف" الذي يضمن، استنادا إلى قواعد التمثيلية في المؤسسات المنتخبة، الدخول المنصف للأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والمهنية إلى خدمات الاتصال السمعي البصري، وبين مبدأ التوازن الذي يضمن تعددية المصادر والتعبير عن مختلف وجهات النظر عند التطرق لقضايا الشأن العام.

أخرباش وفريقها، الذي أقسم أمام الملك، سيعملان على الاجتهاد بتفعيل المناصفة بين النساء والرجال في البرامج الإخبارية، وإشراك المرأة في تناول سائر المواضيع ذات العلاقة بالشأن العام، وحق جمعيات المجتمع المدني في الولوج إلى برامج خدمات الاتصال السمعي البصري، في إطار احترام قواعد الإنصاف الترابي والتوازن والتنوع وعدم التمييز.

إن تكليف أخرباش بعدد من مواقع المسؤولية وإثباتها الجدارة والكفاءة هو تعبير عما وصلت إليه المرأة المغربية من حرية في التحرك والوصول إلى المناصب التي كانت حكرا على الرجل، فأدوار هذه المرأة دبلوماسيا وإعلاميا تعكس شخصيتها القوية.

الصحافية والكاتبة ومنتجة برامج ثقافية بقناة التلفزيون الأولى بديعة الراضي، تصف أخرباش بالمرأة "الحارّة" نظرا لجديتها وديناميتها، حتى أن البعض كانوا يطلقون عليها "العسكرية".

ولا بد أن أخرباش ستتذكر قولها "إننا في المغرب وعدد آخر من الدول، في حاجة إلى مشاركة متزايدة للنساء من أجل تشجيع التقدم الاجتماعي ومحاربة الفساد، وأن الالتزام النشيط للمجتمع المدني بمثابة عنصر آخر مهيمن في مسلسل توطيد حقوق المرأة المغربية وتعزيز مساهمتها المواطنة".

تعزيز قيم الاعتدال

نظرا للأدوار التي لعبها الملك محمد السادس في تقديم المرأة المغربية إلى ميدان السياسة والاقتصاد والدبلوماسية والإعلام وغيرها من المجالات إلى حد أنه اتخذ من الراحلة زليخة نصري مستشارة له لأول مرة بشكل مباشر وعلني داخل البلاط الملكي، كما تقول أخرباش فإنه ومنذ توليه عرش المملكة قد خص المغربيات بسابغ عطفه، فلم يألُ جهدا في الإنصات لرغباتهن، ومنحهن حقوق المواطنة كاملة، وتلبية طموحاتهن في الكرامة والتمكين الاجتماعي، وتيسير السبل لمساهمتهن في الحياة السياسية وحفز طاقاتهن للدفع قدما بأوراش التنمية وازدهار الوطن.

لقد وضع الملك إرادته وشرعيته لخدمة النهوض بأوضاع المرأة المغربية، داعما بثقله الكبير إصلاح مدونة الأسرة وتشجيع دخول النساء إلى مواقع القرار ومناصب المسؤولية حتى أصبح بإمكان المرأة المغربية أن تشغل مهنة "العدول" لتنخرط في إصلاح الحقل الديني، ما عزز المقاربة المغربية في مواجهة التطرف وتعزيز قيم الاعتدال والحوار، مرورا بمحاربة كل صنوف الفوارق بين الرجل والمرأة، حسب أخرباش التي تقول إنه في مختلف هذه المحطات، كان العاهل المغربي حاضرا بقوة للدفع قدما بتلك المسارات كعنصر حاسم في تقوية المجتمع المغربي في صموده أمام الظلامية والتقهقر وفي مسيرته نحو الحداثة والتقدم الإنساني.

ترى أخرباش أن للاستقرار عوامل وأسبابا على رأسها الثقة في المؤسسات وانفتاح النظام السياسي المغربي وديناميته، إضافة لإشراك المجتمع المدني عوامل من بين أخرى تعزز الاستقرار في المغرب، وهنا تبرز أخرباش المكانة الهامة للملكية كمؤسسة جامعة في بيئة تتميز بتنوع ثقافي وديني واجتماعي وسياسي، هذه المؤسسة متجذرة في الشخصية التاريخية للبلد منذ 12 قرنا، وكانت على الدوام موجهة نحو المستقبل والتقدم.

التطور الديمقراطي للمغرب توّج، وفقا لأخرباش، بالدستور المغربي الجديد والآفاق الجديدة التي يتيحها لدعم هذا الاستقرار كنتيجة لدينامية حقيقية للإصلاحات التي هدفت إلى تعزيز الديمقراطية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والدفاع عن الوحدة الترابية والتمسك بالملكية، بعيدا عن كل خلافات سياسية أو تنوع ثقافي أو اجتماعي، فالوحدة الوطنية في أبهى صورها كما بينت الأحداث ذات الصلة بقضية الصحراء، وتستدعي من الشركاء الدوليين للمغرب الاعتراف للشعب المغربي مرة وإلى الأبد بحقوقه التاريخية، واحترام قضاياه المقدسة. إذ لا تخفي أخرباش أن استمرار النزاع المصطنع حول الصحراء المغربية، بسبب العرقلة التي تقوم بها الجزائر لكل حل سياسي متفاوض عليه، دائم ونهائي لهذا النزاع، يرهن بروز مغرب عربي مندمج اقتصاديا ومنسجم سياسيا.

فالتبني العلني لقضية الصحراء المغربية معطى رئيسي ومستدام في الحياة السياسية المغربية، ولهذا تؤكد أخرباش أن احترام هذا الواجب الدستوري والالتزام بالحلم المغاربي لشعوب المنطقة، لا يعني محاولة جعل هذه الشعوب تعتقد أن المبادلات التجارية يُمكنها أن تحل محل إرادة سياسية حقيقية من أجل بناء فضاء مغاربي مندمج اقتصاديا ومستقر سياسيا.

الحوار وثقافة السلم

حين يجري الحديث عن الفرانكفونية والانفتاح الثقافي تؤكد أخرباش دوما أن المملكة المغربية كانت على الدوام تعتبر ذلك جزءا من أسسها الثابتة، فالمغرب انخرط مبكرا في الليبرالية والانفتاح الثقافي وقيم الحداثة والحوار الديني والتعددية، سواء في الميدان القانوني أو في سياسته العمومية الداخلية وكذلك الشأن بالنسبة لسياسته الخارجية وعلاقاته الدولية.

> تجديد تركيبة الهاكا يأتي بعد الارتقاء بها إلى مؤسسة دستورية مستقلة لتقنين وضبط مجال الاتصال السمعي-البصري الوطني، كما يعكس حرص العاهل المغربي على قيامها بمهامها، ولا سيما ما يتعلق منها بضمان حرية الاتصال السمعي-البصري وحرية التعبير وحمايتها

رئيسة "الهاكا" قبل أن تكون سفيرة للمغرب في تونس، كان الملك محمد السادس قد عينها سفيرة لدى جمهوريتي بلغاريا ومقدونيا، ومن هذا المنصب الحيوي استطاعت أن تكوّن رؤية حول البعد الثقافي في العمل الدبلوماسي، وما يمكن أن يحققه من ثقل ومردودية على البلد.

ولذلك تؤمن أخرباش بمضاعفة المبادرات المشتركة التي ينخرط فيها العديد من الفاعلين، خاصة من الأوساط الجامعية ومن المجتمع المدني بين المغرب ودول أخرى، الهادفة، على الخصوص، إلى ترسيخ قيم الحوار وثقافة السلم، كما تؤكد أن المملكة المغربية تعتبر الفرانكفونية مجتمع قيم ينتمي إليه كل من يعتقد بأن الثقافات متساوية وأن التنوع والمساهمة الفردية لكل واحد منها هما إثراء للإنسانية.

انتماؤها إلى المنطقة المتوسطية يدفع أخرباش إلى النظر إلى هذه المنطقة كمنتدى للحوار بين دول الضفتين. وهي تعتبرها فضاء استراتيجيا للتفاعل والعمل المشترك، قادرا على خلق منافع اقتصادية واجتماعية للضفتين.

أخرباش التي تعد من النخب النسوية ذات الصيت العالي داخل المملكة وخارجها لعملها الدبلوماسي والسياسي ولأدوارها في الإعلام، شاركت في تأليف عدة كتب لا سيما "النساء والإعلام" و"النساء والسياسة"، كما نشرت عدة مقالات ودراسات حول الإعلام والاتصال، وعملت صحافية بأسبوعية "لا في إكو"، وشغلت أيضا ممثلة للمغرب في الشبكة الأورومغاربية للتكوين في مهن الاتصال الذي تم إحداثه من طرف اللجنة الأوروبية، وتولت منصب مستشارة بمؤسسة فريديريش ناومان، ونتيجة لمسارها الحافل تم توشيحها من قبل الرئيس الفرنسي السابق فرنسوا هولاند في العام 2015 بوسام جوقة الشرف من درجة فارس.

> عمل أخرباش على رأس الهاكا ينصب على تطوير الهيئة وإعطائها البعد التنويري والتعددي وإطلاق حزمة من القرارات والمشاريع للنهوض وإعادة تأهيل قطاع الإعلام كقوة ناعمة وواجهة للدفاع عن المكتسبات وإبراز الفرص ومواطن الضعف

ساحر الرسم الحديث في عُمان

أنور سونيا

العائد إلى بيته رساما

فاروق يوسف

❏ كان عليه أن يرتقي أعلى قمم جبال بلاده ليختبر موهبته رساما. الشاب الذي لم يولد على تلك الأرض كان يشعر أن عاطفة خفية تشده إلى الوديان السحيقة والى بحر بعده بحر وهو الذي ولد في جزيرة صغيرة.

فجأة وقف أمام مرآة التاريخ باعتباره رائدا في بلد لم يعرف الرسم من قبل. لم يكن لديه ما يعينه على أداء ذلك الدور سوى شغف كبر معه وجعله لا يرى العالم إلا من خلال الصورة التي تلتقطها يد الرسام. لذلك تحول سفره بين الأشياء إلى مجموعة من الصور التي تثري ذاكرته وتعيده مواطنا يبحث عن ذاته في موضوع، صار بالنسبة له ركيزة عيش.

> أنور سونيا المحمول على هاجسه الشخصي، يرسم مسقط بجبالها ووديانها وبحرها وأسواقها وبيوتها وناسها كما لو أنه يكتشفها، بالرغم من شعوره بأنه لم يكن غريبا عنها

محمولا على ذلك الهاجس الشخصي رسم أنور سونيا مسقط بجبالها ووديانها وبحرها وأسواقها وبيوتها وناسها كما لو أنه يكتشفها بالرغم من شعوره بأنه لم يكن غريبا عنها. كانت حكايات البلاد الساحرة قد تسربت إلى روحه في طفولته وصباه اللذين صارا يبتعدان، بعد أن مكنه الرسم من أن يؤنسن الهواء الذي يفصله عن المشاهد التي يرسمها.

لقد أنهى الرسم غربته التي كانت إلى وقت قريب نوعا من المواطنة.

مع عدد قليل من هواة الفن نجح سونيا في أن يؤسس لتقليد ثقافي جديد لم تعرفه السلطنة من قبل. صار الرسم جزءا من حياة المجتمع الذي عُرف بسعة وعمق اهتمامه بالأدب، الشعر بشكل خاص.

غير أن تلك المكانة التاريخية لا تغطي على قيمة ما أنجزه سونيا رساما.

لقد أدرك الفنان أنه ظهر في لحظة متأخرة لذلك سعى إلى اختزال الزمن فكان تجريبيا في محاولاته الفنية، وهو ما مكنه من أن يتنقل بين المدارس والأساليب الفنية التي عرفها تاريخ الفن التشكيلي في العالم.

ابن البيئة العمانية

حاول سونيا أن يكون واقعيا وتعبيريا وسوريواليا وتجريديا بقدر ما سمحت به موهبته ومهارته وقدرته على فهم تحولات الفهم ومن ثمّ تطبيقها محليا.

هو ابن البيئة العمانية التي كان مخلصا لها واقعيا غير أنه في الوقت نفسه كان جادا وعميقا في أسئلته الوجودية التي تتعلق بالمصير البشري في تلك البقعة من الأرض.

ولد أنور خميس سونيا الزدجالي في البحرين عام 1948. كانت عائلته العمانية قد استقرت هناك طلبا للرزق. وقف ولعه بالرسم حائلا بينه وبين إكمال دراسته. تأثر في محاولاته الأولى برسوم البحرينيين، إسحاق الكوهجي وعبدالله المحرقي، وكان يلتقي عددا من أصدقائه العمانيين الذين كانت لهم اهتمامات فنية، من بينها الرسم والموسيقى.

حين عاد مع عائلته إلى مسقط عام 1970 مع اعتلاء السلطان قابوس العرش كان رساما. وهو ما دفعه إلى اكتشاف البيئة الجديدة التي فاجأته.

لقد رسم أحياء مطرح حيث كان يقيم. وبقدر ما كان يحاول اكتشاف المكان فإنه كان يسعى إلى اكتشاف نفسه. فتلك بلاده التي حُرم من رؤيتها والعيش فيها زمنا طويلا. ستكون رسومه الوصفية مناسبة لإعادة الصلة وتوثيقها بالمكان. كان الرسم بمثابة علاج لقطيعة لم تكن مقصودة.

رسم سونيا بلادا لم يكن يعرفها من قبل غير أنه في الوقت نفسه استوعب فكرة مواطنته عن طريق الرسم. لقد امتزج مصيره بما يرسمه. سيقول لنفسه "أنت هناك. في الصورة كما في المشهد الذي تنقله. حياة مزدوجة ستعيشها ما تبقى من عمرك". لذلك لم تكن لوحاته مجرد وصف محايد للمكان. لم يكن زائرا عابرا. كانت فكرة العودة إلى البيت أساسية ضمن طريقته في التفكير في الفن ومن خلاله.

مسقط العامرة بالألوان

كان على سونيا أن يفتتح دروبا تتبعه فيها تلك الأرواح التي وجدت في الرسم مستقرا لما تبحث عنه من جمال مجاور لجمال الطبيعة التي تتعدد مظاهره في بلد مثل عُمان. تمثلت خطوته الأولى في ذلك من خلال انضمامه إلى النادي الأهلي الذي ضم إضافة إليه حسن بورو ولال بخش ومحمود مكي ومنير صادق. كانت تلك الخطوة نقلة مهمة في تاريخ الحركة التشكيلية العمانية إذ حل الاحتراف محل الهواية وهو ما مهد لتأسيس الجمعية العمانية للفنون التشكيلية عام 1993.

يقول سونيا "كانت مسقط القديمة عامرة بالألوان، وتكاد تشبه حارة من فرط تقارب البيوت والناس. وكثيرا ما كانت تسحرني طريقة تهندم المرأة، وكذلك البحر والميناء والسوق التقليدي والرقصات الشعبية، وكانت هناك بيوت تراثية مثل بيت العصفور، وفي هذا الوسط عشت فترة شبابي المبكرة التي تزامنت مع بداية تجربتي الفنية، حيث اشتغلت على البورتريهات والمناظر الطبيعية والمباني ذات الشناشيل الخشبية والتي لا تزال أطلالها باقية إلى اليوم".

في سياق ذلك القول يمكننا العودة إلى الموضوعات التي عالجها سونيا في عدد من لوحاته؛ بائعة الملابس، الدلالة، السماك، بائعة الأكياس في مطرح، مصارعة الثيران في بركاء، بائعة الادوية، قلعة نخل، ومحاسبة بين مالك الأرض والفلاحين.

واقعيته تقوم على ركيزتين؛ الارتباط بالبيئة المحلية والنظر إليها عن قرب واقتطاع أجزاء منها تكون بمثابة شهادة تعبيرية من غير التركيز على المفردات التراثية إضافة إلى مشاركة الناس العاديين همومهم وعرض مشكلاتهم وهو ما يكشف عن الطابع الإنساني الذي تميزت به تجربة الفنان.

لقد فتنته البيئة وجذبت نظره غير أنه لم يضْفِ عليها طابعا رمزيا بقدر ما سعى إلى استحضارها كما هي والتقاط مواقع جمالها كما أنه ركّز على المشاهد التي توثق الحياة اليومية مع سعيه لاقتناص اللحظات التعبيرية التي تهب تلك المشاهد قوة استثنائية، تكون سببا مقنعا لاختيارها موضوعا للرسم.

التجريدي مستلهما الواقع

لقد اختبر الفنان مهاراته وقدرته على التحكم بمواده وتقنياته من خلال لجوئه إلى رسم الموضوعات المتاحة وهو في ذلك قد نجح في أن يبني أساسا مهنيا صلبا لتجارب الرسامين الذين ظهروا بعده.

كان وفيا للدور الطليعي والريادي الذي قُدر له أن يقوم به. لذلك يمكن القول إن رسامي السلطنة يدينون بالشكر لما فعله ذلك الفنان.

رسام الوجوه، كما يُلقب، لم تعد الوجوه تثيره بتفاصيلها الدقيقة وما تنطوي عليه من قوة تعبيرية. صار لديه هدف مختلف من رسم الوجوه. البحث عن قدرة الرسم في التعبير من غير الاستعانة بالموضوع الذي هو الوجه. لذلك صارت الوجوه تحضر شبحية من غير ملامح محددة وهي التقنية التي استعملها الرسام في معالجة موضوعاته الأخرى. يومها انتقل سونيا إلى مرحلته التجريدية. وهي مرحلة، حرص الرسام فيها على ألا يكون منقطعا عن أسلوبه. سونيا التجريدي هو جزء مكمّل لتجربة الفنان الواقعي. بمعنى أن الرسام وصل إلى المستوى الذي يؤهله للنظر إلى خلاصات عمله باعتبارها أساسا لطريقة مختلفة في معالجة موضوعاته.

تجريديات سونيا تستلهم الواقع من خلال اختزال علاقاته الشكلية وتحويلها إلى رموز. فإذا كانت رسومه الواقعية تحتمل التأويل الحكائي، فإن رسومه التجريدية صارت قريبة من الرقى التي ينظر إليها السحرة باعتبارها أسبابا للخلاص. وليس ذلك بعيدا عن المكانة التي يحتلها سونيا في المشهد التشكيلي العماني. فالرسام الذي لم يُدر ظهره إلى الواقع في ذروة انهماكه التجريدي، كان يمارس دور الساحر الذي تحلق خفته بمشاهديه، من غير أن تفقدهم صفتهم ككائنات واقعية.

> واقعيته تقوم على ركيزتين؛ الارتباط بالبيئة المحلية، والنظر إليها عن قرب واقتطاع أجزاء منها تكون بمثابة شهادة تعبيرية، من غير التركيز على المفردات التراثية، إضافة إلى مشاركة الناس العاديين همومهم

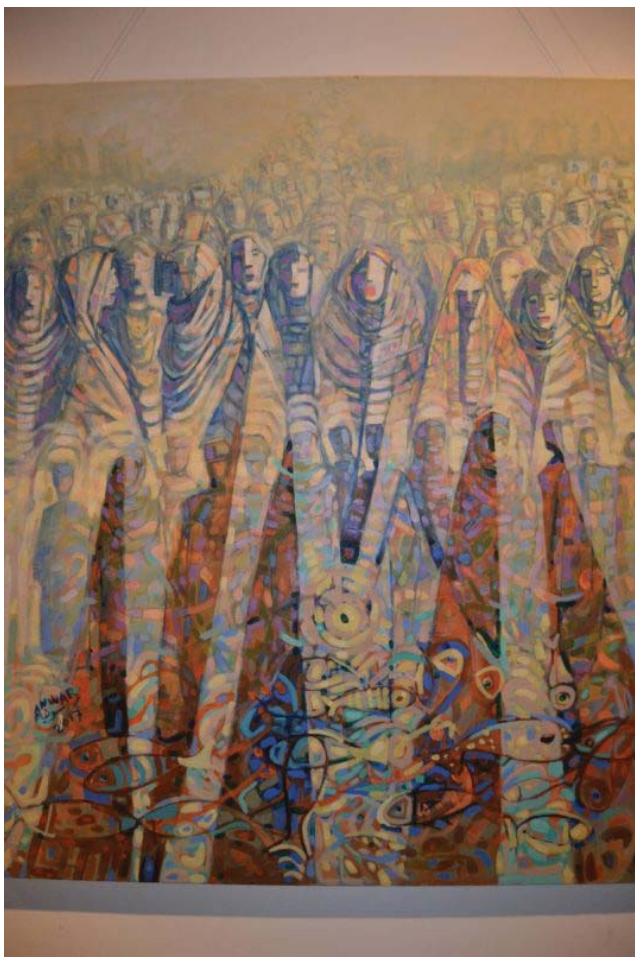

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

ذروة عصر جديد

نهاية زمن الفضائيات

هيثم الزبيدي
كاتب من العراق

❏ نهاية الثمانينات وبداية التسعينات تبدوان ماضيا بعيدا. في بريطانيا، الدولة المتقدمة، كانت هناك أربع قنوات تلفزيونية. اثنتان منها تتوقفان عن البث عند منتصف الليل. في أرجاء العالم كان البث الأرضي عبارة عن قنوات منفردة لا يراها المشاهد إلا مساء. فكرة البث التلفزيوني على مدى 24 ساعة كانت أشبه بالأحلام. فكرة أنك تستطيع التقليب بين عشر قنوات تلفزيونية كانت تبدو من الخيال العلمي. البث التفاضلي الذي سبق العصر الرقمي كان يجبر شركة تريد الدخول إلى السوق على إرسال تقنيين في التسعينات إلى كل منزل بريطاني. كانوا يعيدون ضبط ترتيب القنوات لكي يكون بوسع أجهزة التلفزيون التقاط قناة خامسة.

الصحون اللاقطة في الغرب بدأت كشيء من الترف. إطلاق قنوات سكاي كان أشبه بالمغامرة. ركزت القنوات الأولى على الأخبار والأفلام، باعتبار أن الخبر والترفيه صنفان من الغذاء العقلي لا يمكن الاستغناء عنهما. مرت بعض القنوات من خلال خدمات بدائية للكيبل. لا أزال أذكر دهشتي في عام 1989 عندما زرنا صديقا في حي وسط لندن لنكتشف أنه يتفرج على قناة دبي. قناة تبث بالعربية في لندن؟ إنها معجزة. سرعان ما لاحظت أن الأخبار قديمة بعض الشيء. اكتشفت أن أشرطة البث المسجلة لكامل بث القناة ترسل يوميا على الطائرة إلى شركة الكيبل لتبثها متأخرة. ما العيب في هذا طالما أننا نشاهد قناة عربية.

ثم تزاحمت القنوات منتصف التسعينات. ومع الاستغناء عن البث التفاضلي المكلف والمحدود، ودخول العصر الرقمي، كانت القنوات تنبت مثل الفطر في غابة رطبة. تراجع الكلفة وسهولة العمل باستخدام التقنيات الرقمية والمنافسة السياسية كانت أسبابا لزيادة عدد القنوات وتنوع برامجها. صار الريموت كونترول قطعة أثاث لا بد منها في أي منزل، وبسبب الازدحام صارت أجهزة الالتقاط تسمح لك بإعادة برمجة تسلسل القنوات ووضع البعض منها في المقدمة أو كقنوات مفضلة أكثر من غيرها.

ثورة الاتصالات بلغت مجدها في العالم، وفي عالمنا العربي أيضا، مع تفجر المزيد من الحروب والأزمات، ومع انفتاح شهية القنوات على شراء الإنتاج الدرامي.

في كل هذه الوفرة كانت ثمة إشكالية بالنسبة للمشاهد. لو تأخرت خمس دقائق في زحمة المرور مثلا أو سهوت عن موعد الأخبار أو بث المسلسل أو الفيلم، فعليك انتظار ساعة أو نصف يوم أو حتى أيام للإعادة، هذا إن كانت هناك إعادة. الوفرة لم تعالج قضية التوقيت. وقد ابتدعت شركات التكنولوجيا حلولا مختلفة، مثل تلك الأجهزة التي تسجل كل البرامج على مدى 24 ساعة وتسمح لك باستعادة ما فاتك. ولكن كم برنامجا وكم قناة يمكن تسجيلها؟ كان الحل متعثرا من البداية ولم يجد صدى حقيقيا لدى المشاهد/المستهلك.

لوحة رشوان عبد الباقي

في رمضان، لا يفوتنا المسلسل العربي. هو مباع لعشرات من القنوات. وما فاتك هنا، تلتقطه هناك. ولكن ما تزال تضبط ساعتك لكي لا يفوتك الموعد، خصوصا وأنت تمارس لعبة تقليب القنوات عبر الريموت كونترول.

كان عدد لا بأس فيه من المستثمرين يفكر بالبث التدفقي. لماذا انتظار أي شيء طالما بالإمكان استعادة أي برنامج في أي لحظة نريد. التكنولوجيا كانت متاحة، ولكنها لم تكن بالقوة الكافية، خصوصا في ما يتعلق بخطوط الإنترنت. لكي تشاهد فيلما أو مسلسلا أو استعادة لنشرة الأخبار، كان عليك أن تقبل بصورة ذات نوعية أقل لأن ملفها أصغر ويمكن أن يمر بسهولة أكبر عبر الإنترنت البطيئة نسبيا.

زادت سعة خطوط الإنترنت وزادت شهية الناس للبث التدفقي. دخلت الشركات مجازفة الاستبدال. شاهدنا نتفليكس وأمازون تقدم البدائل وتستقطب الاهتمام. زاد اهتمام المستخدمين بالتقنية وصارت تعامل كحقيقة. يوتيوب زاد من الإحساس بأن بوسعك استدعاء أي ملف فيديو في أي وقت. وإذا كان يوتيوب يعمل الأمر ببلاش وبطريقة بدائية نسبيا، لماذا لا تتوجه الناس إلى المحترفين في نتفليكس؟ مبلغ شهري قليل وتبدأ بمشاهدة الكثير من الأفلام والوثائقيات والمسلسلات.

النقلة الأخطر كانت تحول نتفليكس وأمازون من موزع للبرامج إلى منتج لها. هوليوود تدفقية على شاشة الكمبيوتر وتلفزيون البيت؟ ماذا تكره من هذه الخاصية؟ قنوات سكاي الجبارة لم تخط مثل هذه الخطوة واكتفت بشراء الحقوق وإعادة توزيعها عبر البث الفضائي. إنتاج المحتوى صار ملكا متوجا على صناعة الترفيه.

النقلة الأكثر خطورة بالمطلق هي أن تذهب القنوات التلفزيونية التقليدية، الأرضية والفضائية، إلى منصات أمازون مثلا وتطلب منها أن تبث من خلال شبكة مشتركيها. الأقمار الصناعية بدأت تخسر زبائنها. شبكات التوزيع عبر الكيبل في الولايات المتحدة وحول العالم تنزف مشتركيها بمئات الآلاف كل شهر.

مرة أخرى نقول إنه عصر جديد. قلناها قبل سنوات قليلة ماضية حين وصفنا عصر الفضائيات، لكن عصر الفضائيات على وشك الرحيل وها نحن نعود إلى الأرض.

هل التشاؤم مهنة الفيلسوف؟

حميد زناز
كاتب من الجزائر

❏ وهي تحدق في صورة أرتور شوبنهاور الشهيرة التي يظهر فيها الفيلسوف بذلك الوجه المكفهر العبوس، قالت ابنتي: هل ينبغي أن يكون المفكر متشائما ليكون فيلسوفا؟ وبالمناسبة، أضافت المراهقة ضاحكة شبه مرتابة، وهل يوجد فلاسفة متفائلون أصلا؟

ولئن كان السؤال طريفا لأول وهلة، فهو سؤال في العمق إذ بوسعنا أن نروي على ضوئه وانطلاقا من محاولة الإجابة عنه تاريخ الفلسفة برمته. لنذكر من المتفائلين الكثيرين أكثرهم شهرة: الألماني كارل ماركس والفرنسي أوغست كونت واللذان تولى التاريخ دحض تفاؤلهما ولو أن التاريخ لا يزال طويلا ولم ينته بعد كما اعتقد فيلسوف متفائل آخر معاصر، الأميركي، ياباني الأصل فرنسيس فوكوياما.

لقد طور كارل ماركس وأوغست كونت خلال القرن التاسع عشر رؤيتين متفائلتين كبيرتين مفادهما أن التاريخ والعلم سيخلصان ويحرران الإنسان من وضعه المأساوي وشقائه بعد مدة قد لا تكون طويلة. ولكن جاء القرن العشرين لينسف على الأقل التجارب التي بنيت على قراءة معينة في فهم الفيلسوفين الكبيرين وخيبت آمال العلمويين والحالمين بغد عادل خال من الطبقات ومن التراكم الخرافي.

في مقابل الفشل الذريع للتجربة الشيوعية كما انتهجها الروس ومن أجبروا على محاكاتهم وأمل العلموية الذي ضاع بين التصورات العلمية الجديدة كان لا بد أن يعود البعض إلى أفكار الريبة المتشائمة وفكر العبث وخاصة بعد أهوال الحرب العالمية الثانية وما خلفته من دمار أخلاقي. فهل وعي التجربة ملازم للتشاؤم وعدمه للتفاؤل؟ بكلمات أخرى هل العقلانية توصل حتما إلى رؤية سوداوية واللاعقلانية إلى رؤية للوجود وردية؟

عودت الديانات التوحيدية البشر التعلق بعالم غيبي صُوِّر لهم على أنه أفضل من العالم الذي يعيشون فيه، فالدين عموما تعزية ومواساة بينما ليس للفلسفة من طموح سوى التفكير في ما هو كائن بكل ما يحمل من عنف وظلم وشر ومن هنا يبدو الفلاسفة لأغلبية الناس كأنهم أقرب إلى التشاؤم بل يظهرون وكأنهم متواطئون ضد الفرح والأمل أحيانا. ومرد ذلك أن الناس غير متعوّدين على النظر إلى الواقع كما هو لأن الديانات قد زرعت في أذهانهم أوهاما كثيرة عن طبيعة واقعهم وما بعد واقعهم خصوصا.

> عودت الديانات التوحيدية البشر التعلق بعالم غيبي صُوِّر لهم على أنه أفضل من العالم الذي يعيشون فيه، فالدين عموما تعزية ومواساة بينما ليس للفلسفة من طموح سوى التفكير في ما هو كائن بكل ما يحمل من عنف وظلم وشر

ومن الطبيعي جدا أن يكون الفيلسوف حاملا همّ الوجود لأن وجوده في العالم يطرح عليه ألف سؤال وسؤال ولو لا إشكالية الوجود لما وجدت الفلسفة أصلا. ولأن الغيب صامت والحياة معقدة وتزداد تعقيدا كل يوم يغدو معنى الوجود ذاته غامضا، ويخوض الإنسان تجربة الفلسفة ويبدأ في التساؤل عن جدوى حياته وليس من الغريب إذن أن تحمل الفلسفة جرح ذلك الهم الذي أوجدها. ولكن لا يعني أن ذلك الانشغال بالمعنى والمصير ولا ذلك الجلاء الذهني ولا ذلك القلق هي بالضرورة تشاؤم.

ولكن هذا لا يعني السقوط في ما أطلق عليه المفكر الفرنسي باسكال بروكنر "الابتهاج الدائم" في كتاب أصدره منذ سنوات تحت هذا العنوان نقد فيه نقدا لاذعا أيديولوجية الفرح المفروض اليوم كواجب في المجتمعات الغربية.

وهو ما ذهب إليه منذ أشهر مواطنه الفيلسوف روجي بول دروا في مؤلف لا يقل أهمية وعمقا هو "الفلسفة لا توصل حتما إلى السعادة.. وهذا أفضل"، شن فيه حربا ضروسا على أنبياء السعادة الجدد ومروجي الغبطة والسرور.

وحتى وإن كانت حقيقة الوضع الإنساني محزنة وتراجيديا الوجود مرعبة بعد "موت الإله" وانتفاء معه إمكانيات العزاء الكلاسيكية، فربما تبقى الفلسفة هي الطريق الوحيد الذي نتعلم ونحن نسلكه أن نحب الحياة مع وعينا بأنها منتهية وأننا سنموت يوما.

وعموما ليس للإنسان خيار آخر غير ذلك، فالاستمرار في العيش كالابتهاج برحلة نقوم بها مع علمنا المسبق بأنها ستنتهي حتما. تشاؤم الذكاء وتفاؤل الإرادة كما كان يقول الفيلسوف أنطونيو غرامشي.

أن تكون في معرض بيروت للكتاب

محمد حياوي
كاتب عراقي

❏ عام بعد آخر تترسّخ مكانة معرض بيروت الدولي للكتاب ويتبلور نمطه الثقافي والمعرفي والاقتصادي، انطلاقا من خصوصية معيّنة قد لا تتوفر لجميع معارض الكتاب العربية الأخرى.

وتتجسد هذه الخصوصية في عدد الناشرين اللبنانيين المشاركين فيه بأجنحة ضخمة تحتوي على المئات من العناوين الجديدة، إذ تتمتع هذه الدور، في غالبيتها العظمى، بالعراقة والمهنية لما عُرف عنها تاريخيا من دور رائد في ترصين ونشر الثقافة العربية والمعرفة الإنسانية، حتى تحولت بيروت، في مرحلة من المراحل ومازالت في الحقيقة، إلى عاصمة للكتاب العربي، حين كانت العواصم العربية الأخرى تشهد الكثير من القلاقل وعدم الاستقرار وتسلط أنظمة الحكم واستفحال ظاهرة الرقيب، تلك الظاهرة التي حرمت الكثير من المبدعين والمؤلفين العرب من مواصلة مشاريعهم الإبداعية والثقافية بحريَّة، فكانت بيروت واحة لتلك الحريَّة المفقودة ومحطة مهادنة ومخلصة لرؤاهم وطروحاتهم. وعرف المثقفون والقرّاء العرب أسماءً لامعة في عالم النشر مثل دار الآداب ودار العودة ودار الساقي ودار الفارابي والعربية للعلوم وغيرها الكثير، طالما ارتبط بمفهوم الجودة، وإذا ما أضفنا إلى هذه الأسباب قرب العاصمة بيروت الجغرافي من سوريا والعراق والأردن وفلسطين، فإن خصوصية معرض بيروت للكتاب تتبلور بشكل واضح وجلي، نظرًا لحجم المشاركة العراقية والسورية تحديدا فيه، سواء على صعيد الحضور كزوار ومقتني كتب أو على صعيد المشاركة كناشرين.

وبالنظر إلى سوء الأوضاع الأمنية والاقتصادية التي يشهدها كل من العراق وسوريا حاليا، فإن كلفة المشاركة في معرض بيروت بالنسبة للناشرين من هذين البلدين، هي أقل من مثيلاتها في معارض الكتاب الأخرى، وبالتالي باتت بيروت رئة بديلة يتنفس بواسطتها الناشرون العراقيون والسوريون بطريقة أو بأخرى. كما أن مشاركة بعض دور النشر الفلسطينية على قلتها ـ دار كل شيء من الناصرة على سبيل المثال ـ تشكل ظاهرة فريدة هي الأخرى، ليس على صعيد تقديم الكتاب الفلسطيني وحسب، بل على صعيد اقتناء الكتب العربية وتوفيرها للقارئ الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة والضفة الغربية، بعد أن تحول المعرض إلى سوق لعقد الصفقات والاتفاقات وتبادل العناوين المهمة وعقود النشر المشترك بين دور نشر عربية ونظيراتها اللبنانية المهمّة.

ومن الظواهر المهمة التي يستطيع زائر هذا العام تلمّسها، هي إصرار بعض دور النشر السورية على المشاركة وطرح المئات من العناوين المهمّة مثل دار نينوى للنشر والتوزيع ودار التكوين وغيرهما، وهي دور نشر مهمة نجحت في تأكيد حضورها في عالم النشر وصناعة الكتاب العربية بجدارة وحرفية لافتة، إضافة إلى مشاركة عدد من دور النشر العراقية المعروفة مثل دار المدى ودار الرافدين التي تمكنت هذا العام من طرح المئات من العناوين المختلفة وإصدار السلاسل المهمة كسلسة أدب الرسائل وسلسة تاريخ المعرفة، كما نجحت هذه الدار في أن تكون خيمة كبيرة لبقية الناشرين العراقيين ممن لم يتمكنوا من المشاركة بأجنحة مستقلة، إما بسبب التكاليف المالية وإما بسبب عدم توفر عناوين كافية لديها، إذ تأسست أغلب هذه الدور بعد العام 2003 ومازالت تتلمس طريقها للانتشار، على الرغم من جديتها وسعيها لتقديم المبدعين والمؤلفين العراقيين في الأوساط العربية.

ولعل ما يميّز معرض بيروت الدولي للكتاب أيضا، رصانة برنامجه الثقافي والفعاليات التي تنظم على هامشه، فقد تضمن برنامج هذا العام عددا من الندوات والحلقات النقاشية المهمة، كان أبرزها ندوة الشاعر السوري الكبير أدونيس التي حظيت بحضور جمهور واسع غصّت به القاعة وتركت أصداءً مهمة ومناقشات، لا سيّما تزامنها مع توقيعه لعدد من كتبه التي أصدرتها بعض دور النشر اللبنانية والسورية.

مريم مجيدي تنبش مقبرة الملعونين

«ماركس والدمية» رواية جريئة لكاتبة إيرانية متمردة

هيثم حسين
كاتب سوري

رواية مستوحاة من السيرة الذاتية للكاتبة

❏ تسرد الفرنسية الإيرانية مريم مجيدي في روايتها "ماركس والدمية" كثيرا من الحكايات للاجئين إيرانيين في المنفى، وكيف كان الشوق للوطن يقض مضاجعهم، ويبقيهم تائهين معلّقين في عالم لا يشعرون بالانتماء إليه، وآخر يشعرون بالانقطاع عنه.

كما تحكي مجيدي في روايتها؛ التي فازت بالجائزة الأدبية الفرنسية "غونكور الرواية الأولى" سنة 2017، مفارقات عن الحياة الباريسية، واختلافها عن الحياة في طهران، والبون الشاسع بين عالمين يتصارعان في داخلها، ويبلوران وجودها وحياتها.

الماضي الحاضر

تستحضر مجيدي الماضي، تبقيه حاضرا متجددا، تصور حالة رجل جالس يقبع وحيدا في زنزانة، يمسك حجرا بيده، وإبرة خيط بالأخرى، يحفر الحجر برأس الإبرة، ينقش اسما.. ويعيد العملية كل مرة، يحفر وينحت هذا الاسم على الحجر، وهذا ما كان يحميه من الجنون في سجنه. كان ذاك الاسم هو مريم التي ولدت منذ فترة قصيرة، وسعيا منه للتعويض عن غيابه عنها، يصنع هدية يأمل أن يقدمها لها يوما.

تقول إنه وجد هذا الحجر في باحة السجن ونجح سراً في اختلاس إبرة خياطة صغيرة، وتلك كانت طريقته ليقول إنه يفكر فيها، بتلك الطفلة الرضيعة التي لم تبلغ من العمر سوى بضعة أيام، والحياة ما زالت أمامها.

تعود إلى سنة 1980 لتتحدث عن موقف أمها المناهض لنظام الخميني، الأم التي كانت حاملا بابنتها مريم، وتصوّر مسعى الأم للتظاهر من أجل مستقبل أفضل لبلدها وابنتها، حيث تحدث سلطة أخيها البكر الذي صفعها محاولاً منعها من المشاركة في الاحتجاج.. تقول إنها برغم يقينها من أنها ستتلقى الكثير من الصفعات والشتائم لكن لا يمكن لشيء أن يوقفها في سن العشرين، لا صفعات الأخ ولا حملها ولا حتى الخوف من أن تُقتل.

تستنطق مجيدي الطفلة الصغيرة التي كانت في رحم أمها، وتصف مظاهر الاحتجاج، حيث سحابة دخان في البعيد، طلقات نارية، صيحات، وهي تخاف وتشعر بالخطر، فتتقوقع في قاع الرحم، لكن ذاك الرحم كان يهرع نحو الموت بقوة لا تقهر.

تصور هرب الأم الشابة في أروقة الجامعة، وكيف كانت توشك على السقوط، وكادت أن تنزلق فوق بركة دم يفضي أثرها إلى قاعة تدريس وتخرج منها صرخات مؤلمة.. تركض وتفشل في إيجاد مخرج، ترى شباباً يسقطون على الأرض، تسمع صرخات، تنزف أذناها، تود أن تختفي وتندس في زاوية مع طفلتها.

تقول إن أمها كانت تحتضن حياتها لكن الموت كان يرقص حولها هازئاً بها، يريد انتزاع طفلتها منها، يقترب منها ببشاعة ليلتهمها. وكان يجب عليها أن تقفز من الطابق الثاني وهي حامل في الشهر السابع، تتردد، تلتفت ويقع نظرها على العصي، وشعرت أن المسامير تنغرس في لحمها، فقفزت ثم كانت معرضة لخطر فقدان ابنتها، لكن الأقدار شاءت أن تنجو بأعجوبة.

تنتقل إلى توصيف منزل الجدة، حيث كانت تشعر بالأمان والطمأنينة، لكن الصورة المرعبة المنذرة بالموت ظلت تعود باستمرار إليها لتعذبها.. تتخيل جيشاً من الأشباح بلا أفواه، وتنتقل للخطاب بطريقة مباشرة قائلة إن أمها كانت تنتفض وتقول: أنتم تطالبون أن ندلي بشهاداتنا لكن ليس الآن، من فضلكم دعونا ننعم بالسلام، اذهبوا.. أركلكم بقدمي لأطردكم.

تستعيد مشاعر الطفلة الصغيرة وحيرتها أمام المصطلحات التي كانت تسمعها من والديها، من قبيل الملكية والشيوعية، إذ طلب منها والداها أن تهب دُماها لصبية الحارة، وقالوا لها إن عليها أن تتعلم العطاء، لكن براءة الطفلة وتعلقها بدُماها كانا يطغيان على أي فهم أو شعور، وقررت أن تدفن الدمى في مكان تعرفه لتعود إلى نبشه حين تتسنى لها الفرصة.

العطاء

تستذكر صورة الطفلة وهي تقرأ كتبها وتلعب بدميتها، وكيف أنها اضطرت أن تعطي ملابسها وكتبها وأثاث حجرتها، وكانت تلك الهبات تحدث كل مرة وسط الصراخ والبكاء، لكنها كانت تلزم الصمت أمام الأطفال الذين يأتون إلى منزلهم وينتظرون للحصول على دمية أو كتاب. وبهيئة رزينة ورسمية تناول الدمية بصمت.

تكون المفارقة أن والديها أيضاً يضطران لدفن كتبهما الشيوعية، وبخاصة كتب ماركس، ويكون الدفن من نصيب الكتب التي كانت كنوز الوالدين، والدمى التي كانت كنوز الطفلة، على أمل أن يكون هناك مجال للعودة وإخراج الكنوز المدفونة تحت الأرض. لكن العودة بالنسبة لمريم تكون عبر التذكر والكتابة.

وحين كانت ترى دميتها ثانية بين أيدي أطفال الحي الفقراء، بعيونهم المندهشة وابتساماتهم الخجولة، وما إن يغلق الباب، حتى كانت تهرع إلى غرفتها ويستولي عليها حزن عميق لرؤية حجرتها تفرغ شيئاً فشيئاً.. تستأنف البكاء وأحياناً العويل، حتى ينتهي بها الأمر إلى الغرق في حالة من الوهن والخمول، وعيناها معلقتان في الفراغ، كانت تشعر أنها وحيدة في العالم. وتترسخ لديها قناعة بأنها تعيش مع وحشين سيحرمانها من كل شيء.

تتذكر حالة جدتها التي شدت شعرها حين علمت أن الدمى التي اختارتها لها بعناية وحب أعطيت إلى أطفال الحي، وحاولت منع والدَي مريم لكن لا شيء كان يمكن أن يثنيهما عن عزمهما، إذ كانا مقتنعين أنهما يعلمانها بذلك أحد دروس الحياة الأساسية: الانفصال عن الأشياء المادية وإلغاء المُلكية والاستحواذية لديها.

تقول إنها كانت تود أن تمضي حياتها في جمع القصص، وأن تضعها في محفظة وتحملها معها، وبعد ذلك في اللحظة المناسبة تقدمها لأذن مرهفة حتى ترى السحر يولد في النظرة، تودّ أن تنثر القصص على مسامع كل الكائنات، تريدها أن تزهر، وتنبت وروداً معطرة عوضاً عن كل تلك الورود الضائعة والغائبة.

تتحدث عن مقبرة في شرق طهران، مقبرة خافاران، المعروفة أيضاً باسم لاناتاباد، وتعني مقبرة الملعونين، حين يعدمون سجيناً سياسياً يلقون جثته هناك في حفرة جماعية، دون أي تسجيل، أو شاهدة، ولا حتى حجر. أرض فسيحة قاحلة سوداء. يصفها والدها الحزبي بأنها أرض مقدسة لأنها تحتضن رفات المناضلين.

تقول إنها تنبش الموتى وهي تكتب، تتساءل إن كانت كتابتها هذه، عبارة عن عمل حفار القبور بشكل معكوس. تصرح أنها أيضاً تشعر بالغثيان أحياناً، يصيبها في حلقها وبطنها.. تتنزه في سهل فسيح وصامت يشبه مقبرة الملعونين وتنبش الذكريات والحكايات والقصص المؤلمة أو المؤثرة.

> تستنطق مجيدي الطفلة الصغيرة التي كانت في رحم أمها، وتصف مظاهر الاحتجاج، حيث سحابة دخان في البعيد، طلقات نارية، صيحات، وهي تخاف وتشعر بالخطر، فتتقوقع في قاع الرحم، لكن ذاك الرحم كان يهرع نحو الموت بقوة لا تقهر

يشار أن مريم مجيدي مولودة في طهران عام 1980، وغادرت إيران مع عائلتها في سن السادسة لتعيش في باريس، ثم في درانسي، حيث تعلّم اليوم اللغة الفرنسية. "ماركس والدمية" هي روايتها الأولى، وهي مستوحاة بشكل كبير من سيرتها الذاتية.. الرواية من منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ترجمة معن عاقل 2017.

رف الكتب

المجتمع السائل

❏ "أطفال المجتمع السائل" هو آخر كتب زيغمونت بومان عالم الاجتماع البولندي، الأستاذ المحاضر بجامعة ليدس الذي توفي السنة الماضية. الكتاب عبارة عن حوار طويل جمعه بالصحافي الإيطالي توماس ليونشيني، يؤكد فيه بومان ظهور ما أسماه "المجتمع السائل" الذي يشهده عصر ما بعد الحداثة، مجتمع تتنازل فيه المجموعة للفردانية، حيث التغيير هو الشيء الوحيد الثابت، والشك هو القناعة الوحيدة. والكاتب يتقمص هنا دور الناطق باسم أجيال ولدت في "مجتمع سائل" في تغير دائم، ويتناول رهانات العالم المعاصر في عمقها، ويدرس في نوع من المباعدة ديناميات العدوانية، ولا سيما ظاهرة التحرش، والأسئلة التي تطرحها الإنترنت، والتحولات الجنسية، والعاطفية. في هذا الكاتب الذي يلخص فيه تجربته كعالم اجتماع وفيلسوف، يتوجه بومان إلى الجميع بلغة بسيطة تقرب القارئ من فكره، ويؤكد أنه نصير تعاون بين الأجيال يفرز الحاضر وسوف يفرز المستقبل.

خطورة الأحكام بغير تجربة

❏ "دم على الأفكار" عنوان اختاره عالم النفس والفيلسوف الفرنسي بول ترويّا بعد أن اكتشف الصلة بين الكوارث الإنسانية الكبرى في القرن العشرين (حوالي 160 مليون قتيل) وبين فيلسوفين هما ماركس ونيتشه، ما دفعه إلى المطالبة صراحة بفتح تحقيق قضائي ضد هذين المؤلفين بتهمة التحريض على ارتكاب جرائم ضد الإنسانية. الكاتب يقترح منهجية يرجع عهدها إلى العصور القديمة طورها العلم ولم تهتم بها الفلسفة إلا قليلا، وهي المراقبة عن طريق التجربة، ففي رأيه أن التجربة هي التي تسمح بالفصل بين الصواب والخطأ، بين الأخلاقي وغير الأخلاقي، بين العدل والجريمة، ويذكر بأن أفكار الأنوار نشأت بفضل المنهج التجريبي، واستطاعت أن تبني العالم المعاصر لأنها كانت عادلة وصائبة ثقافيا وأخلاقيا، ويستلهم من أحد رموزها عنوان كتابه، حيث كتب ديدرو يقول: "العالم كرة متروكة لصولجان الفلاسفة. قد يرسلونها إلى الجحيم. لا مجال لذلك بعد اليوم: لا يمكن أن يكون ثمة دم على الأفكار."

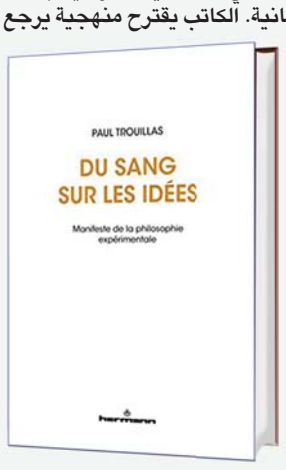

خضوع المرأة الطوعيّ

❏ مانون غارسيا متخصصة في الفلسفة النسوية، تدرّس في جامعة شيكاغو بعد أن درّست في هارفارد لمدة سنتين. "لا تولد المرأة خاضعة، بل تغدو كذلك" هو أول مؤلفاتها، وفيه تسلط الضوء على سلوك النساء في المجتمعات الغربية، فقد لاحظت أن أكثر النساء استقلالية وتحمسا لمبادئ الحركات النسوية يحببن أن يصوّب الرجال نحوهن نظرة غازية، ويرغبن أن يكن أداة متعة بين ذراعي شريكهن، أو يفضلن الأعمال المنزلية، ككي الملابس وطيها بأناة ودقة، وإعداد مائدة الفطور للعائلة بعناية، على ممارسة أنشطة أخرى أكثر فائدة. وتتساءل هل تتعارض تلك المتع والرغبات مع استقلالهن؟ ألا تعتبر تلك التصرفات خيانة لقرون من الدعوات النسوية التي سبقتهن؟ هل يمكن أن نتوقع تحركا من الرجال للمطالبة بحق المساواة بين الجنسين؟ لقد سلطت الفضائح الجنسية الأخيرة الضوء على ذلك الخلط، وكشفت عن الوجه الآخر للهيمنة الذكورية، وهو قبول النساء بخضوعهن. وفي رأي الكاتبة أن خضوع المرأة من التابوهات التي لم يولِها المتخصصون حقها من التحليل.

النافذة الكونية

فريد الزاهي: الترجمة كما التأليف عمل إبداعي

محمد بن امحمد العلوي
كاتب من المغرب

❏ فريد الزاهي كاتب ومترجم وناقد امتهن الكتابة كحرفة بعدما ترسّخت في وجدانه كشغف وغواية، لتصبح مشروعا ثقافيا وفكريا تمخض عنه العديد من الأبحاث والدراسات والترجمات ضمّن فيها رؤاه وأفكاره، ولعل الترجمة من أهم الممارسات الكتابية التي أدمنها الباحث المغربي الذي أتقن أدواتها بكل حرفية. فهي بالنسبة إليه رهان ثقافي حضاري، وجسر حوار، وضرورة ثقافية لا يمكن لأمة أن تتخلى عنها دون أن تنعزل عن العالم. الترجمة بهذا المعنى هي نافذة كونية.

من بين كتبه المؤلفة: "الحكاية والمتخيل" (1991)، "الجسد والصورة والمقدس في الإسلام" (1999)، "النص والجسد والتأويل" (2004)، "العين والمرآة" (2005)، ومن بين الكتب المترجمة: "علم النص/ جوليا كريستيفا" (1992)، "مواقع حوارات مع جاك دريدا" (1992) "صيف في ستوكهولم/ عبدالكبير الخطيبي" (1992)، "مراكش المدينة: رواية/ كلود أوليه" (1995)، "الصورة وموتها/ ريجيس دوبريه" (2002)، "الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي/ هنري كوربان" (2008)، "السحر والدين في إفريقيا الشمالية/ إدمون دوطي" (2008).

رحلة مع الترجمة

وعندما سألناه عن بدايته مع الترجمة وهل حقق ذاته الإبداعية في الانتقال من لسان لآخر دون مشقة، قال فريد الزاهي إن الترجمة ممارسة تكون في البداية أشبه بالتحدي والرغبة في امتلاك اللغة وثقافة الآخر من خلال الهجرة الحرة ما بين لسانين، وربما كان للضرورة دور في ذلك، وأوضح ذلك كونه عضوا في النادي السينمائي بمدينة فاس، وكان علينا تعريب البطاقات التقنية للأفلام، ولا تزال هذه الترجمات التي لم أقم بتوقيعها سارية لحد اليوم في الجامعة الوطنية للأندية السينمائية.

وعن رحلته مع الترجمة أشار فريد الزاهي إلى أنه قام بترجمة ميشال فوكو وبيير بورديو ونشرت الترجمات في جرائد مغربية، بالموازاة مع الكتابات التي نشرت في الجرائد والمجلات المغربية وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمري. والحقيقة أن هذه الترجمات ساعدتني بشكل كبير على إنجاز البحث في الإجازة عن فكر عبدالكبير الخطيبي، إذ وجدت نفسي أترجم مقاطع لهايدغر وجاك دريدا والخطيبي، بعمق لا أزال راضيا عنه لحد اليوم. الترجمة إذن في مشواري الفكري والثقافي هي الوجه الآخر للكتابة بحيث اعتبرتها منذ البداية ممارسة للكتابة عبر فكر الآخر.

هذه التجربة المبكرة هي ما جعلت فريد الزاهي يتنطع لنصوص متمنعة عن الترجمة أو ممْتنعة عنها تمثلت في نقل نصوص جوليا كريستيفا وجاك دريدا والخطيبي وكلود أوليي للعربية، إنها رهان ثقافي يضيف الباحث المغربي ويُبيّن أن قدرة المترجم الكاتب المثقف، أكثر من المترجم بالمعنى الحرفي، أكبر لتلقي واستضافة الهوامش المعقدة لثقافة الآخر في صلب اللغة والثقافة العربيين.

وهنا يطرح سؤال أين تبدأ وتنتهي مسؤولية المترجم والكاتب يتفاعل مع نص إبداعي وفكري مرتبط ببيئة ثقافية ونفسية واجتماعية ربما مغايرة لما تعيشه، وهنا يقول الزاهي، إن مسؤولية المترجم الحقّ تبدأ لكي لا تنتهي، فكل نص مترجم هو استنبات في ثقافة جديدة واستجابة راهنة أو استشرافية لحاجيات ثقافية.

والمترجم يقول فريد الزاهي يعيش حياته في هذه الثقافة حسب أهمية النص وجودة الترجمة وتتعرض تلك المسؤولية للاغتيال حين يأتي مترجم يعيد النظر في ترجمتك ليقدم ترجمة أجود فيحكم على ترجمتك بالموت. لهذا فكل ترجمة حية هي ترجمة ندّية للنص تقوم مقامه في اللغة المضيفة، وتضمن للنص الأصل كما للمترجم نوعا من الاستمرار والفاعلية. وتلك مسألة اختيار ومسألة إبداع ترجمي.

قد يخفق نفس المترجم في إيصال المعنى الذي أراده صاحب النص الأصلي، فمتى يكون ذلك وهل هذا راجع إلى ذات المترجم أم أن هناك أسبابا غائبة تجعل الترجمة تفشل في مهامها وأهدافها، يجيب فريد الزاهي أن المترجم الجيد ينجح عموما في الترجمة الجيدة لكل ما تمسه يداه وكلما كان المترجم جيدا كلما كان متخصصا في المجالات التي يتقنها معرفيا وثقافيا.

في المقابل إذا كان ممتهنا للترجمة فإنه سيترجم أشياء بعيدة عن مجالات اهتمامه، وقد يخفق في بعضها وينجح في ما هو قريب من ذاته. المترجم ليس آلة ترجمية، إنه كاتب يتلقى في مرآة نفسه مُنتَج الآخر ويمنحه صورة موازية يلزم أن تكون ندّية في لسانه وثقافته. والحقيقة أن الكثير من ترجماتنا تدخل سريعا لمزبلة التاريخ الثقافي.

وعن واقع الترجمة بالمغرب والعالم العربي وهل هناك حركة في هذا المضمار يمكن أن تصنع فارقا في الإنتاج الفكري والثقافي، يقول فريد الزاهي إنه ليس ثمة حركة ترجمة في العالم العربي بالمعنى المتداول، بالرغم من ظهور بؤر منظمة لها كالمجلس القومي للترجمة بمصر والمنظمة العربية للترجمة، ومشروع كلمة بأبوظبي.

ويعزى ذلك إلى الكم الضئيل من الترجمات مقارنة مع بلدان أخرى، وإلى مستواها المتواضع وأيضا إلى صعوبة الترجمة للعربية من لغات ليست من عائلتها اللسانية، ومع ذلك يشير فريد الزاهي إلى أن حال الترجمة اليوم أفضل مما سبق وجودتها في نموّ مطرد. الترجمة في عالمنا العربي مسألة أفراد فقط.

ترجم فريد الزاهي لعبدالكبير الخطيبي ودريدا وجوليا كريستيفا وكتاب السحر والدين لإدمون دوطي وغيرهم، نتساءل أين وجد المترجم نفسه داخل هذه الترجمات وما الصعوبات التي واجهتك في إتمام مهمتك، ليجيب بأنه مثقف متعدد الاهتمامات، فيلسوف وإسلاموجي وباحث أدبي بالتكوين، وأنثروبولوجي ثقافي بالبحث، ويشتغل على الصورة والجسد ونقد الفن بالكتابة.

وهذا التعدد يجعل ثقافتي تمكنني من أن أجعل من هذه المكونات مدخلا لمواجهة ترجمة التصوف والأنثروبولوجيا والفلسفة بالراحة والسعة والسعادة نفسها، أما الصعوبات فهي حكاية متشعبة المسالك يمكن الحديث عنها وعن آلامها ومعاناتها مطولا غير أن المجاهدة تمكنني دوما من تجاوزها أو على الأقل من مداورتها كي تكون الترجمة "أمينة" للنص الأصل و"أمينة" للغة والثقافة التي تحتضنها.

إنها مفارقة صعبة وإشكالية تنصهر فجواتها في ذهن المترجم وتفجّر قدراته الفكرية واللغوية والثقافية، وذلك هو الجانب الخفي الذي يمكن حكايته في موطن آخر. فلكل ترجمة حكاية، يقول فريد الزاهي.

في يوم ما قال فريد الزاهي إن التراث الغربي المتصل بالمغرب ليس كله ذا نوايا استعمارية محضة، ويوضح المؤشرات والمعطيات التي أسس عليها موقفه، بالقول إنه في الوقت الذي كان فيه موليراس والأب دوفوكو وإدمون دوطي وماسينيون وميشو بلير ووبسترمارك ولوتورنو وغيرهم يدرسون عوائد المغاربة وعقليتهم وسلوكهم ومعتقداتهم، كان ذلك طبعا في غالب الأحوال موجها في إطار البعثات الاستعمارية. لكن في ذلك الوقت بالذات كان المغاربة يكتبون عن النوازل وعن تحريم التصوير والغراموفون والاختلاط.

ويؤكد الزاهي هنا أن هذه الكتابات، إذا جردناها ولو جزئيا من نواياها هي وثائق تاريخية نفيسة وقيمة عن مرحلة لا معرفة لنا بها كمغاربة، ويوضح أن دراسة دوطي عن السحر (التي ترجمتها للعربية) برغم مما يشوبها لا تزال لحد اليوم المرجع الرئيس عن هذه الممارسات، ولم يقدم لنا أي أنثروبولوجي عربي لحد اليوم دراسة تنافسها في القيمة العلمية والتوثيقية، كما أن دراسة لوتورنو عن فاس لا تزال لحد اليوم مرجعا صلبا لدراسة المدينة المغربية في بدايات القرن الماضي.

لنعترف أنه كان لنا من مصادر عن نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين كلها أجنبية. بل إن الوثائق الفوتوغرافية والسينمائية بالرغم من عنصريتها وطابعها الكولونيالي إلا أنها تظل المصدر الوحيد الذي لدينا عن نوعية حياتنا في تلك المرحلة الطويلة، وما أنتجناه اليوم عن مجتمعنا لا يضاهي معرفيا ما تم إنتاجه عنا، وليكن نقدنا لهؤلاء موضوعيا بحيث لا ينطلق أيديولوجيا من الوطنية العمياء والهوية المتوحشة، بقدر ما يرى في نتاج هؤلاء وثيقة يلزم توظيفها ورؤية يلزم نقدها أيضا.

الترجمة حوار مزدوج مع الذات والآخر

مفاهيم الصورة والجسد والمتخيل

كل هذا يدفعنا إلى الانتقال إلى مشروع الزاهي الأنتروبولوجي، فدراساته للجسد والمقدس والصورة في الإسلام والثقافة العربية استقاها من قراءاته للخطيبي ودريدا ولوبروطون وهايدغر، ويقول لقد أحسست منذ أكثر من ثلاثين عاما أن الصورة والجسد مهمشان في الثقافة العربية فابتغيت طرْق مجال جديد يستوجب البحث والتحليل.

وها هو هذا المسعى يتطور اليوم بشكل حثيث في الثقافة العربية. وأعتبر أن ما نشرته من أبحاث ودراسات ومقالات وترجمات تعتبر اليوم مرجعية في العالم العربي. لقد أدركت حينها أن إشكالية الجسد والصورة تخترق بخفائها وتهميشها سابقا، كما بعيانيتها وانتشارها حاليا، تاريخنا منذ ما قبل الإسلام. لذا وجبت دراستها وتحليلها، لكي نفهم مسارب ومسالك وعثرات هذا التاريخ ولكي نفهم جسدنا وصورتنا.. وعن الصورة والجسد في علاقتهما بالمتخيل والإسلام، وبالممارسة الفنية داخل الثقافة العربية القديمة والمعاصرة يؤكد الزاهي أنها ليست ثنائية فقد اكتشفت أن الجسد صورة والصورة جسد في اللسان العربي (راجع ابن منظور، صور)، وأن متخيل الصورة هو متخيل الجسد في الإسلام والثقافة العربية.

وهذا التواشج يقول فريد الزاهي هو ما يجعل منهما مكبوت الثقافة العربية الإسلامية، بحيث أن كل تناول لهما صار مُحرِّرا لها ولهما في الآن نفسه. لهذا فإن دراستهما تظل متواشجة في المجال الثقافي والفني. وما نحتاجه اليوم هو توسيع هذا الاهتمام ليشمل مجال السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا والممارسة اليومية. وهو ما أحفز عليه الباحثين من خلال كتاباتي وأبحاثي وترجماتي.

ويعتقد فريد الزاهي أن ما يقوم به باحثونا و"نقادنا" هو ممارسة الفصل بين مكونات الصورة بحيث لا يسعون في أبحاثهم إلى محدّدات تصوُّرية ونظرية، فالباحث أو الناقد في مجال السينما منعزل عن الباحث في مجال الفنون التشكيلية وفي مجال الوسائط البصرية الأخرى. والحال أن أبحاثي تنتقل من هذا لذاك من خلال مفهومين أساسيين: مفهوم الصورة ومفهوم الوسائطية، بحيث أن أفق التحليل والبحث في المتخيل البصري يغدو أوسع وأقدر على تمثل التمفصلات التي تربط بين مختلف أنواع إنتاج الصور.

من ثم يعتبر الزاهي أن هذا التصور يربط بين الجمالي والاجتماعي والأنثروبولوجي في عملية تحليل واحدة ومتعددة في الآن نفسه، تمكّن من الإمساك بدينامية الصورة وآثارها في المتخيل البصري واليومي والاجتماعي للإنسان العربي.

صدرت مؤخرا ترجمة فريد الزاهي لكتاب كلود عداس: البيت المحمدي، نظرات على محبة النبي في التصوف الإسلامي، وهنا تساءلنا عن الإضافة التي يتوقعها من هذا المؤلف في مجال يقارب الوجداني والجواني في الفكر الإسلامي، وهل مثل هذه الترجمات قد توطد العلاقة بين الجسد الإسلامي كمفهوم يتجاور فيه المتخيل والواقعي على المستوى العرفاني والكلامي والشعبي وفي الثقافة الإسلامية، ليعترف الزاهي بأنها ترجمة طلبها مني صديقي محمد بنيس، غير أنها تلائم منحاي في ترجمة التصوف (الخيال الخلاق لابن عربي ومقدمات السهروردي).

ترجمة تدخل في اهتمامي بالجسد والصورة والمتخيل في التصوف الإسلامي. أما نوعية تلقيها فتلك مسألة أخرى، بيد أن ترجماتي لمؤلفات دافيد لوبروطون عن الألم والصمت سوف توجه الدراسة الأنثروبولوجية لدينا نحو هوامش اجتماعية وذاتية لا نزال لم نفتح أذهاننا على أهميتها القصوى.

وعن توظيف مفاهيم الصورة والجسد والمتخيل لمقاربة التصور الإسلامي للوجود والإنسان، يوضح فريد الزاهي أن مركزية الجسد والصورة تشكل "ثنائية" متعاضدة تخترق الفكر الإسلامي وتتخلل الممارسات اليومية للإنسان في المجتمعات العربية، لهذا فإن هذا الجانب المقدس لا يزال يحيا، بل يعود بقوة للحياة من خلال مسالك مختلفة: عودة المقدس والديني في حياة العرب المعاصرين، وانخراطهم في مجتمعات الصورة. والمفارقة التي يلزمنا الوقوف عليها اليوم تتعلق بأنواع الترابطات التي ينسجها هذان المنحيان المختلفان في مصادرهما التاريخية..

واقع المشهد الثقافي

كان لا بد من سؤال فريد الزاهي عن تقييمه للمشهد الثقافي المغربي والعربي في ظل شبه موات للقارئ، وكيف يرى صورة النقد بشكلها الحالي وهل حركية النقد مرتبطة بما تعرفه الساحة الثقافية والإبداعية، ليجيب إنه يلزمنا الاعتراف بأن القراءة كما الكتابة قد تغيّرت اليوم بوسائطها، وحتى القيم الثقافية تغيّرت. صحيح أن الكتاب ما يزال موجودا وحيا ومتداولا، لكن القارئ اليوم لم يعد له النفَس نفسه ولا الاهتمامات نفسها.

ويضيف أن الحديث عن الأدب الرقمي ما هو إلا دليل على ذلك، وإن كنت أعتبر أنها بدعة لا أساس لها، لأن الوسيط والموضوع لا يخلقان الأدب. أما النقد فقد "تطور" بشكل كبير بحيث صار عدد النقاد أكبر بكثير من عدد الروائيين والأدباء الجيّدين. بالمقابل فإن النقد التشكيلي والبصري ضعيف لأن لغة الفن بصرية ولغة النقد لسانية، وهو ما يجعل حصة هذا النقد قليلة مقارنة مع قوة الحركة وشساعتها الفنية في العالم العربي.

"موت المثقف وولادة الدجال" جملة مرعبة جاءت في أحد حوارات فريد الزاهي جعلتنا نستوضح الدواعي التي جعلته يكون فكرة شبه قاتمة حول أدوار المثقف المغربي والعربي في الزمن الراهن، وكيف السبيل إلى تجاوزها، فالمثقف الدجال حسب الباحث المغربي هو المثقف الانتهازي والوصولي الذي يصنع صورته بنفسه وعبر أنواع السلط التي يرتبط بها، كما عبر وسائل الإعلام، فيصير "سلطة" ثقافية، علما أنه لا يملك آلياتها لا بقيمة إنتاجه ولا بفعله ولكن فقط بمنصبه وتصريحاته.

فالمثقف الحقيقي حسب فريد الزاهي هو الذي يكون تدخله ومنتَجه وفعله ساريا في ما وراء الظرفية الراهنة وخاضع لمسؤولية أخلاقياتية تنبع من جودة إنتاجه وتدخلاته في الثقافة والمجتمع.

وحول موقفه من الجوائز الثقافية العربية والمغربية والتكريمات الموسمية للمثقف والكاتب، هل هي إضافة تشجيعية للمبدع أم تكريس لريع ثقافي يأكل مما تبقى من الصورة التي يجب أن يكون عليها المثقف العضوي، اعتبر فريد الزاهي أن الوقت قد حان لإعادة النظر في مفهوم المثقف العضوي لا لأنه مفهوم قاصر اليوم فقط، ولكن لأن آليات التواصل الثقافي خلقت أنماطا جديدة من المثقف أقامت بينه وبين السياسة والمجتمع والدولة مجموعة من الحواجز الشفافة والكثيفة التي يصعب على المثقف تجاوزها أو مداورتها.

وأضاف الزاهي أن دور المثقف قد تحجم كما عرفناه وصار من الضروري إعادة بنائه، ولذا فالجوائز العربية ليست كلها قابلة للنقد، وما يمكن التحسّر عليه هو أن دولا لا تملك تقاليد أدبية وثقافية صارت تخصص الجوائز للأدب والنقد الأدبي وكأنهما الثقافة حصرا. هذا الاختزال للثقافة في الأدب يهمش الفكر والسوسيولوجيا والفلسفة والأنثروبولوجيا والتاريخ وتاريخ الأفكار وغيرها.

واعتبر فريد الزاهي أن التكريم يمس أحيانا شخصيات لا أثر لها على المدى الطويل في الحقل الثقافي، وأنا لست ضد التكريم والجوائز وإنما مع تنوعها وجديتها وخلوها من الاستهتار بالتاريخ الثقافي العربي. فالهَوام (أي الزائل والعرضي) سيغربله التاريخ، ولا فائدة من جائزة أو تكريم لا يؤبدان ويخلّدان فضل صاحبهما وأثره.

> فالمثقف الحقيقي حسب فريد الزاهي هو الذي يكون تدخله ومنتَجه وفعله ساريا في ما وراء الظرفية الراهنة وخاضع لمسؤولية أخلاقياتية تنبع من جودة إنتاجه وتدخلاته في الثقافة والمجتمع

المراكز الثقافية الأجنبية بمصر.. فنون وجنون

جوته وثربانتس والفرنسي والروسي والجريك كامبس ومولانا آزاد

من عروض المركز الثقافي الروسي في القاهرة

تتعدد نشاطات المراكز الثقافية الأجنبية بمصر بين فعاليات تثقيفية وتنويرية وتعليمية وأيضا ترفيهية، وقد اتجهت بعض هذه المراكز في الآونة الأخيرة إلى تغليب التكسّب التجاري على حساب القيمة المجرّدة.

شريف الشافعي
كاتب مصري

❑ تشكل مراكز الثقافة الأجنبية، إلى جانب المؤسسات الأهلية والمستقلة، المتنفس الحقيقي للثقافة والفنون في مصر، وتقود هذه الكيانات حركة الانفتاح على العالم من خلال التظاهرات المحلية والدولية التي تنبني على الطرح الثقافي والفني الجريء الحر، المتحلل من قيود التوجيه السياسي والرقابة الحكومية وتحكم الإداريين والموظفين، كما في الفعاليات الرسمية التي تنظمها وزارة الثقافة وهيئات الدولة.

بلغت هذه المراكز درجة كبيرة من الاندماج والذوبان في نسيج المجتمع. ومع كثافة الفعاليات التي تقدمها باتت بيوتا مفتوحة طوال النهار والليل لزوّارها وروّادها من سائر الفئات والأعمار، خصوصا من الشباب.

> تتّسم مشاركة الجمهور في هذه البرامج بالتفاعلية والحميمية، دون أدنى شعور بالاختلاف أو الاغتراب، بل ربما يجد المشاركون أنفسهم في هذه المنصات أكثر مما يجدونها لدى مؤسسات الدولة النخبوية التي لا تجيد الإعلان عن فعالياتها في الميديا التقليدية، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية

هل تغري اتجاهات السوق واعتبارات التكسّب المادي، والرغبة في اجتذاب أكبر عدد من الحضور بدعوى التبسّط، هذه المراكز الثقافية الأجنبية بالحياد النسبي عن أدائها الرصين، لتقدّم بدورها ما يمكن وصفه أحيانا بالمنتج السوقي أو الهابط؟

هذا السؤال يطرح ذاته بقوة في المشهد المصري، في ضوء قراءة مستجدات الأشهر القليلة الماضية، التي لمع فيها المطرب الشعبي "حمو بيكا" كأحد نجوم الحفلات الشبابية التي استضافها "الجريك كامبس" في قلب القاهرة، وسط دهشة بالغة وانتقادات متصاعدة لاحتضان مركز ثقافي مرموق فعاليات من هذا القبيل.

مسارات متباينة

من خلال رصيد ثري عبر سنوات طويلة، اقترنت المراكز الأجنبية بذلك الهامش المضيء في الفكر والعلم والتنوير، عبر أنشطة متعددة، تثقيفية وتعليمية وفنية، تتّسم بالعمق والجرأة وكسر إطار التحفظ والتعقل، وتلبية متطلبات المجتمع، وقراءة خارطة مشكلاته وقضاياه الحقيقية، وعلى رأسها الحرية، والمساواة، وحقوق المرأة، على سبيل المثال.

هكذا، صارت مراكز ثقافية من قبيل "الفرنسي" و"الروسي" و"جوته" الألماني و"الجريك كامبس" اليوناني و"ثربانتس" الإسباني و"مولانا آزاد" الهندي والجامعة الأميركية، وغيرها، مساحات مألوفة وأمكنة مفتوحة ومنابر جادة يتابع الآلاف برامجها ونشاطاتها المتنوعة.

تتّسم مشاركة الجمهور في هذه البرامج بالتفاعلية والحميمية، دون أدنى شعور بالاختلاف أو الاغتراب، بل ربما يجد المشاركون أنفسهم في هذه المنصات أكثر مما يجدونها لدى مؤسسات الدولة النخبوية التي لا تجيد الإعلان عن فعالياتها في الميديا التقليدية، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية.

بقراءة أوراق المراكز الثقافية الأجنبية البارزة في مصر يمكن رصد أكثر من مسار في توجهاتها وانطلاقاتها، وبصفة عامة يمكن تلخيصها في: مسار الارتقاء بالوعي عبر الفعاليات العلمية والفكرية والثقافية والفنية والترفيهية والمجتمعية، والمسار التعليمي واللغوي، والمسار التسويقي والتجاري المباشر وغير المباشر.

لا يزال المسار الأول يشكل الاتجاه الغالب في برامج المراكز الأجنبية الحافلة باللقاءات والحوارات والعروض السينمائية والمسرحية والحركية والأدائية والمؤتمرات العلمية والفكرية والندوات والمحاضرات والمهرجانات والمعارض وغيرها، فضلا عن البرامج المجتمعية الخاصة، وأجندات الحقوقيين والناشطين والإصلاحيين.

من هذه النماذج، فعالية "تشويش" التي نظمها المركز الثقافي الألماني "معهد جوته" في نوفمبر الماضي، وهي مجموعة لقاءات وعروض فنية وأدائية ومسرحية وشعرية وأفلام سينمائية ومحاضرات وحفلات موسيقية ومعارض تشكيلية وأعمال مركبة تخص "القضايا النسوية" في مصر والمنطقة العربية وأوروبا، بهدف هزّ الصور النمطية عن النساء، والمسائل الجندرية (النوع الاجتماعي) من خلال طرح أكاديمي وفني ومحادثات مشتركة.

من نشاطات "جوته" في المسار الجاد أيضا خلال ديسمبر الجاري، الإسهام في مهرجان أسبوع الكوميكس بمصر، ومحاضرات لمجموعة "سبرنجر نيتشر للأبحاث العلمية"، وعروض سينمائية في إطار "مهرجان أفلام الهجرة الدولي"، وعروض فن الحكي والموسيقى الغنائية، ومشروع "بستان جوته – أسطح خضراء"، ومشروع "العلم حكاية"، وغيرها.

تسهم المراكز الثقافية الأجنبية في دعم هذا المسار الجاد بممارسات متنوعة، منها تخصيص المركز الثقافي اليوناني "الجريك كامبس" أول حديقة للتكنولوجيا والابتكار في القاهرة، لدعم الشركات المبتدئة في قطاع التكنولوجيا وتشجيعها على النمو والازدهار في جو مناسب، وتنظيمه واستضافته نشاطات ثرية، من قبيل مهرجان القاهرة لموسيقى الجاز، وورشة التصوير المفاهيمي، وفعاليات اجتماعية مثل "هي تستطيع" و"يوم الستات" و"مهرجان السعادة"، وغيرها.

في الإطار ذاته، يشهد المركز الثقافي الفرنسي على مدار ديسمبر الجاري حفلات بابا نويل للأطفال، وسلسلة للأفلام الكوميدية، وملتقى الدردشة والحوار لاكتشاف العالم الناطق بالفرنسية، والأفلام الوثائقية حول قضايا المهاجرين واللاجئين، وحفل تكريم يوسف شاهين، ومؤتمر "صناعة المدينة المُستدامة"، ومؤتمر "تقنية النانو: النظرية والتطبيقات"، واحتفال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وغيرها.

وتقدم بقية المراكز الأجنبية تظاهرات وفعاليات مشابهة، منها: ورش التصوير الفوتوغرافي (المركز الثقافي الروسي)، مسابقات الرسم للموهوبين (مركز مولانا آزاد الثقافي الهندي)، معارض "الغرافيك" والورش العلمية والعروض الأوبرالية والسينمائية (المركز الثقافي الإسباني "ثربانتس")، جائزة نجيب محفوظ للأدب (الجامعة الأميركية)، وتزمع الجامعة الأميركية افتتاح "مركز التحرير الثقافي" في فبراير المقبل كملتقى ثقافي وفني دولي للكبار والصغار على السواء.

التعليم والتسويق

إلى المسار التعليمي واللغوي للمراكز الثقافية الأجنبية، وهو نشاط أصيل لهذه المراكز خصوصا ما يتعلق بلغة الدولة التي ينتمي إليها المركز الثقافي، وهو في الوقت ذاته نشاط يهدف إلى التربّح، فهذه الدورات و"الكورسات" ليست مجانية كأغلبية النشاطات الثقافية والفنية.

وتتبارى المراكز الثقافية الأجنبية في الإعلان عن مناهجها التعليمية واللغوية، وأبرزها مستويات اللغة الإنكليزية في الجامعة الأميركية، والدورات العامة والمتخصصة ودبلوم الإسبانية في ثربانتس، ومناهج اللغات والترجمة والكمبيوتر وإدارة الموارد البشرية في المركز الثقافي الروسي، ودورات اللغة للكبار وللصغار في المركز الثقافي الفرنسي، وتدريس اللغة الألمانية في "جوته"، وغيرها.

من التربّح المقترن بمناهج تعليمية ولغوية قيّمة، إلى مسار آخر للتسويق بدأ يظهر خلال الأسابيع القليلة الماضية، من خلال تنظيم فعاليات فنية شعبية تحظى بإقبال شبابي واسع النطاق تحت شعار "الحضور وقوفا"، وقد لا يكون المركز الثقافي هو الجهة المنظمة للحدث، لكنه يسهم في الانتفاع منها تجاريًا بشكل غير مباشر عن طريق استضافته للحفل والدعاية والترويج له.

من هذه الفعاليات، أيام الرقص الرياضي للجنسين، وحفلات المطربين الشعبيين من أمثال أوكا وأورتيجا وأحمد شيبة وغيرهم، وأخيرا "حمو بيكا" الذي استضافه "الجريك كامبس" منذ فترة وجيزة في حفل صاخب سيء التنظيم والإعداد، امتد على مدار النهار بأكمله بحضور الشباب وطلاب المدارس من أعمار مختلفة.

أجسادنا تتمرد علينا، بانتومايم، معهد جوته

مسابقة الرسم للموهوبين، مركز مولانا آزاد الثقافي الهندي

ويشكل حفل "حمو بيكا" في "الجريك كامبس" علامة استفهام، ويبدو إشارة إلى اتجاه المراكز الثقافية الأجنبية في بعض نشاطاتها الحديثة إلى مسايرة اعتبارات السوق بشكل كامل، والرضوخ لرغبة قطاعات من الجمهور تنشد لونا معيّنا من الفنون يوصف عادة بالابتذال.

في المحصّلة، تبقى المراكز الثقافية الأجنبية بمصر مصادر متوهّجة تبث إشعاعاتها التنويرية والتثقيفية والتعليمية، على الرغم من تبنيها بعض الفعاليات السوقية التي لا ترقى إلى المستوى المأمول.

مهرجان الخريف: إعادة التفكير بالمسرح

60 فناناً و50 مكاناً للعرض وباريس منصة كبرى

تتحول باريس أثناء مهرجان الخريف المسرحيّ إلى خشبة كبيرة للعرض، إذ تستقبل المدينة هذا العام في النسخة السابعة والأربعين من المهرجان، أكثر من ستين فناناً يشغلون أكثر من خمسين مكانا للعرض، تشمل المسارح الرسميّة، والشوارع، والمتاحف والأبنيّة الأثرية، لتتحول فضاءات المدينة إلى مساحات للتجريب، يُعاد تُكوينها رمزيا عبر أجساد المؤدين وحكايتهم، ليرى قاطنو باريس أنفسهم أمام عروض من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، يحاورون فيها الآخر المغاير، ويستمعون لحكاياته ويشاهدون أشكال ظهوره المسرحيّ.

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❑ يحضر في المهرجان الذي يديره إيمانويل ديمارسي موتا العديد من العروض القادمة من اليابان، سواء تلك التي تنتمي للمسرح التقليدي أو المعاصر، كما تحتفي إدارته بشخصيتين فنيتين، في تأكيد على التقليد الذي بدأ منذ عام 2012.

هذا العام اختيرت الراقصة ومصممة الرقصات البلجيكية أنا تيريسيا دي كيرسينكر، التي نشاهد ضمن برنامج المهرجان ما يزيد عن عشرة عروض من تصميمها، كما اختير المؤلف الموسيقي الفرنسي- الكندي كلود فيفير، الذي لم ينجز أكثر من تسع مقطوعات موسيقيّة، تركت أثراً كبيراً على الحركة الموسيقية العالميّة.

يستضيف المهرجان آخر إنتاجات المخرجين الذين لطالما كانوا جزءا من ريبرتواره، كسيلفيان كروزيفولت، وبيير إيف ماسي، وجوليان غوسلين، كما تحضر مجموعة من العروض التي تتحدى الفنّ المسرحيّ نفسه، وتعيد النظر في مكوناته، كالنص والممثل والعرض البصريّ، والأهم أن بعضها يطرح تساؤلات حول ولادة المسرح نفسه، كظاهرة بشريّة في الفضاء العام، محكومة بشروط سياسية تتحكم بالتجربة المسرحيّة وشكلها.

تحاول بعض العروض خلخلة الحدود التي يولد ضمنها النشاط المسرحيّ أو ما يسمى شروط "المسرحة"، وخصوصاً في العصر الحالي الذي تطغى عليه أشكال الفرجة المختلفة، وتحول الفضاء العام إلى مساحة للعب الاقتصادي، فكلما كان الفرد مرئياً أو التقط صورة أو مر في مكان ما، يخضع لقوى تستثمر فيه، ليتحول الفضاء الذي نكون فيه مرئيين، إلى فضاء للعمل، ويتحول اللعب إلى أداء ننتهك فيه من جهة، وننتج فيه أنفسنا كأفراد منصاعين للـ"نظام العام" من جهة أخرى.

نشاهد في بعض العروض سعياً لتفكيك تقنيات "التجسيد"، بوصفها جوهر العملية المسرحيّة، كما في عرض"مولد التراجيديا" الذي يطرح تساؤلات حول الممثل الأول وأول تراجيديا يونانية، في محاولة لفهم الخصائص التي تجعل المسرح مسرحاً، بوصفه فضاء يدّعي الاستقلال، لكنه يختزن خطاب السلطة الذي يتسلل إلى الشكل الجماليّ ويشرعنه ويحدد خصائصه، كما في عرض "الأعمال الكاملة-شكسبير" الذي يحاكي بسخرية التجربة الشكسبيرية بأكملها، وأساليب التكريس التاريخيّة التي حولت نصوص الشاعر الإنكليزي وشخصه إلى أساطير أو أغراض متحفية لا يمكن لأي أحد أن يمسّها أو حتى يتجرأ على تأديتها دون تقديم أشكال الطاعة ولو بصورة غير مباشرة.

تحضر في العروض أيضاً تساؤلات عن النص، لا بوصفه فقط وسيلة لنقل "المعارف" الدراميّة، بل أيضاً شكلاً جمالياً للحكاية، سواء كان مصدر هذه الحكاية علميّا كما في عرض " لقاء مع بيير بيكا" أو حكاية حقيقية كما في عرض "تواريخ المسرح"، فالانتقال من الوثائقيّ إلى المسرحيّ، يدفعنا لإعادة التفكير بالحكايات التي نعرفها مسبقاً بوصفها حقائق، يفترض وسيط تقديمها رد فعل محدد أو متوقع، سواء لدى الممثل أو المُشاهد، وهنا تبرز خاصية التكرار، وإعادة إنتاج الوثيقة مراراً لتقديم أشكال جماليّة جديدة لها، خصوصاً التكرار الذي يعني تغييراً في الوثيقة نفسها وفي معناها، وكأن كل "نسخة"، حدث مختلف في العالم، يخلق تأثيراً ما، ويغيّر موقفنا من الوثيقة نفسها وأحياناً حقيقتها، وهذا ما نراه بوضوح في عرض "عن ظهر قلب"، الذي يوظف المسرح كمساحة للتذكر، وإعادة خلق الحقيقة ومعالمها بوجه النسيان، باعتبار الأخير سلاحاً سياسياً ونقطة ضعف بشريّة.

تمرين على مشهد مسرحي: العروض تخلخل الحدود بين التجارب والأفكار المسرحية المختلفة

إعادة التفكير بالمسرح وجدواه كوسيط فني وسياسيّ، تحيلنا إلى أشكال الفرجة التي نتورط بها دون أن نعلم، فآليات الهيمنة المعاصرة، حولت الزمن اليومي وزمن اللعب إلى زمن استهلاكيّ، بوصف الأخير نظاما وبنيانا سياسيا يوظف متعة ونشوة أن نكون مرئيين لخداعنا، في سبيل تصنيفنا، والتلاعب لا فقط بحركة أجسادنا، بل بذاكرتنا ووعينا بالعالم من حولنا، فما الذي يجعل مشاهدتنا لممثل يلقي أمامنا قصيدة، مختلفة عمن يلتقط صورة لنفسه ويجعل حضوره مرئياً للملايين؟.

التساؤلات السابقة تجعل المسرح أقرب لمساحة للتدريب، واكتساب معارف أدائيّة جديدة ربما تضيء لنا على مساحات الهيمنة الخارجية، تلك اللامرئيّة والمنتشرة حولنا كالأفخاخ، فماذا لو قرر الواحد منا أن يحفظ بيت شعر يختزن حدثاً أو موقفاً شديد الحميمية، عوضاً عن رقم ضمانه الاجتماعي، الذي لا يحوي أي قيمة عاطفيّة، عدا أنه وسيلة سلطوية للتصنيف والتمييز، وخلق الاختلاف على أسس سياسيّة لخلق التجانس، وتحويل الفرد إلى رقم يخضع دوماً لعمليات التحليل والأرشفة.

المسرح: لحظة البداية

يطرح المخرج الفرنسي الشاب ماكسيم كورفير في عرضه "مولد التراجيديا"، سؤالا يرتبط بنشأة الفن المسرحيّ في الغرب، إذ لا يرى المأساة وليدة ظرف تاريخي وتطور ثقافي فقط، بل فعلاً يوظف فيه الممثل جسمه لتجسيد الصراع التراجيديّ، وخصوصاً في المراحل الأولى من تشكل هذا الفنّ، حيث لا تقنيات بصريّة ولا شكل عرضٍ متطور، بل فقط جوقة وممثل مُقنّع يلقي الحكاية أمام الجمهور.

يستعيد كورفير على الخشبة بالتعاون مع ممثلين اثنين، نص الفرس لأسخيلوس، الذي تمت تأديته لأول مرة عام 472 قبل الميلاد، ويشتهر بأنه أول نص تراجيدي عرفه المسرح، كما يتبنى فضاءً مسرحياً شديد الفقر، مستغنياً عن العوامل البصريّة والسينوغرافيّة، واللغة الشعريّة، إلى جانب تخليه عن العوامل الفانتازميّة في النص التي تفعّل الوهم، كبعث الأموات والوصف المبالغ به، ساعياً لمناقشة أول تراجيديا بوصفها فعلاً خطابياً، يكون جسد الممثل هو مولد الفعل التراجيديّ وحامل نتيجته.

يُركز العرض على النص التراجيدي بوصفه ذا أثر في العالم، هذا الأثر يتجلى أولاً بفعل "العرض"، وعلنيته، وتحويله من كلام محكيّ أو نص مكتوب إلى عرض مسرحي، الأثر الثاني، مرتبط بالممثل، وقدرته على تجسيد التراجيديا ونقلها للمشاهد، وهنا يعمل كورفير على جعل الممثل أداة لاستعادة الذاكرة، بصورة أدق استعادة النص التراجيدي لطرح التساؤلات عن صعوبات تأديته، جاعلاً البحث في تقنيات الأداء والمخيلّة والحكاية اختزالاً لتاريخ المسرح الغربي وتطوره.

محاولات المؤديّ تجسيد الحوار مع الجوقة، وبعث داريوس من الموت للكلام في العرض، تدفعنا للتفكير بأدوات الممثل العاطفيّة والمعرفية، وإعادة النظر في مدارس التمثيل والعلاقة مع المتخيل، إلى جانب الإضاءة على المسرح كفن بصري، يسعى لإيجاد معادلات مسرحيّة للأحداث التراجيديّة أو محاكاتها بصورة تمكن الجمهور من تلقيها مع الحفاظ على الأثر المطلوب، سواء كان التطهير أو الفعل السياسي.

تختزن كل مرة تم فيها تجسيد النص، منذ كتابته إلى الآن، الشروط السياسيّة التي تحكم المسرح في كل حقبة، والمعاني التي تتسلل للنص إثر تغير المكان والزمان، إذ يطرح العرض سؤال عن ماهية شبح داريوس إن رأيناه على الخشبة الآن، وما هي دلالاته، وكيف سيؤدي الممثل دوره، وهل سيكون كما وصفه أسخيلوس، أم كما نتخيله الآن.

يرى كورفير أن البحث في التراجيديا، لا يتمركز حول "الوهم" الذي يسعى العرض المسرحيّ إلى خلقه من أجل التأثير على الجمهور، بل حول مفهوم المسرحة ذاته، وأساس نشأته، طارحاً سؤال، لماذا نطلق اسم "مسرح" على سياق يقف فيه شخص على الخشبة ويتحدث للجمهور أو يلقي الشعر أو يغني؟، فهذا الشكل من المواجهة ليس الأول من نوعه في التاريخ البشريّ، ولم يتغير حتى الآن، ما يعني أن "مولد التراجيديا" لا يرتبط بشكل العرض، بل بشيء آخر، بالجهد الذي يبذله الممثل، وجسده وذاكرته، وقدرته على التعبير العاطفي، كأن المسرح بدأ بميلاد الممثل التراجيدي، وهذا ما نشاهده في العرض في تمارين المخيلة والتدريبات الجسدية التي يقوم بها الممثلان في محاولة، لتحويل الجوهر التراجيدي إلى علاقة عضوية بين الجسد والنص.

يفكك كورفير مكونات العرض المسرحيّ ويختبر جدواها إذ يرى في النص وسيلة لنقل الحكاية، والسماح للعرض بأن يؤدى في عدة أماكن، كما يعتبر السينوغرافيا والديكور مجرد وسائل لاستثارة المخيلة، فالمسرح من وجهة نظره يكمن في علاقة المواجهة بين جسد على خشبة وأجساد الآخرين، والقدرة على بناء اللامرئيّ ضمن مخيلة الاثنين، لا على الخشبة ذاتها، إذ يوظف حسب تعبيره مفاهيم "ضد الاستعراض"، ويتبنى السياسات الجمالية التي تختزنها، فهو ينفي العوامل البصريّة الخادعة، ويعود بالعرض إلى شكله البدائيّ الصرف، ممثل وجمهور و"روح المسرح"، ويشير في لقاء معه إلى أنه لا يحاول استعادة مفاهيم نيتشه الذي ألف كتاب يحمل ذات عنوان العرض، أما روح المسرح فهي تلك الطاقة التي تتجسد في الممثل، وتنتج إثر حوار بين الواقع الماديّ والمتخيل التراجيديّ، ليغدو الممثل لاعباً ضمن الاحتمالات التي تختبئ في ثنايا هذا الحوار.

شكسبير على الطاولة

تأسست فرقة "تسلية إجباريّة" البريطانيّة عام 1984، وقدمت العشرات من العروض في أنحاء العالم، معتمدةً منذ بداية نشاطها على التلاعب بعناصر العرض المسرحيّ، وإعادة تعريف العلاقة مع الجمهور، في سبيل تحطيم الصيغة التقليديّة للمسرح وطقسيته، في محاولة لخلق أشكال جديدة لتلقي العرض، أو كما يقول مؤسس الفرقة تيم إيتشل خلق نوع من الحوار والتفاوض بين الجمهور والمؤدين، عبر توظيف تقنيات الارتجال وفنون الأداء، لنرى أنفسنا أمام تجربة حميميّة مسرحيّة، تكسر حياد الجمهور وسلبيته.

تعود فرقة "تسلية إجبارية" هذا العام إلى مهرجان الخريف بعد مشاركتها العام الماضي بعرض "سحر حقيقي"، إذ تشهد خشبة مسرح المدينة في باريس عرض (الأعمال الكاملة-شكسبير على الطاولة)، ويتضح لنا من العنوان، أن الفرقة تتحدى مفاهيم العرض الشكسبيري، فالانضباط بحرفية أي نص لشكسبير يعني أن زمن تأدية هاملت مثلاً، قد يتجاوز الأربع ساعات، فكيف من الممكن أن تقدم أعماله الكاملة التي تبلغ 36 مسرحيّة؟، الحل كان بأن يؤدي كل ممثل ست مسرحيات في أقل من ساعة، بالتالي يمكن "مشاهدة" كل مسرحيات شكسبير على مدى تسعة أيام.

> تحاول بعض العروض خلخلة الحدود التي يولد ضمنها النشاط المسرحيّ أو ما يسمى شروط «المسرحة»، وخصوصاً في العصر الحالي الذي تطغى عليه أشكال الفرجة المختلفة، وتحول الفضاء العام إلى مساحة للعب الاقتصادي

ما تقوم به الفرقة هو العودة إلى ما قبل النص، إلى الحكاية الشفويّة المتداولة، تلك التي تلخص المسرحيّة، إذ نشاهد ممثلاً واحداً، يجلس على طاولة المطبخ، محاطاً بأغراض يومية مختلفة كالكؤوس والملاعق وقوارير الزيت، ليقوم بعدها بـ"حكي" قصة المسرحية لنا، كأنه يروي حكاية نلخصها لصديق في الطريق أثناء الذهاب إلى العمل، مستبدلا الشخصيات بأغراض مبتذلة، وشعرية النص بكلام يوميّ يشبه ما نستخدمه في حياتنا، كما يقوم المؤدي باختزال نص كل مسرحيّة، محافظاً على حبكته وأبرز أحداثه التي تدفع الصراع نحو النهاية.

اختيار الفرقة لفضاء خال لا يحوي إلا بعض أدوات المطبخ، هدفه إتاحة الفرصة للجمهور لاستخدام مخيلته للأقصى، بحيث لا تطغى الديكورات والأزياء واللغة الشكسبيرية الشعرية على تصورات المشاهد، ما يحرر العرض والأداء من شروط المحاكاة والقدرة على الإقناع، ليتحول "الفضاء السينوغرافي" من مساحة ملموسة نراها على الخشبة، إلى بناء متخيّل يختلف بين مشاهد وآخر، ما يخلق نوعا من الحوار بين المؤدي والجمهور، فكلاهما يعرف "حكايات" شكسبير، ما يترك المشاهد يتساءل بعد العرض عن قدرته على تلخيص الحكاية بكلماته الخاصة لاحقاً، وخصوصاً أن بعض الحكايات التي "يرويها" المؤدون، لا تنتهي بعنف ومشاهد قتل دموية كما في النصوص التراجيديّة الشكسبيرية، بل ببضعة كلمات تلخص النهاية الأصليّة، إن اختار المؤدي أن يحافظ عليها.

يحاول العرض تفكيك المتخيل المتحفي والأسطوري المحيط بمسرحيات شكسبير، التي لا بد حسب آراء بعض المتزمّتين "التعامل معها بنضج"، وهذا ما دفع الفرقة لإنتاج هذه النصوص بلغة وأغراض بسيطة أشبه بتقنيات البوب آرت، التي تتلاشى فيها الحدود بين الراقي والمبتذل ما يعيد المسرح إلى صيغته الشعبيّة المتداولة التي تخاطب الجميع، وكسر الاحتكار البرجوازي الذي يتعامل مع المسرح كترف جماليّ ولغويّ.

> نشاهد في بعض العروض سعياً لتفكيك تقنيات «التجسيد»، بوصفها جوهر العملية المسرحيّة، كما في عرض «مولد التراجيديا» الذي يطرح تساؤلات حول الممثل الأول وأول تراجيديا يونانية، في محاولة لفهم الخصائص التي تجعل المسرح مسرحاً، بوصفه فضاء يدّعي الاستقلال، لكنه يختزن خطاب السلطة الذي يتسلل إلى الشكل الجمالي

في كل مرة هاملت جديد مختلف

ينشر المقال بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

محمد بكري: أن تبدأ من المستقبل

سرّ نجاح فيلم «واجب» يكمن في عظمة الصدق

عرفان رشيد
كاتب من العراق

في واجب وغيره من الأفلام.. السينما قضية تتجاوز الصورة إلى المعاني الكبرى

❑ في غضون ذلك منحت مدينة نابولي الإيطالية محمد بكري لقب «المواطنة الفخرية» "كسفير وبنّاء للسلام وللمساواة في أرض مُمزّقة"، وقال عمدة المدينة لويجي دي ماجيستريس في بيان بهذا الصدد "أضمّ صوتي، كإنسان وكعمدة لنابولي، إلى النداء الذي أطلقته لويزا مورغانتيني وجمعية السلام لفلسطين. ووقعه العديد من رجالات الثقافة للتضامن مع الممثل والمخرج محمد بكري الذي سيواجه محاكمة جديدة بعد سبعة عشر عاماً لأنه روى بكاميراته، من وجهة نظر المقموعين، المذابح التي وقعت في «جنين» في الضفة الغربية".

وأعرب دي ماجيستريس وقوفه إلى جانب "جميع الذين يتعرّضون إلى المحاكمات بسبب نضالهم ضد الظلم وضد التمييز وغياب العدالة"، وأضاف "نابولي، المدينة المكافحة، ملتزمة بدعم وتدعيم حقوق الإنسان على الصعيد الكوني، وتمنح محمد بكري لقب «المواطنة الفخرية» باعتباره سفيراً وبنّاء سلام ومساواة في أرض ممزّقة".

عن المحاكمة المُنتظرة يقول محمد بكري بأنّ "هذا الكابوس يتواصل لأنني امتلكت الشجاعة لرواية قصة تختلف عمّا رَوَوْها هم، إنها حكاية «جنين» التي ينبغي أن تُروى من جميع زوايا النظر، دونما حظر أو رقابات".

وهي الشجاعة نفسها التي يواجهني بها محمد بكري في مدينة مالمو السويدية التي حصل في مهرجانها للفيلم العربي على جائزتين لفيلم "واجب" الذي أخرجته آن ماري جاسر وأدى فيه محمد بكري بطولة الفيلم إلى جانب ولده البكر صالح بكري.

محمد بكري تحدّث عن عمله الفني وعن عائلته وأولاده وعن وطنه فلسطين، وكأنّ محاكمة الثالث من يناير المقبل ليست إلاّ واحدة من فعاليات الدفاع عن الهوية الوطنية الفلسطينية إزاء احتلال يهاب الصورة التي تنقل وحشيته وهمجيته في تدمير فلسطين وشعبها.

> المتابع لعمل محمد بكري طوال العقود الخمسة الماضية، سواءً على خشبة المسرح أو على الشاشة، يلحظ تصاعداً متواصلاً في الأداء، سواءً على الصعيد النفسي أو على صعيد قدرة إيصال الفكرة أو الصورة التي يُريدها نصّ ما

أعرف محمد بكري منذ عام 1984 عندما حضر إلى مهرجان فينيسيا مع فيلم "خلف القضبان" للإسرائيلي أوري بارباش، وتواصلت لقاءاتي به في السنوات اللاحقة وأتيحت لي فرصة إدارة أربع جلسات حوار في مهرجان دبي السينمائي الدولي حول فيلمي "زنديق" لميشيل خليفي و"واجب" لآن ماري جاسر، والذي فاز به محمد وصالح بكري بجائزة أفضل أداء رجالي بالتشارك.

نبدأ من المستقبل

وحين أسأل محمد بكري ما إذا كان علينا أن ننطلق من البدايات، أم من استعداداته للعرض الجديد لمسرحية «المتشائل» للراحل إميل حبيبي باللغة الإنجليزية في الولايات المتّحدة، يُجيب "فلنبدأ من هذا لأنني أحب الحديث عن المستقبل والقادم من الأيام". ويُضيف "فكرة تقديم المسرحية باللغة الإنجليزية خطرت ببالي قبل وقت قصير. لقد قدّمتها المئات من المرّات، وباللغة العبرية حتى لحظة التحوّل عندي بعد فيلم «جنين جنين» حيث قاطعت المؤسسة الإسرائيليّة وقوُطعت من قبلها، وواصلت تقديم المسرحية باللغة العربية فحسب ودرت بها في أصقاع الأرض. ومؤخراً تساءلت حول إمكان تقديمها بالإنجليزية، فهي لغة عالمية ويعرفها الملايين".

هكذا ابتدأت حكاية هذا العرض،الذي سيُقدّم في شهري يناير وفبراير المقبلين عروض في مسرح «Cafè LaMaMa»، وهو مسرح مهم للغاية من تيّار «أوف أوف برودواي» أسّسته في نيويورك سيّدة عظيمة هي الراحلة إيلين ستيوارت في عام 1961 وصار عبر السنين محطة هامة من محطات المسرح في الولايات المتّحدة.

يقول محمد بكري "سبق لي أن عرضت في هذا المسرح قبل 32 عاماً، في أيام الشباب، وكنت حينها برفقة الراحل إميل حبيبي، لكنّ هذه هي المرّة الأولى التي سأعرض فيها مسرحية طويلة كـ«المتشائل» باللغة الإنجليزية. سبق لي أن أدّيت أدواراً باللغة الإنجليزية وشاركت في أفلام بهذه اللغة، لكن كما تعرف فإن الوضع مع السينما مختلف عنه في المسرح، فهناك تشتغل على اللقطة الواحدة وبالإمكان الإعادة، لكن في المسرح، على الخشبة، فأنت لوحدك في مواجهة الجمهور، وهو أمرٌ في غاية العسر لأنّ النص مُعقّدٌ للغاية".

ابني آدم

حين التقيت محمد بكري بعد العرض الرسمي لفيلم «عمر» للمخرج الفلسطيني هاني أبوأسعد، وكان الفيلم من بطولة آدم بكري، رأيت كف محمد ملفوفة بقماشة بيضاء مضمّخة بالدم، وحين سألت عن السبب قال لي بأنّه جرح نفسه لأنّه غرز أظفره في الكفّ خلال العرض بسبب التوتّر وهو يُشاهد الفيلم. كان محمد بكري حينها كما الملاكم الذي هبط من الحلبة منتصراً بعد أن واجه خصماً عنيداً، كان جذلاً، فرحاً وآثار الدموع صبغت بياض عينيه بالحُمرة، وآثار ما تلقاه من ضربات بادية عليه، وكانت ليلى، أم صالح، كعهدها، ثابتة الخطو ساندةً لأبي صالح. حينها سألت آدم بكري عن مشاعره وهو يشاهد الفيلم للمرّة الأولى برفقة والده أجابني ".. حين نظرت إلى عيني محمد بكري، ارتحت، لأنني أدركت بأنني أجدت الدور..".

يبتسم محمد بكري إذ يتذكر ذلك اليوم "آه! جرحت نفسي حينها لأنني كنت متأثراً ومتوتّراً.. كنت في غاية التوتّر والقلق على ابني"، ويُضيف "هناك أمور ينبغي معرفتها، في مقدّمها العذاب الذي تعرّض إليه آدم في فيلم «عمر»، والجهد الجسدي الكبير الذي بذله في الحركة والعدو والصراع والمطاردات، وما تعرّض إليه من ضرب كمُمثل في فيلم مليء بالحركة والتوتّر. كلّ ذلك ذكّرني بنماذج ومراحل من حياتي أنا في تحقيق أُجري معي في عام 1968 وأنا في الخامسة عشرة من العمر لمجرّد أنّني كنت أسير في شارع بضواحي تل أبيب. أمسك بي البوليس السرّي، وتعرّضت إلى ضرب مُبرح. تعرّضت إلى كل ذلك لمجرّد أنّني عربيٌ، ولم يكن هناك أيّ سبب آخر. تذكّرت هذا الأمر خلال مشاهدة فيلم «عمر»، وبالذات في المشاهد التي كان يخضع فيها آدم إلى التحقيق أثناء الاعتقال. عاد كل شيء أمام ناظرَيّ لأنّني وجدت نفسي في ابني".

وأعادت مشاهدة فيلم «عمر» إلى ذهن محمد بكري مسرحية أيرلندية كان شاهدها على خشبة مسرح المدرسة التي كان يرتادها ابنه صالح، ويعتقد أن عنوان المسرحية كان «ما فيش دين» أو ما شابه ذلك، وكانت تروي عن شاب ايرلندي يمرّ بذات التجربة بعد اعتقاله وتعرّضه إلى التعذيب والتحقيق معه من قبل البوليس البريطاني حول جُرمٍ لم يقترفه. وكان واضحاً بأنه كان بريئاً ولم يأت بالفعلة التي اعتُقل بسببها إلاّ ليحصل على الدواء لإنقاذ ولده من الموت، إلاّ أنّ الشرطة اتّهمته بالتخريب والإرهاب. "حضرت هذه المسرحيّة، يا سيّدي، لثلاث عشرة مرّة. وقد حدث لي ذات الشيء في مسرحية «جنون» التي أدّى بطولتها صالح. شاب يُصاب بالجنون لأنّه يتعرّض إلى الاغتصاب، ويقضي جُلّ وقته إمّا غاطساً في مياه البحر وإما متسلقاً فوق ذؤابات الشجر. الممثلة التونسيّة الرائعة جليلة بكّار هي من كتبت ذلك النص الجميل. في حالات مثل هذه تدخل شخصية الأب وليس الممثل أو المخرج. أنا أُحبّ أبنائي وأخاف عليهم، لذا أنسى نفسي بأنّ ما يفعلونه في تلك اللحظة ليس إلاّ تمثيلاً فأندمج مع ما يجري أمامي.. وأجرح نفسي".

وإذا فإنّ محمد بكري بريختي في أدائه، لكنّه يتبع مسار ستانسلافسكي حين يجلس في العرض مُشاهداً؟ "دائماً أحاول جهدي أن أكون مهنيّاً وحرفيّاً" يبتسم بكري ويقول "لكن ذلك صعب للغاية في حياتي، لأنني أبٌ، وكأب أظلّ دائماً كما أنا في الواقع، وأنسى بأنّني ممثل وأنسى بأنّ ما يفعله أبنائي هو عبارة عن عمل وتمثيل ومسرح وسينما. نحن بشرٌ ولسنا إلا كتلة مشاعر، لحمٌ ودمٌ في نهاية المطاف".

لقاء جيلين

المتابع لعمل محمد بكري طوال العقود الخمسة الماضية، سواءً على خشبة المسرح أو على الشاشة، يلحظ تصاعداً متواصلاً في الأداء، سواءً على الصعيد النفسي أو على صعيد قدرة إيصال الفكرة أو الصورة التي يُريدها نصٌ ما أو المخرج، لكنّ أداءه في عمليْن سينمائيّين بالذات شهدا من محمد بكري مستوىً عالياً في الأداء، وهذان الأداءان هما: «المواطن ميم» في فيلم «زنديق» لميشيل خليفي، و«أبوشادي» في فيلم «واجب» لآن ماري جاسر. وبالذات في «واجب»، الذي أعتبر أداء بكري فيه القمة في أداءاته، إذْ يختزل عبر دور «أبوشادي» في ساعة ونصف من الزمن أكثر من جيل. تُرى كم استعان بكري بكل الخزين الشخصي والتاريخي الذي لديه لبلوغ ذلك، وكم كان وجود نجله صالح إلى جواره مؤدّياً دور الابن، في تحفيز ذلك التواجه، وليس التجابه، ما بين جيلي الآباء والأبناء؟ فنحن لم نشهَدْ مجابهة ما بين جيلين، بل مواجهة ومحاولة لفتح صفحات ما كانت لتُفتح لولا تلك المواجهة.

يقول بكري "سُئلتُ هذا السؤال بطرُق أخرى، وليس كما طرحته عليّ الآن أنت. أي أن الآخرين سألوني عن سرّ نجاح فيلم «واجب»، والذي حصد حتى الآن ما يربو على 34 جائزة. أنا اجتهدت من أجل الجواب، وكان جوابي صادقاً. والصدق بالذات، برأيي، هو سر نجاح هذا الفيلم؛ الصدق والبساطة في الطرح. وجود صالح إلى جواري في الفيلم جعلني أصْدَقَ بكثير، لأنّ أواقنا، هو وأنا، مكشوفة، علاقاتنا واضحة في الحياة، فهناك حبٌ كبير واحترام متبادل، وثم هناك استقلاليّة كاملة لشخصينا، أنا لا أدخل حيّزه وهو لا يدخل إلى حيّزي أنا؛ كلٌ منّا يحترم حيّز الآخر، والحيّزان، معاً، عبارة عن عوالم متداخلة. وأنت في وضع مثل هذا، إنّما تشتغل على ذاتك ومع روحك. إنّه، صالح، ابني الذي أعرفه حتى قبل لحظة ميلاده، أتذكّر كيف حملته لأول مرّة، كيف بكى، وأذكر لون القماط الذي لُفّ به، وأتذكر ما كان يُحب، شعره ولون عينيه وأذنيه الصغيرتين، منخاره وفمه المفتوح، أتذكر ريحه وعطره، وألف تفصيل وتفصيلا آخر. كل هذا موجودٌ في العمل الذي يجمعنا ويمنح العمل بعداً آخر، وعمقاً لم يكن ليتواجد لو كان هناك أيّ شخص آخر في موقع أيّ منّا، وبالذات بالنسبة لي، فلو أدّى أيّ ممثّل آخر دور « شادي» في الفيلم، فقد كان علينا أن نجتهد حتى نأتي بكل ما توافر لي ولصالح. نحن كنّا جاهزَيْن، وصلنا إلى العمل جاهزَيْن. وكنّا مخلصَيْن وحريصَيْن على الحفاظ على كلّ حرف كُتب في النص دون تغيير حتى حرف واحد".

ويؤكّد محمد بكري بأنّ الثلاثة، آن ماري جاسر وصالح وهو، اشتغلوا على النص كثيراً "شطبنا وزدنا، ثم عدنا لنشطب أموراً أخرى، لكن عندما بلغنا النهاية في العمل على النص طلبت آن ماري الالتزام الكامل بما هو مكتوب دون تغيير حتى حرف واحد، وهذا ما كان، لم نزد على النص حرفاً واحداً، كما لم نتجاهل منه أي حرف، وإذا ما كنّا نخرج عن النص مرّة بكلمة أو كلمتين، كنت أُطالب بإعادة التصوير حتى أكون حريصاً على النص وأميناً له.. ليس من السهل أن تكتب نصّاً، وأنا أعرف مقدار التعب والجهد الذي يبذله من يكتبون النصوص..".

النص والإنسان

التزم محمد وصالح بكري، ومعهما آن ماري، بالنص ولم يخرجا عنه، إلاّ في مشهدي النهاية، مشهد الشجار بين «أبوشادي» و«شادي» والمشهد الأخير الذي يُغلق الفيلم، وليس الخروج هنا بمعنى إضافة أو حذف كلمات، بل بمقدار خروج النص ذاته من الورق ليتسلّل إلى داخل الشخصيتين – الرجلين. وهذان المشهدان اختزال لكلّ شيء، وهما، في الوقت ذاته، استشراف لمستقبل. يقول محمد بكري "بإمكاني الجزم دونما خوف أو مواربة وتردّد، بأن مشهدي «الطوشة» والإغلاق، أي احتدام الصراع والتواجه بين «أبوشادي» وابنه هما الاختزال الحقيقي، ولم يكن بالإمكان أداؤهما إلاّ بمعايشة الشخصيتين وجعلهما يتسللان إلى دواخلنا كبشر وكأشخاص، وأن نتسلّل نحن بدورنا إلى داخليهما. أعترف لك بأنّني حاولت، في بداية نقاشاتنا، إقناع آن ماري بأن تحذف مشهد «الطوشة» من الفيلم لمقدار صعوبته عليّ «أنا محمد بكري» ممثلاً وإنساناً. إنّه جُرحٌ مفتوح، ففي هذا المشهد أنا ألتقي مع أبي، وهو لقاؤنا مع آبائنا جميعاً؛ كلّنا «أبوشادي» و«شادي» في آن واحد، وهنا تكمن قيمة هذا المشهد وصعوبتُه معاً".

مشهد من فيلم واجب

رانيا المشاط: السياح العرب أهم الزائرين بعد الأوروبيين

الاستعانة بالمدونين لتسويق السياحة المصرية على المواقع الاجتماعية

تسعى مصر لمنح قطاع السياحة جرعة تنشيطية من خلال حملات ترويجية في الأسواق المصدرة للسياح، وتستعد وزارة السياحة لإطلاق جولات بمنطقة الخليج لإنعاش موردها الرئيسي من العملات الأجنبية التي شح تدفقها. وأكدت رانيا المشاط وزيرة السياحة بمصر لـ"العرب" أن السياحة العربية تعد ثاني أهم مورد سياحي لمصر بعد الدول الأوروبية من حيث عدد السائحين.

محمد حماد

❑ **القاهرة** – تراهن القاهرة على السياحة العربية لإنقاذ القطاع خلال موسم الشتاء، بعد أن عانى على مدار سنوات من ركود جاء على أصول المنشآت، وخسرت القاهرة موردا مهما من موارد النقد الأجنبي نتيجة توقف الرحلات من مختلف الدول للمقصد المصري.

واستحوذت السياحة العربية على نحو 21.6 بالمئة من إجمالي حجم السياحة الواردة لمصر خلال العشرة أشهر الأولى من العام الحالي.

وقالت رانيا المشاط وزيرة السياحة بمصر في حوارها مع "العرب" إن الفترة المقبلة سوف تشهد انطلاق حملات ترويجية للمقصد السياحي المصري في مختلف المناطق الجغرافية.

وتطرح القاهرة لأول أجندة ترفيهية ثقافية على مدار العام مطلع 2019 تشمل جميع الفعاليات والأحداث الدولية التي تقام على أرض مصر، والمهرجانات السينمائية.

> مفهوم السياحة الخضراء ينصب على الفنادق التي تحافظ على البيئة، خاصة في ما يتعلق باستهلاك الطاقة والمياه، ويطلق على هذه التجمعات الفندقية المقاصد الخضراء

وتنطلق لأول مرة منذ توقف عقدين أولى رحلات "كروز" بين موانئ مصر وقبرص واليونان العام المقبل، كرافد سياحي جديد يعزز من الإقبال على المقصد المصري.

وتعتمد الحملة الترويجية على شعار "الناس للناس" من خلال إبراز خصائص وسمات الشعب المصري المحب للعالم، والترويج للمتحف المصري الكبير، والذي يعتبر أكبر متحف في العالم، ويضم 50 ألف قطعة أثرية تعرض بعضا من أسرار الفراعنة، بخلاف 50 ألفا أخرى بمخازن المتحف، والترويج لكل محافظة أو مدينة سياحية على حدة.

وسوف تتم الاستعانة بمدونين خلال المرحلة المقبلة من دول عديدة ضمن الحملة الترويجية، والمؤثرين على مواقع التواصل الاجتماعي.

وأكدت المشاط أن القاهرة تركز على المنصات الرقمية الهامة لما لها من قدرة كبيرة على جذب شرائح متنوعة من المتابعين.

وتهتم خطة الترويج أيضا بفتح أسواق جديدة في الكثير من الدول، منها الصين، وكشفت لـ"العرب" أن نائب الرئيس الصيني وانغ تشي شان خلال زيارته الأخيرة لمصر قال إنه "سيكون سفيرا للسياحة المصرية في بلاده".

وتجري وزارة السياحة مباحثات مع الملحق الثقافي الصيني بالقاهرة لتدريب المرشدين المصريين المتخصصين في السوق الصينية على كيفية التعامل مع السائح الصيني سواء على مستوى اللغة أو الثقافة الصينية. وتصدر بكين نحو 150 مليون سائح سنويا، وأعلنت لجنة السياحة بجمعية رجال الأعمال المصريين عن خطة تستهدف جذب عشرة بالمئة من السياحة الصينية، من خلال برامج ترويجية في بكين.

وأوضحت المشاط أنها تسعى من خلال الحملات الترويجية لتنشيط قطاع السياحة، ليصبح قائدا للتنمية الاقتصادية، وفاعلا في عمليات التشغيل، ويمتد طموحها لأن يعمل على الأقل فرد من كل أسرة مصرية في قطاع السياحة، من خلال الأنشطة المباشرة أو غير المباشرة.

وتوفر كل وظيفة مباشرة في قطاع السياحة أربع وظائف غير مباشرة، حيث يعد من القطاعات الاقتصادية عالية التشغيل.

وأضافت المشاط لـ"العرب" أن المؤشرات العالمية تؤكد أهمية قطاع السياحة في تعزيز معدلات نمو اقتصاد الدول، ويعد من أسرع القطاعات الاقتصادية نموا وتأثيرا في الاقتصاد العالمي.

وتؤكد الإحصاءات الصادرة عن المجلس الدولي للسياحة والسفر أن عشرة بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي العالمي يأتي من قطاع السياحة، وبلغ 8.3 تريليون دولار، في حين وصلت المساهمة الكلية في التشغيل وتوفير فرص عمل إلى نحو 300 مليون فرصة عمل.

وبلغت مساهمة قطاع السياحة في حجم استثمار رأس المال العالمي ما يقرب من 890 مليار دولار.

وأشارت وزيرة السياحة المصرية إلى أن هذه المؤشرات تعكس الاتجاه العالمي المتزايد بصناعة السياحة التي تستحوذ على 30 بالمئة من الصادرات الخدمية، ونحو 7 بالمئة من صادرات العالم، بنحو 1.4 تريليون دولار من الصادرات، فضلا عن توفير فرصة عمل من كل عشرة فرص يتيحها الاقتصاد.

ولفتت إلى أن مصر أطلقت برنامج إصلاح هيكلي لقطاع السياحة يتواكب مع الاهتمام العالمي ولتنفيذ رؤية الوزارة في تحقيق تنمية سياحية مستدامة من خلال صياغة وتنفيذ إصلاحات هيكلية تهدف إلى رفع القدرة التنافسية للقطاع.

ويتماشى ذلك مع الاتجاهات العالمية، ما يساهم في تحويل التحديات إلى فرص يمكن الاستفادة منها في تطوير القطاع وجعله أكثر تحملا للصدمات.

ويؤكد البرنامج على الإصلاح المؤسسي والتشريعي وتطوير البنية التحتية والاستثمار وتحديث آليات الترويج للسياحة ومواكبة الاتجاهات السياحية الحديثة.

الثقافة السياحية

قالت المشاط لـ"العرب" إن الارتقاء بمنظومة السياحة في مصر يتطلب زيادة الوعي المجتمعي حول أهميتها، ونشر الثقافة السياحية وإرساء أخلاقياتها في المدارس، ولتحقيق ذلك الهدف تم توقيع اتفاق تعاون بين وزارتي السياحة، والتربية والتعليم لنشر أخلاقيات السياحة بين طلبة المدارس ورفع الوعي السياحي للأجيال القادمة.

وأضافت أن تطوير القطاع يتطلب رفع كفاءة البنية التحتية للفنادق، وتحديث منظومة تصنيفها لتواكب المعايير العالمية، في الوقت الذي تحافظ فيه الاستثمارات السياحة على البيئة والتراث الثقافي، ويعد رسالة على استقرار الأمن والسلام.

ويرتبط قطاع السياحة بما يقرب من 70 صناعة أخرى، بالتالي يؤثر نشاط هذا القطاع إيجابا على معدات التشغيل في تلك الصناعات، الأمر الذي يعزز من تماسك مفاصل الاقتصاد.

وذكرت المشاط أن التحديات التي شهدتها السياحة المصرية خلال الفترة الماضية جعلتها أكثر صلابة، بعد أن تخطت العديد من العقبات، في ظل النمو المتزايد في حركة السياحة والسفر حول العالم.

وأشارت إلى أن الفترة المقبلة سوف تشهد استكمال خطوات الإصلاح التشريعي وتقديم عدد من مشروعات القوانين المتعلقة بالسياحة، وأهمها قانون السياحة الموحد.

وأكدت أهمية تحديث وقياس مكونات الأنشطة المتصلة بالسياحة ومساهمتها في الاقتصاد الوطني لتوفير قاعدة بيانات سياحية شاملة وتفصيلية تبرز العلاقة المتشابكة للسياحة مع القطاعات الاقتصادية المختلفة، وأهمية منظومة الإحصاءات السياحية في برنامج الهيكلة.

وشددت على أن الحكومة تسعى من خلال خطط الهيكلة إلى مواكبة متغيرات صناعة السياحة عالميا، وتفعيل مفاهيم السياحة الخضراء، والتوسع في أنشطة السياحة البيئية.

وينصب مفهوم السياحة الخضراء على الفنادق التي تحافظ على البيئة، خاصة في ما يتعلق باستهلاك الطاقة والمياه وخفض الانبعاثات، ويطلق على هذه التجمعات الفندقية "المقاصد الخضراء".

تطوير معايير الفنادق

تمتلك مصر 81 فندقا تضم 21 ألف غرفة فندقية حاصلة على شهادة النجمة الخضراء، بما يشكل عشرة بالمئة من الطاقة الفندقية بالبلاد.

وتحاول الوزارة تحفيز الفنادق على تسريع الخطوات في هذا الأمر، حيث يعمل برنامج النجمة الخضراء حاليا على فنادق البحر الأحمر في الغردقة ومرسى علم وكذلك في القاهرة، ومنتظر أن يتجه قريبا نحو فنادق الساحل الشمالي.

وأكدت المشاط أن برنامج تحفيز الطيران الجديد الذي أطلقته الوزارة بالتعاون مع وزارة الطيران المدني للعمل سوف يستمر حتى أبريل 2020، وله أثر كبير في تعظيم التنافسية السعرية لزيادة الحركة السياحية الوافدة إلى مصر.

ويرتكز برنامج تطوير قطاع السياحة على تغيير الصورة النمطية للسياحة المصرية أمام العالم من خلال تحديث الآليات التسويقية بما يتواكب مع التغييرات العالمية.

وتابعت المشاط لـ"العرب" أنها حريصة على تطوير معايير تصنيف الفنادق المصرية، وقامت الوزارة بالتعاون مع غرفة المنشآت الفندقية بالاستعانة بشركة "بريفيرسك" وهي بيت خبرة عالمي مستقل معتمد لاستشارات الصحة والسلامة لفحص فنادق مدينة الغردقة كمرحلة أولى، فيما تشمل المرحلة الثانية فحص جميع الفنادق بالمحافظات السياحية، بالتنسيق مع وزارة الصحة ومفتشي وزارة السياحة.

ويجري حاليا العمل على تأسيس صندوق استثمار لتطوير الفنادق على غرار صناديق الملكية الخاصة، لضخ رؤوس أموال جديدة لتوفير رأس المال العامل المطلوب لتشغيلها وتطويرها.

وأشارت وزيرة السياحة إلى أن الحكومة مستمرة في إحياء طريق العائلة المقدسة، وتسعى لأن يكون مقصدا جديدا يضاف لخارطة السياحة، بعد موافقة مجلس الوزراء على تشكيل لجنة وطنية لمتابعة وتنفيذ المشروع.

ورصد صندوق دعم السياحة نحو 157 مليون دولار للمحافظات السياحية والوزارات المختلفة، ودعم الترويج والتنشيط السياحي على مدار 11 شهرا، لتعزيز تنافسية قطاع السياحة.

وحول التوجه نحو أفريقيا كشفت عن خطط للتعاون المشترك مع دول عديدة فيها خلال العام المقبل تزامنا مع رئاسة مصر للاتحاد الأفريقي، وتعزيز علاقات مصر بالقارة من خلال تدريب كوادر السياحة بمختلف دولها، وتنشيط حركة السياحة الأفريقية، حيث شهدت تزايدا الأشهر الماضية.

وزيرة السياحة: حملات ترويجية للمقصد السياحي المصري في كل المناطق الجغرافية

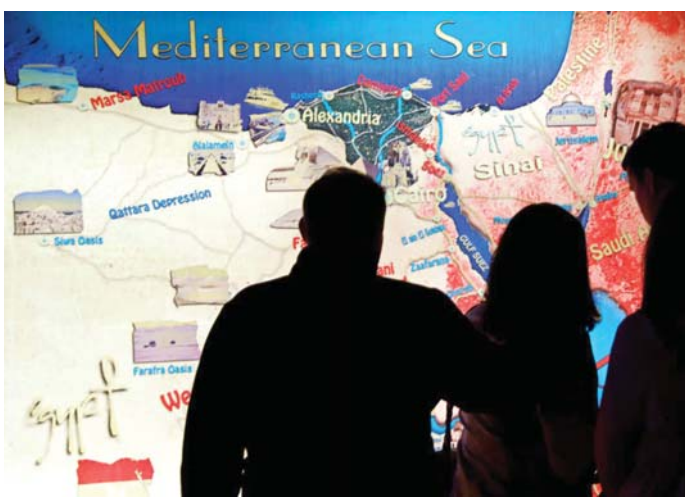

سياحة البحر المتوسط.. و«الناس للناس» والمتحف الكبير وتسويق المدن محاور حملة ترويج 2019

ماليزيا.. جولة سياحية بين مختلف الحضارات

❑ **كوالالمبور** – تظهر بماليزيا آثار الثقافات المختلفة كالعربية والصينية والهندية، فهي تعد بمثابة بوتقة تنصهر فيها مختلف الحضارات والأديان؛ حيث يعيش المسلمون والمسيحيون والهندوس والبوذيون في سلام ووئام.

يقوم فاتي، (36 عاما) ومن أصول صينية، باصطحاب السياح بواسطة دراجة الريكشا التي تجوب شوارع ماليزيا؛ حيث يجلس فيها الركاب على مقاعد وثيرة، لمشاهدة المعالم السياحية بمدينة جورج تاون منذ 3 سنوات، ويتحرك بهدوء بين السيارات وفي إشارات المرور وعبر دروب المدينة الماليزية الشهيرة.

وتزهو مدينة جورج تاون بتاريخها العريق، وتعتبر من المواقع الأثرية المدرجة على قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو، وقد استقر بها البريطانيون بدءا من 1786، وأطلقوا على عاصمة جزيرة بينانق اسم الملك جورج الثالث.

ويمر فاتي مع حلول المساء بدراجته على دار البلدية وقاعة المدينة وأسوار القلعة وبرج الساعة، وتنتشر في الهواء رائحة البحر المختلطة بروائح الطعام المختلفة من الأكشاك مع عوادم السيارات. ويشاهد السياح في نفس الشارع الكنيسة الأنجليكانية سان جورج والمعبد الصيني "إلهة الرحمة" والمعبد الهندوسي "سري مها ماريامان" ومسجد "كابتان كيلينغ".

وتتلألأ ناطحة السحاب كومتار في الظلام باللون الأخضر والأزرق والأحمر؛ بينما يصطحب فاتي السياح أمام الواجهات القديمة، حيث يعشق الماليزيون التأثيرات الضوئية، كما ينبعث الهواء المكيف من مركز تسوق في الشارع، وهنا انتهت الرحلة مع فاتي بدراجة الريكشا.

ولا بد أن يتضمن البرنامج السياحي لمدينة جورج تاون زيارة بينانق هيل، وهو عبارة عن جبل يصل ارتفاعه إلى 800 متر.

ويتم الصعود إلى قمة بينانق هيل بواسطة قطار جبلي مائل وسط المناظر الطبيعية الخضراء. ويجلس أنس، على المقود، ويقوم بما يصل إلى 100 رحلة في اليوم، ويشاهد السياح في العمق معبد بوذا كيك لوك سي وجسر بينانق على البر الرئيسي، كما تظهر المنتجعات الشاطئية باتو فيرينجي على مسافة بعيدة.

وتشترك مدينة جورج تاون مع إيبوه من خلال الهواء الطلق، وتعتبر هذه المدينة بمثابة محطة بينية على الطريق إلى كوالالمبور، علاوة على أنها نقطة انطلاق إلى كاميرون هايلاندز، التي تشتهر بحقول الفراولة ومزارع الشاي، كما تظهر المظلات الملونة في السوق المركزي بمدينة إيبو.

ويدين أكثر من 60 بالمئة من السكان في ماليزيا بالإسلام، وهو ما يتجلى بوضوح في مدينة جورج تاون، ويلاحظ السياح تسامح المسلمين في ماليزيا.

وتشتهر العاصمة الماليزية بالكثير من المعابد والمآذن، إلى جانب الأيقونة المعمارية الحديثة والمتمثلة في برجي بترونـاس التوأم بارتفاع 452 مترا، ويصعد السياح حتى "جسر السماء" للاستمتاع بإطلالة رائعة من الجسر الذي يربط بين البرجين في الطابق الـ86.

وتشتهر كوالالمبور بالعديد من المناطق السياحية مثل "الهند الصغيرة" والحي الصيني والسوق المركزي والقصر الملكي وساحة ميرديكا ومبنى السلطان عبدالصمد. وتندرج مالكا أيضا على قائمة اليونسكو، وتكتمل بها الجولة السياحية في غرب ماليزيا، ومن بقايا الحقبة الاستعمارية البرتغالية بوابة بورتا دي سانتياغو، وهي عبارة عن بوابة الوصول إلى القلعة، ويشاهد السياح داخل قصر المدينة الصيني، والذي يعمل كمتحف اليوم، مزيجا من الأسلوب المعماري الأوروبي والصيني.

وتنتشر التأثيرات المتبادلة في جميع أرجاء ماليزيا؛ حيث تظهر الفوانيس الصينية على كنيسة المسيح الأنجليكانية. ويهيمن المطبخان الهندي والصيني على الأطعمة في ماليزيا.

«الدكتور بيانات» يشخص المرض أسرع من الطبيب

مستقبل الذكاء الاصطناعي في الطب.. الجانب المشرق لثورة الروبوتات

يشهد العالم نموا وتطوّرا كبيرين في مجال الذكاء الاصطناعي على كافّة أصعدته، ورغم الكثير من الأسئلة التي تحوم حول هذه الثورة وتأثيراتها على مستقبل البشرية، وسط قلق من سيطرة هذا الذكاء على البشر ومن تحول سيناريوهات هوليوودية إلى وقائع معيشية وحدوث انقلابات شاملة تغيّر حياة البشر خلال العقود المقبلة؛ إلا أن من بين ثنايا هذه الحيرة تطلّ زوايا وهي تلك المتعلقة أساسا بمجال الصحة والأمراض، وهو ما يبشّر به مستقبل الذكاء الاصطناعي لتطبيب جراح استعصت على "الطب البشري" وإعادة ما أتلف من أعضاء نتيجة سكتة دماغية أو خطأ طبي بشري وإصلاح أعطاب تسببت بها حوادث.

أولريكه فون ليشتشينسكي

❑ **برلين** – لم يعد الذكاء الاصطناعي في المستشفيات خيالا علميا، في عصر "الدكتور بيانات" الذي يتوقع أن يساعد على إنقاذ حياة البشر الذين يتعرضون لخطر السكتة الدماغية، ضمن مشاريع واعدة تستفيد من الثورة في مجال الذكاء الاصطناعي لتطوير أفكار تساعد المرضى على اتخاذ إجراءات وقائية وتساعد الأطباء والعلماء على تطوير علاجات مشخصنة أكثر.

عندما يبدأ العام العلمي 2019 بالتركيز على الذكاء الاصطناعي، فسيتحدث عالم الطب عن قضايا من قبيل: ما الذي تستطيعه أجهزة الكمبيوتر، وما هو المجال الذي يظل فيه الأطباء بلا بديل؟، لكن الأكيد أن هذه الثورة ستفتح أبواب آمال جديدة.

> الذكاء الاصطناعي هو الموجة الأولى من الأدوات التي تسهل مهمة الطبيب. وفي غضون خمس إلى عشر سنوات سيكون هناك المزيد من الأدوات، ستتغير وظيفة الطبيب

يشرف على ابتكار "الدكتور بيانات" ديتمار فري، الطبيب الألماني المتخصص في جراحة الأعصاب، مع فريق من الباحثين في مستشفى شاريتيه في برلين.

يحاول هذا الفريق إعداد أجهزة كمبيوتر تمتلك ذكاء اصطناعيا ستكون قادرة على خدمة المرضى الذين أصيبوا بسكتة دماغية. ويؤكد فري أن "الأمر أكثر من كونه مجرد فكرة، لدينا التقنية".

في مجال السكتة الدماغية، مثلا، يعاني ربع سكان العالم من هذا الداء القاتل، منهم نحو 270 ألف ألماني كل عام. وتقول الإرشادات الطبية في ألمانيا إن أنسجة المخ المصابة تموت بعد أربع ساعات ونصف، ويمكن أن تؤدي الآثار الجانبية للعلاج التابع لذلك إلى المزيد من الأضرار، مثل النزيف في الرأس. لذلك، فإن الأطباء يتوقفون عن تقديم العلاج للمريض المصاب بالسكتة الدماغية، بعد أربع ساعات ونصف من الإصابة "وربما كان ذلك صحيحا من الناحية الإحصائية، ولكن ذلك ليس هو العلاج الصحيح دائما على المستوى الفردي".

البرمجة المفيدة

يعتقد ديتمار فري أن مداواة مصابي السكتة الدماغية حتى بعد مرور أربع ساعات ونصف مجدية، وربما كان هذا التداوي غير مجد بعد ساعتين فقط، في حالات أخرى. ولكن كيف نعرف أن التداوي يصلح لهؤلاء المرضى ولا يصلح لأولئك؟

الإجابة عن هذا السؤال لا يمكن أن تقدمها غير الآلة، وفق د. فري، حيث يقول إن الكمبيوتر يستطيع أن يبحث ضمن الآلاف من الإصابات السابقة بالسكتة الدماغية ومقارنة الحالة الحالية بهذه الحالات السابقة، ليكوّن أنماطا وخيوطا يمكن أن تساعد طبيب الطوارئ عند اتخاذ قرار بشأن مدى جدوى مداواة المريض.

وإحدى وظائف الذكاء الاصطناعي، هي البحث في قواعد البيانات والكمبيوترات المدربة على البحث عن أشكال مبرمجة من الأنماط. يمكن للذكاء الاصطناعي أن يدعم الأطباء في مختلف المجالات، حسبما يؤكد فليكس نينزا، أخصائي الأشعة في المستشفى الجامعي بمدينة إيسن.

ويؤكد أليك روس في كتابه "صناعات المستقبل"، أن الروبوتات ستفعل أشياء مستحيلة بالنسبة للبشر في المستقبل. لكن، هذا الذكاء يجدي بشكل خاص في المواضع التي يكون من الخطأ فيها الاعتماد على البشر: مثل الأنشطة المملة والمرهقة كقياس حجم الورم الخبيث، أو تخزين آلاف الملفات من النصوص والصور ومسحها.

البرمجة المفيدة فن مستقل بذاته، وينسحب هذا الأمر على الطب أيضا "فهناك حاجة لأطقم بيانات تدريب كبيرة بشكل كاف، ويجب أن تكون هذه البيانات قادرة على نسخ أوجه التباين الجديدة"، حسبما يوضح بينيديكت برورس، خبير المعلوماتية الحيوية في المركز الألماني لأبحاث السرطان بمدينة هايدلبرغ. ويضيف برورس أنه إذا كانت إحدى حزم البيانات أصغر من اللازم، فإن الكمبيوتر لا يستطيع على سبيل المثال التعرف على الأنماط العلاجية في الحالات النادرة للإصابة بالأورام السرطانية.

ويعكف خبراء منذ عشر سنوات، بتكليف من المركز الألماني لأبحاث السرطان، على تطوير نظام للذكاء الاصطناعي من شأنه أن يظهر ما إذا كانت أورام الخلايا البدائية العصبية، وهي أورام نادرة تصيب الأطفال، عدوانية أم غير ضارة، حيث أن مداواة المصابين تتوقف على هذه المعرفة. لكن الأمر سيستغرق وقتا حتى يتم استخدام هذه الطريقة عمليا في المستشفيات، حيث يؤكد برورس أن الشروط الواجب توافرها لإجازة هذا النظام صعبة للغاية.

كنز من البيانات

حملت أجهزة حاسوب فري في مستشفى شاريتيه في برلين بالفعل أكثر من 1400 حالة إصابة بالسكتة الدماغية، وسجلت ما آل إليه مصير المرضى أصحاب هذه الحالات بأسماء مجهولة، ثم حولت هذه البيانات إلى معادلات. وهذه البيانات هي أعمار المرضى وجنسهم ووزنهم ونتائج التحاليل الخاصة بهم.

تقوم خطة فري على جعل هذا الكنز من البيانات جاهزا للاستدعاء في قسم الطوارئ، ليكون جاهزا عند قدوم مصاب جديد بالسكتة الدماغية للقسم، ويكون الأطباء قادرين على معرفة ما إذا كانت هناك أوجه تشابه بين هذه الحالة وحالات سابقة، وكيف تصرف الأطباء في الحالات السابقة، وما إذا كانت الإجراءات التي اتخذوها قد نفعت المريض.

وينتظر من الكمبيوتر أن يرد بالنتائج في غضون دقائق، وذلك حتى يستطيع الأطباء المعالجون العثور على العلاج الأفضل للمريض الذي أمامهم الآن "فليس أمام الطبيب اليوم لا الوقت ولا القدرات التي تمكنه من الاطلاع في قسم الطوارئ على جبال الملفات التي تمكنه من عقد مقارنة بين الحالة الموجودة أمامه وآلاف الحالات السابقة، ناهيك عن أن يستطيع الطبيب الاحتفاظ بهذه الحالات السابقة في رأسه وحسابها"، حسبما يوضح فري.

وفي محاولة مشابهة، يقوم الطبيب نينزا في مدينة إيسن بإنشاء قواعد بيانات للصور، يتم فيها الاحتفاظ بصور الأشعة المقطعية والأشعة السينية الخاصة بإصابات الرئة

ويقول نينزا "عندما نشاهد الصور الجديدة لهذه الإصابات، ونقف حائرين أمامها.. ربما تساعد قواعد البيانات الخاصة بالذكاء الاصطناعي في التعرف بسهولة عما إذا كانت هناك حالات مشابهة قد تم تصويرها من قبل، ونلجأ للتشخيص والعلاج الذي صدر لهذه الحالات المشابهة".

ويخلص نينزا إلى أن "مثل هذا الذكاء الاصطناعي هو الموجة الأولى من الأدوات التي تسهل مهمة الطبيب.. وفي غضون خمس إلى عشر سنوات سيكون هناك المزيد من الأدوات، ستتغير وظيفة الطبيب، سيكون هذا التغير أكثر باتجاه دمج البيانات وتحليلها"، حسبما يتنبّأ نينزا.

لا تزال هناك آفاق أوسع للذكاء الاصطناعي، حيث أصبحت الآلة قادرة الآن على سبيل المثال على استخلاص العلم المعتمد على القواعد من خطوط عريضة "ولكن الذي لا يتوفر الآن هو الإبداع أو الحدس والسليقة، في حين أن البشر يستطيعون التفكير بشكل مبدع، التفكير خارج الصندوق"، حسب برورس .

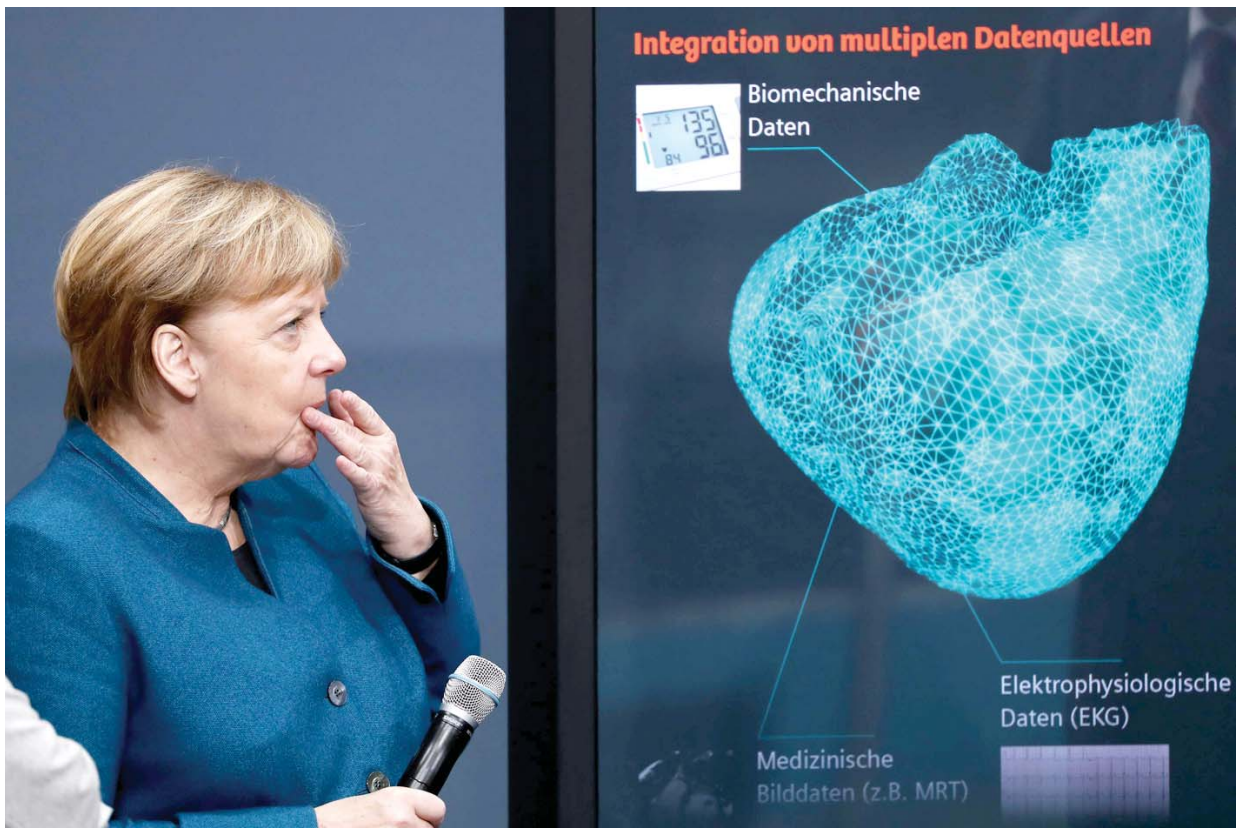

الذكاء الاصطناعي مفتاح النمو والازدهار

باحثون يطورون سربا من الأجسام الصغيرة ذاتية الحركة للقيام بمهام معقدة

نحل روبوتي يخترق أماكن تستعصي على الإنسان وينقذ ضحايا الكوارث

مشتيفان بارش

❑ **برشلونة** – برمج فريق من الباحثين الأوروبيين سربا من مئات الأجسام الصغيرة ذاتية الحركة، الروبوت، بشكل يجعل هذه الأجسام قادرة على التواصل في ما بينها وتغيير شكل السرب ذاتيا دون تدخّل من الخارج. ويأمل الباحثون في أن تصبح مثل هذه الأسراب قادرة مستقبلا على القيام ذاتيا بمهام معقدة، مثل استكشاف حقول من الأنقاض في أعقاب الكوارث أو بناء جسور.

ونشر الباحثون، تحت إشراف جيمس شارب من معهد برشلونة للعلوم والتقنية، تفاصيل هذا الاختراع، الذي شبهه البعض بالنحل الروبوتي، في العدد الحالي من مجلة "ساينس روبوتيكس" العلمية المتخصصة في تطورات الروبوت.

وقال شارب، في بيان عن المختبر الأوروبي لأبحاث علم الأحياء الجزيئي، "نبرهن من خلال ذلك على إمكانية الاستفادة من قدرات الطبيعة على التنظيم الذاتي من خلال تطوير تقنيات بشرية مثل الروبوت".

والنسيج العضوي، على سبيل المثال، يظل سليما ككل عند موت بعض الخلايا، وذلك بخلاف التقنية التي من تطوير البشر، "فعندما يغيب أحد مكونات محرك سيارة فإن ذلك يؤدي عادة لسيارة معطلة"، حسبما أوضح شارب.

واستخدم الباحثون في تجاربهم المئات مما يعرف بـ"الكيلوبوتات"، وهي روبوتات طورت قبل بضع سنوات، ولا يزيد حجم الواحد منها على حجم عملة معدنية، وتستطيع التحرك اهتزازا وتبادل معلومات في ما بينها عبر الأشعة تحت الحمراء.

وحيث أن مدى الأشعة الحمراء الصادرة عن هذه الأجسام لا يزيد عن مسافة نحو عشرة سنتمترات، فإن هذه الأجسام ذاتية الحركة تصل إلى جيرانها فقط، بشكل يشبه أنسجة الجسم التي تتبادل فيها الخلايا المعلومات مع جيرانها المباشرة عبر جزيئات.

ولا يزود الباحثون هذه الأجسام سوى بتعليمات أساسية تحدد كيفية اندماج كل روبوت مع جاره. وليستطيع السرب أن يأخذ أشكالا بعينها، فإن كل روبوت يتبادل معلومات مع جاره بشأن ترتيبه، ويظهر موقعه للخارج من خلال مصابيح ليد ملونة.

ويقوم الباحثون بحساب الشكل الإجمالي من خلال معادلات حسابية تقوم على أساس ما يعرف بـ"آلية تورينج"، التي تعود إلى عالم الفيزياء البريطاني آلان تورينغ (1912–1954).

وبذلك غير السرب المكون من نحو 300 روبوت شكله خلال نحو ثلاث ساعات من دائرة إلى بناء على شكل صليب.

وعندما خفض الباحثون حجم السرب إلى 110 أجسام ذاتية الحركة نتجت عن ذلك ثلاثة نتوءات على شكل الحرف "T". ورغم أن الأشكال بدت مختلفة بعض الشيء في كل تجربة إلا أنها كانت متشابهة دائما. وعن ذلك، تقول زابينه هاورت، التي شاركت في تطوير هذه التقنية عن جامعة بريستول الإنكليزية، "من الجميل أن ترى كيف يأخذ السرب أشكالا، يبدو السرب وكأنه عضوي تماما".

وبينما كان كل روبوت في الأسراب السابقة يمتلك التوجيه المطلوب للتشكل بشكل ما، فإن شارب وزملاءه أحدثوا هذه الأشكال من خلال تواصل الأجسام ذاتية الحركة مع جيرانها، دون خطة فوقية مفروضة عليها .

ورأى الباحثون أن هذا التطور "خطوة في طريق نشأة شكل من أسراب الروبوت على أساس مبادئ التنظيم الذاتي لتقنية الحقل المورفيني" الذي يستخدم بشكل افتراضي لتطوير أشكال وبنى في الأحياء والفيزياء والكيمياء.

وقال الباحثون إنه من الممكن استخدام هذه الأسراب مستقبلا على سبيل المثال في أعقاب حدوث زلزال لاستكشاف المنطقة المحيطة بزلزال أو بناء جسور فوق الأنهار ثم التشكل بعد ذلك بأشكال أخرى "ومن الممكن أن يظل أحد هذه الأسراب في العمل حتى وإن تضررت أجسام مفردة"، حسبما أوضح دانيل كاريلو زاباتا، أحد المشاركين في تطوير هذه التقنية.

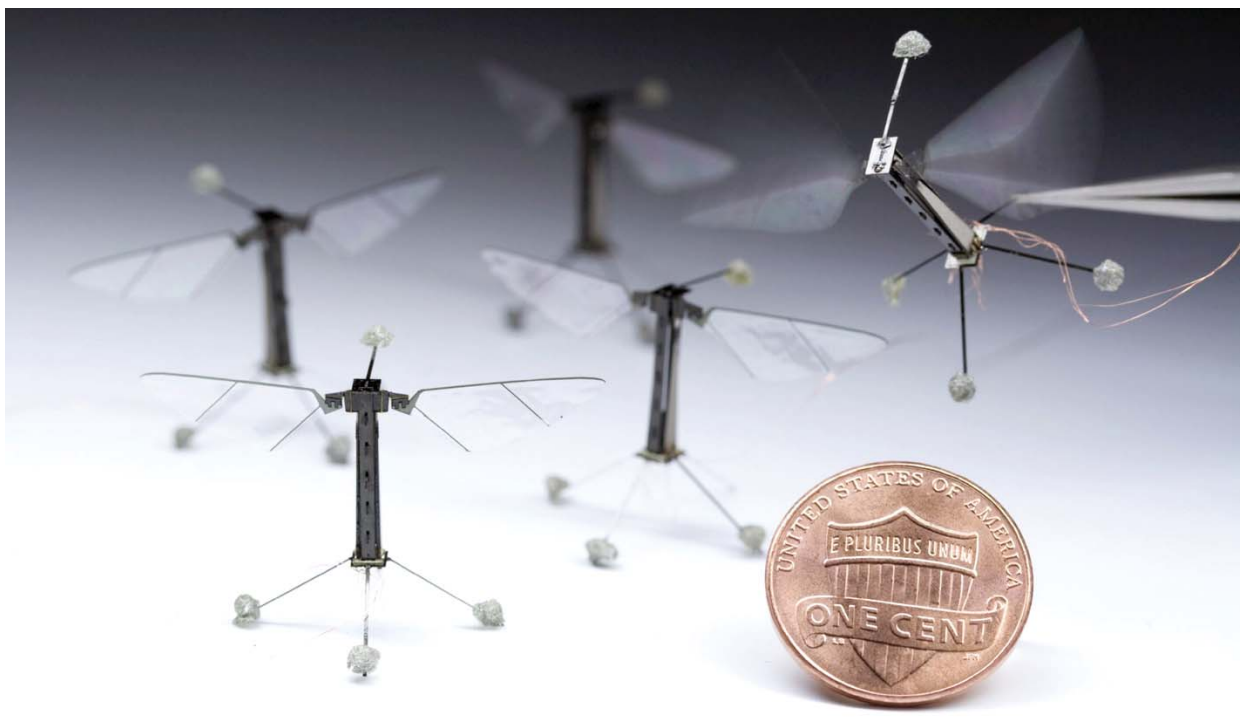

كيلوبوتات متطورة تشتغل بشكل جماعي إذا تعطلت واحدة يكمل بقية السرب المهمة

إدراك فوائد التمارين الرياضية يساعد على زيادة النشاط

النشاط البدني المنتظم يحد من خطر الوفاة

يتحمّس الكثير من الناس لممارسة الرياضات، على اختلاف أنواعها، في محاولة لمواكبة موضة التفاخر بالجسم الجميل وصور التدرّب في قاعات الرياضة. لكن سرعان ما يمل الرياضيون الجدد وينقطعون عن التدرّب وهم بذلك لا يدركون أنهم يفوّتون على أنفسهم فرصة الحصول على جسم متوازن وسليم طوال العمر، وفق ما توصل إليه مدربو اللياقة.

الحركة تزيد من متوسط العمر

❏ **سيدني** – تشير دراسة أسترالية إلى أنه كلما تفهّم الناس فوائد ممارسة التمارين الرياضية كلما كانوا أكثر نشاطا من الناحية الجسمانية.

وأجرى باحثون بجامعة سنترال كوينزلاند مسحا على 615 شخصا لتبيّن معرفتهم بمنافع النشاط الجسماني ومخاطر الكسل. وتضمن المسح أيضا أسئلة لقياس الوقت الذي يمضونه في السير أو القيام بنشاط خفيف مثل السباحة أو نشاط أكبر مثل ركوب الدراجات.

وكتبت كبيرة الباحثين في الدراسة ستيفاني سكويب وزملاؤها في دورية "بلوس وان"، أن النشاط الجسماني المنتظم "يحد من خطر الوفاة لأي سبب من الأسباب بنسبة 30 بالمئة، ومن خطر الإصابة بأمراض مزمنة خطيرة مثل أمراض القلب بنسبة 35 بالمئة، ومرض السكري من النوع الثاني بنسبة 42 بالمئة، وسرطان القولون بنسبة 30 بالمئة".

> النشاط الجسماني المنتظم يحد من خطر الإصابة بأمراض مزمنة خطيرة مثل أمراض القلب بنسبة 35 بالمئة

وكتبوا أيضا أن "النشاط الجسماني المنتظم يزيد أيضا من متوسط العمر ويحسن من الحالة البدنية والصحية بشكل عام".

واتفق كل من خضعوا للدراسة تقريبا على أن النشاط الجسماني مفيد للصحة. لكنّ المشاركين تمكنوا من الربط بين 14 مرضا وتراجع النشاط الجسماني من بين 22 مرضا يمكن أن يصاب الإنسان بأي منها عندما لا يمارس الرياضة كثيرا.

ولم يستطع أغلب من شاركوا في الدراسة تقدير المخاطر المتزايدة للإصابة بأمراض نتيجة عدم ممارسة الرياضة على وجه الدقة.

ولم يتمكن أكثر من نصف المشاركين من معرفة أي قدر من الرياضة يعود على الجسم بالنفع، إلا أن الباحثين توصلوا إلى أنه كلما تمكن المشاركون من الربط بشكل صحيح بين بعض الأمراض وتراجع النشاط الجسماني كانوا أكثر نشاطا وممارسة للتمرينات.

وقال الباحثون في دراستهم، إن مبادرات تحسين الصحة ينبغي أن تهدف إلى زيادة الوعي بأنواع الأمراض المرتبطة بعدم ممارسة تمرينات رياضية.

إلا أنه من نقاط القصور في الدراسة أن نحو ثلاثة أرباع المشاركين كانوا من النساء ومن ثم لم يتضح ما إذا كانت النتائج تنطبق أيضا على الرجال.

وكتبت سكويب في رسالة بالبريد الإلكتروني لرويترز، "جزء كبير من البالغين الأستراليين لا يمارسون نشاطا بشكل كاف.. لهؤلاء نقول إن أي نشاط جسماني أفضل من لا شيء وزيادة النشاط الجسماني مفيدة للصحة".

وتشرح الكاتبة أليس بويس، في تقريرها الذي نشرته مجلة "سايكولوجي توداي" الأميركية، كيف أن الكثير منا يرغبون في الحصول على جسم رشيق والتمتع بلياقة بدنية، لكن هناك عدد من الأخطاء الشائعة التي يقترفها البعض لتحقيق هذا الهدف. وهذه الأخطاء سرعان ما تدفع الكثيرين إلى الانقطاع تماما عن التدرب والميل أكثر للراحة والخمول. ومن بين هذه الأخطاء:

● المبالغة في التمرين: عندما نمارس تمرينا رياضيا سهلا قد نعمد إلى المبالغة في حماستنا ويكون ذلك مثلا عبر تنفيذ تمارين رياضية أكثر من المطلوب أو تخطي أيام الراحة أو الإكثار من التمارين السريعة أو ممارسة الرياضة حتى خلال أيام الراحة.

● الشعور بالإحباط عند عدم رؤية النتائج المرجوة: تحسين اللياقة البدنية أمر صعب، ذلك أننا نعيش أياما تكون فيها طاقتنا أكثر من أيام أخرى. وإذا كان المتدرب يتوقع إحراز تقدم سريع خلال كل جلسة تمرين، فسيشعر بالإحباط ويفقد حماسه مع الوقت. وعادة ما يكون الأشخاص الذين يسعون للكمال أكثر عرضة للشعور بالإحباط مقارنة بغيرهم.

● عدم تجنّب العقبات والتكيّف مع المشكلات: يستطيع الأشخاص -الذين يخططون مسبقا للعقبات التي قد تواجههم- تحقيق النجاح.

● تجنب القلق الاستباقي: تركز برامج التدريب المتدرج على مساعدة الشخص على التحكم بكل خطوة في ظل التقدم الذي يحققه. وفي حال انصب كل تركيزه على النتائج المستقبلية فسيتملكه الشعور بالقلق الاستباقي بشأن إكمال هذه الخطوات. ولكن ما إن يتجاوز المتدرب تلك المراحل سيجد نفسه مستعدا للمرحلة التي تليها.

● توقعات عالية: قد لا يستدعي الأمر تحولا جذريا سريعا، بحيث ينتقل المتدرب من مرحلة انعدام النشاط التام إلى المشاركة في سباق الماراثون. ففي الغالب، سيصبح الشخص تواقا للمشاركة في نشاطات رياضية مكثفة، بمجرد ملاحظة تغيير فعلي على مستوى لياقته البدنية. ويتمثل الجانب السلبي الوحيد بهذه الحالة في الشعور بخيبة الأمل عند الفشل في تحقيق هدفه.

وكانت دراسة أميركية سابقة قد أكدت أن فوائد الرياضة لا تقتصر على المحافظة على الشكل أو حرق الدهون فحسب، بل يمكن لتحسين اللياقة البدنية والانتقال من تمارين اللياقة المنخفضة إلى المتوسطة أن يطيلا عمر الإنسان.

وقال الباحثون الذين أعدوا الدراسة إن المرضى الذين بدأوا بمستويات منخفضة من التمارين الرياضية ثم طوروها إلى مستوى متوسط أو مرتفع انخفضت احتمالات مواجهتهم لخطر الموت أثناء فترة الدراسة بنسبة 40 بالمئة تقريبا. وقال كلينتون براونر، قائد فريق البحث لرويترز، إن "القدرة على التمارين تقاس أثناء اختبار جهد التمرين، ويتم ذلك عادة على جهاز الركض أو الدراجة الثابتة. ويستطيع الشخص الذي لديه قدرة أعلى على التمرين، تحقيق وتيرة سير أسرع أو يصعد عددا أكبر من درجات السلم قبل أن يشعر بالتعب".

وأضاف براونر، وهو باحث في معهد "إيدث وبنسون فورد" للقلب والأوعية الدموية التابع لمستشفى هنري فورد في ديترويت، في ولاية ميشيغان بالولايات المتحدة، أن "القدرة على أداء الحد الأقصى من التمارين هي قدرتنا على العمل".

استخدام تويتر ليلا يؤثر على الأداء

السهر يقلل جودة النوم ومستوى النشاط

❏ **واشنطن** – كشف باحثون أميركيون أن استخدام الهواتف الذكية ليلا والسهر إلى وقت متأخر يؤثران بشكل كبير في مستوى الطاقة والنشاط خلال النهار. وتوصلت الدراسة الجديدة إلى أن اللاعبين في رابطة دوري كرة السلة الأميركي للمحترفين قد يسجلون نقاطا أقل ويستحوذون على القليل من الكرات المرتدة في اليوم التالي لاستخدامهم تويتر في وقت متأخر من الليل.

ودرس باحثون متخصصون في أبحاث النوم الأداء أثناء اللعب لفهم كيف يمكن لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي في وقت متأخر من الليل وكذلك الحرمان من النوم، التأثير على الأداء الوظيفي والبدني في اليوم التالي.

وقالت لورين هيل من جامعة ستوني بروك في نيويورك، "معظمنا تكون معه هذه الأجهزة في غرف نومه وعلى الأسرّة، وهي تتعارض مع نمط نومنا وتبقينا مستيقظين أثناء الليل وتقلل من جودة نومنا".

وحلل فريق هيل تغريدات في توقيتات محددة لعدد 112 لاعبا في رابطة دوري كرة السلة الأميركي للمحترفين خلال الفترة من 2009 وحتى 2016 ونظرَ إلى عدة أمور في اليوم التالي وهي النقاط المسجلة والاستحواذ على الكرات المرتدة وعدد الدقائق التي شاركوا بها في المباراة والقدرة على الارتداد والأخطاء ودقة التصويب.

ولتجنّب التأثير المحتمل للسفر أو اختلاف التوقيت، حلل فريق الباحثين فقط المباريات التي تجمع بين فرق القسم الشرقي مع بعضها البعض والمباريات التي تجمع فرق القسم الغربي. وعرّف الباحثون التغريد في وقت متأخر من الليل على أنه استخدام تويتر خلال الفترة من الساعة الـ11 مساء وحتى الساعة الـ7 صباحا.

ووجد الباحثون أن استخدام تويتر في وقت متأخر من الليل مرتبط بتسجيل نقاط أقل واستحواذ أقل على الكرات المرتدة في اليوم التالي. وبدا أن دقة التصويب تأثرت بشكل خاص، فقد تراجعت قدرة اللاعبين على التصويب الدقيق بنسبة 1.7 نقطة مئوية في اليوم التالي لاستخدامهم تويتر في وقت متأخر من الليل.

ووجد فريق البحث أن اللاعبين غير المعتادين على استخدام الموقع في وقت متأخر من الليل كانوا أكثر تأثرا من اللاعبين الذين اعتادوا على السهر والتغريد أثناء الليل.

الرياضة مع العائلة محفز إضافي للتمارين

❏ **برلين** – يرى مدربو اللياقة أن ممارسة الرياضة بشكل جماعي يتشارك فيها كل أفراد الأسرة تحفز الأطفال وتشجعهم على بذل الجهد وتعلمهم أن التمرّن جزء أساسي من الحياة اليومية، وهي عادة لا غنى عنها مثلها مثل الأكل واللعب والشراب.

ويقول كل من لي هدسون، استشاري طبيب الأطفال العام، ونيف لاندري، اختصاصية تغذية الأطفال في مستشفى غربت أورموند ستريت البريطاني، "يحتاج الأطفال لنحو 60 دقيقة يوميا من التمارين الرياضية ومن الأفضل مساعدتهم في تحقيق ذلك في المدرسة أو المنزل، عبر تشجيعهم على الانضمام إلى فريق رياضي أو المشاركة في الأنشطة المدرسية الرياضية". ولمساعدة الأسر وأطفالها على التمتع بحياة صحية ونشطة، يوصي الأخصائيان بممارسة الرياضة كأسرة واحدة، حيث أن ممارسة التمارين ودمجها في الحياة الأسرية اليومية يجعلان التمرن أكثر حماسا ومتعة.

وهناك الكثير من الأنشطة التقليدية المسلية التي تلائم الصغار وكبار السن على حد سواء ومنها ركوب الدراجات التي تعد رياضة مفيدة في أي سن، لا سيما للظهر. كما أنها تعتبر تدريبا على التوازن والتحمّل والقوة. ويمكن للأجداد والأحفاد ضبط مدة ركوب الدراجات وفقا لمستويات لياقتهم. وتقول إلين فرايبرغر، وهي بروفيسورة متخصصة في طب المسنين في ألمانيا، "من اللطيف أن تقصدوا مكانا تتناولون فيه الطعام معا، مثلا". كما أنها وسيلة رائعة للمشي والنشاط لاستكشاف المنطقة واستنشاق بعض الهواء المنعش. ورغم أن مفهوم التنزه سيرا على الأقدام قد يبدو مملاً للأطفال، إلا أنه يمكن أن يتحول إلى مغامرة استكشافية حقيقية.

ويمكن لكامل الأسرة ممارسة السباحة، أيضا، وتصبح ممارستها في الحمامات المغلقة خيارا سديدا خاصة في الطقس السيء. ومن المسلي أيضا تنظيم سباقات قصيرة أو ممارسة ألعاب في حمام السباحة ويمكن للأولياء أو الأجداد تحدي الصغار للقيام بحركات معينة، مع "التأكد من أنهم قادرون على إنجازها على الأرجح"، بحسب خبير الرياضات ألكسندر فول.

وتشير فرايبرغر قائلة "لا توجد قائمة شاملة من الأنشطة الرياضية والترفيهية لممارستها مع الأحفاد". ولكن المداومة على النشاط والحركة تساعد على تمرين أكبر قدر ممكن من المجموعات العضلية المختلفة.

ومن النصائح التي توردها صحيفة الإندبندنت للآباء والأطفال ترك السيارة وممارسة المشي كلما أمكن إلى المدرسة والمحلات والمتنزهات. وأثناء المشي مع الأطفال، يوصي أخصائيون بمراعاة أنهم ليسوا كبارا واستجابتهم البدنية للرياضة تختلف كثيرا عنهم.

ووفقا لتوجيهات صحية أصدرتها الحكومة البريطانية ينبغي أن يقضي الأطفال وقتا أقل أمام التلفزيون وأن يكرّسوا المزيد من الوقت للتمرن.

ويشير إحصاء لوزارة الصحة البريطانية نشرته صحيفة الإندبندنت إلى أن أكثر من طفل من كل عشرة أطفال في سن الثانية إلى العاشرة يكون بدينا. وتظهر الدراسات أيضا أن الرياضة تعلم بناء المهارات وتعزز المزاج وتقوي الأداء الدراسي.

> أخصائيون يؤكدون أن المداومة على النشاط تساعد على تمرين أكبر قدر ممكن من المجموعات العضلية المختلفة

ونشرت صحيفة وول ستريت جورنال تقريرا أشار إلى أن الأطفال الذين يستطيعون المشي ينبغي أن يكونوا نشطاء لنحو ثلاث ساعات يوميا للمشي أو ممارسة ألعاب المطاردة والركض. والأطفال الرضع ينبغي أن يلعبوا على حصيرة الجمباز والسباحة مع الوالدين.

الوشم تغريدة بالجسد تحمل رسائل الشباب المحبة أو الناقمة

وسيلة تعبير الشباب لرفض ربط الاحترام بالاحتشام والحكم على الشكل الخارجي

تعكس ظاهرة انتشار الوشم بين الشباب العربي، حجم التأثيرات التي خلقتها الظروف الاجتماعية والسياسية غير المستقرة التي تعيشها بعض دول المنطقة. وباتت في كل وشم مرسوم على جسد لغة تعبيرية جديدة تبحث عن التميز والانتماء المفقود، وأداة تمرد على أصولية فرضتها الأجيال السابقة.

محمود زكي
كاتب مصري

❑ **القاهرة** – ظهور الوشم بشكل ملفت في أوساط الشباب ليس مرهونا فقط بالشكل الجمالي ولا بالتصميم الفريد، لكنه أصبح أسلوبا للتعبير عن أراء وأفكار أحيانا يعجز الشاب عن وصفها أو الحديث عنها، الأمر الذي جعله بمثابة منصة جسدية للتعبير عن الذات.

رؤية أحمد عاطف الباحث في كلية آداب بجامعة القاهرة للوشم بهذه الطريقة دفعته لتخصيص رسالة ماجستير للتعمق في عالم الوشم.

قدم عاطف شرحا نفسيا اجتماعيا لتلك الحالات التي أصبحت على مرأى من العامة يمكن ملاحظتها أثناء السير في أي مدينة عربية، شباب وفتيات تبدو الرسوم والوشوم ظاهرة على الأذرع والأوجه والرقبة دون خجل أو خوف من هجوم أو استهجان للفعل الذي كان مرفوضا بقوة حتى وقت قريب.

ورغم أن الوشم ليس اختراعا عصريا، لكن ظل جزءا من تراث وعقائد العرب عبر حضاراتهم المختلفة في صور رسومات الحنة في الأفراح، ودق الصلبان على الأيدي، إلا أن اقتباس التجربة الغربية برسم أيقونات ورموز وكلمات على مناطق بارزة في الجسد، مثل ظاهرة فريدة كانت محدودة لعقود طويلة.

وظهرت العشرات من الورش الخاصة برسم الوشم وانضم المئات من الرسامين إليها لإبراز فنهم باعتبار الجسد أقدس وأجمل لوحة تعبيرية عما يحمله الفنان من إبداع.

ويقول عاطف في تصريح لـ"العرب" إن المسألة باتت تحمل أبعادا متعددة، عززها ظهور العشرات من الفنانين مثل عمرو دياب ومايا وروبي وأحمد الفيشاوي ومنى زكي في المحافل العامة برسوم عديدة حمّست المحبين لهم على تقليدهم، وكسرت الحاجز النفسي لدى كثيرين ضد رسم الوشم وما يشابهه.

التميز سمة

استخلص سوامي بيتسبنغ عالم النفس الأميركي، خلال دراسة أجراها عام 2012 على أكثر من ألف شخص يحملون وشما بمدينة نيويورك، أن هناك ثلاثة أنماط شخصية يحملها كل شخص موشوم، هي: التمرد على الواقع، والشعور بالانتماء، والتميز أو الاختلاف.

ويؤكد محمد محمود، طالب جامعي في كلية الإعلام، ويعمل منذ أربعة أعوام في رسم الوشوم في القاهرة، أن رسم الوشم فن يحمل رسالة للتعبير عن الذات سواء بالنسبة للرسام أو لصاحب الوشم.

ويقول محمود لـ"العرب"، وهو يغرز إحدى الإبر في ذراع حريف، لضخ الصبغة الخاصة لتثبيت الرسم تحت الجلد، إن الكثير من العامة يظنون الوشم مجرد صورة جمالية سطحية، وربما يكون صحيحا، لكنه يمثل لدى الغالبية "تغريدة ولوحة تعبير عن حالة أو موقف أو رسالة ود ومحبة لشخص آخر".

ويوضح "الوشوم تجعلنا أكثر تميزا وجذبا، هي سمة بشرية؛ وجميعنا نرتدي ملابس راقية ونهتم بمظاهرنا لنبدو متميزين، الأمر ذاته بالنسبة للوشم الذي يعطي تميزا وجمالا خاصا لأصاحبه".

لا يتوقف منظور التميز في رسم الوشم عند الشباب على أنه مجرد تعبير عن رسالة شخصية أو غاية فكرية، لكنه أيضا يعبر عن حالة اجتماعية ومادية لدى البعض.

ويعد رسم الوشم خدمة باهظة الثمن، تتراوح أسعارها، حسب الشكل والمساحة وصعوبة العمل؛ لتبدأ من 200 دولار وتصل إلى ألفي دولار، ما يعكس الحالة الاقتصادية لواضعي الوشوم، مثل من يرتدي أزياء من متاجر عالمية.

ويشرح محمود، قائلا "هناك نوعان من الوشم؛ الأول نصف دائم بمعنى أنه يخترق طبقات سطحية من الجسد، ويمكن إزالته بعد فترة، وأغلبه عبارة عن رسم تزييني لأسماء وعلامات على أجزاء من الجسد، مثل كتابة اسم شخص أو شيء بطريقة بسيطة، وتعد اللغة العربية في العموم واحدة من أكثر اللغات اختيارا في الوشوم بسبب شكلها الجمالي، وجاذبية خطوطها المختلفة، خاصة الخط العثماني".

أما النوع الثاني فيكون "رسما إبداعيا عميقا ويصعب إزالته ويقوم بتنفيذه فنانون محترفون، بناء على طلب الأشخاص الذين يرغبون بوشم أجسادهم بعلامة محددة، وهذا النمط من الوشوم هو السائد في عالم الشخصيات العامة".

وتغيرت ثقافة الوشم كثيرا لدى الشباب في مصر والبلدان العربية، وباتت أمرا مقبولا لدى قطاع كبير، وليست وصمة عار مثلما كان يراها البعض.

ويشير محمود إلى أن أغلب زبائنه من الشباب، خاصة الفتيات، حيث يرونه حلية جمالية، لكنه يرفض أن يقوم به لمن هم دون الـ16عاما، لأن الوشم رسم دائم ويجب أن يكون الإنسان راشدا وواعيا عند ذلك الاختيار.

أحمد برعي، شاب في العقد الثلاثيني، يعمل مصرفيا في أحد البنوك الحكومية، اختار أن يضع وشما موحدا هو وثلاثة من أصدقائه رمزا لصداقتهم التي استمرت منذ طفولة، وهو رسم على شكل مثلث يختلط فيه اللون الأحمر والأخضر.

ويقول برعي لـ"العرب"، "أردت أنا وأصدقائي تمجيد علاقتنا والتأكيد على أنها أبدية لن يفرقها مخلوق، فاخترنا رسم الوشم ذاته في أذرعنا ".

ويضيف "الوشم يحمل الكثير من المعاني الراقية والجميلة، فهو تأكيد على توحد وجداننا مع من حولنا بطريقة متينة، لأنه أقوى تعبيرا من الكلمات، فأنت تقول للشخص الذي تحبه أو المكان الذي تنتمي إليه أنا أحبك حتى آخر يوم في عمري، عبر رسم وشم أبدي على جسدي الذي يحمل روحي ويسير معي إلى النهاية".

ويحمل دق الوشوم على الأجساد رسائل شبابية متعددة، لأنها تزيد وتصبح أكثر رواجا بين الأفراد في الفترات السياسية المشحونة تماما، كما كانت خلال الأيام الثمانية عشرة في ثورة 25 يناير 2011 في مصر، حيث انتشر رسامو الوشم في ميدان التحرير الشهير بوسط القاهرة، وأصبحت لهم ورش خاصة في الخيام المتراصة لرسم شعارات الثورة على الأذرع والأكتاف للتعبير الصادق على الانتماء لزخم المد الثوري الملهم.

ويرى استشاري الطب النفسي وائل ربيع، أن انتشار الوشم بين الشباب في الآونة الأخيرة يجسد انعكاسا أوسع لتحولات تعيشها المنطقة العربية، جعلت هناك تمردا على العديد من الصور النمطية للمجتمع؛ بداية من خلع الأزياء التقليدية مرورا بظهور أشكال جديدة في الشوارع والمقاهي لم تكن معتادة لدى المصريين قبل عشر سنوات.

ويستطرد في تصريحات لـ"العرب" قائلا: "المجتمعات العربية كانت تنظر لصاحب الوشم على أنه شخص موصوم بشيء سيء يحرّمه الدين ويرفضه العامة، بالتالي أعطى الوشم صورة سطحية لواضعه على أنه شخص رديء السمعة وغير متدين وفاشل، لكن مع التغير العام وظهور العشرات من النجوم، وهم يضعون وشوما في أماكن بارزة، فرض على كثيرين تغيير انطباعاتهم السابقة، وتشجع الشباب على الحذو خلف من يحبون من شخصيات عامة". ولفتت الانتباه الممثلة الأميركية انجلينا جولي بالوشم الذي وضعته على زندها "العزيمة" باللغة العربية، ومن دون أن يعرف إن كانت قد اختارت هذه الكلمة بنفسها أم اقترحها عليها أحد الأشخاص؟ ولماذا باللغة العربية التي لا تفقهها؟

مثال لفكرة الحرية الشخصية وثقافة تقبل الآخر

ويرفض ربيع اعتبار الوشم موضة أو نهما مؤقتا لفعل ما، لأن له أبعادا تاريخية وتراثية، لكنه يرى أن انتشاره مؤخرا يعكس حالة غضب لدى الشباب، ويوحي بما يجيش في صدورهم من كبت في التعبير عن آرائهم، لذا وجدوا في الوشم ضالتهم وبات صورة جديدة للتعبير دون حاجة لبذل الكثير من المجهود أو التعرض لمضايقات.

التمرد على الواقع

من الصعوبة فصل قضية انتشار الوشم أو "التاتو" عن سمة الشباب العربي الأهم، وهي التمرد على الصور الأصولية المترسخة في أذهان الأجيال السابقة ومحاولة هدمها بشتى الطرق، وإن كان بعضها مليء بالسطحية والضحالة، لكنها في النهاية تشي برغبة شبابية مدفوعة بما تعيشه المنطقة العربية من آثار سياسية وتحولات جسيمة.

ويقرن البعض بين التقليد الغربي الأعمى، والإمبريالية الغربية، وما يأتي من ظواهر متعددة، بداية من رسم الوشم وتغير المزاج العام في الملبس والمشرب والمأكل، وصولا إلى كل ما يتناسق ويتجانس مع المنظور الغربي للحياة. وتحول الوشم مع الوقت إلى قضية سجالية بين مؤيدين يرونه تعبيرا صادقا عن الذات المعقدة، ورافضين قابعين في اتهامات الحرام والتأثر الساذج بالعولمة.

وتبدو الصورة لدى الشباب أكثر شمولية من مجرد تقليد أو تأثر، فهي رمز تمرد على كل ما هو مرفوض ومغضوب عليه.

تقول سناء الوكيل، شابة في منتصف العشرينات، ويمتلئ جسدها بوشوم عديدة في أنحاء مختلفة، إن الوشم مثال صارخ لفكرة الحرية الشخصية وثقافة تقبل الآخر، وإن الإنسان مخير في ما يحب ويشتهي، طالما لم يعتد على حدود الآخرين أو يخترق خصوصياتهم.

تنوه الوكيل لـ"العرب"، إلى أن الوشم ثورة فنية واحتجاج على ما يسعى البعض إلى فرضه من قيود غير مفيدة وغير مجدية، وهو يغضب البعض لأنه يكشف جهلهم ويفضحهم أمام أنفسهم ويجعلهم يتصارعون بداخلهم أكثر على ما فرضوه من قيود واهية تحتاج إلى تغيير جذري.

وتضيف "الوشم لم يعد رمزا يعطي جمالا للمرأة ويجعلها أكثر تألقا، أو يعزز تكاملها مع جسدها، لكنه رسالة توعية بالتغيير والتفهم لاحتياجات كل إنسان".

ويذكر البعض أن انتشار الوشم بين الشباب، امتداد لسلسة من الثورات الاجتماعية المتتابعة والمتشابكة على فروض مصبوغة بالدين وضعها القطاع المتشدد في المجتمع، كربط الاحترام بالاحتشام، والحكم على الآخرين بأشكالهم الخارجية دون النظر لصفات الشخصية والأخلاق الهامّة في بناء مجتمع قويم.

ويلقى الوشم إقبالا متزايدا في أوساط الشباب في تونس حيث أسست مؤخرا أوّل مدرسة لتعليم هذا الفنّ الذي ينظر إليه كثيرون على أنه "مهنة المستقبل" بعد رفض اجتماعي طويل.

وتقول غادة عطيوي "إنها مهنة المستقبل" وهي طالبة تتلقى دروسا في أوّل مدرسة أنشئت مؤخرا لتعليم فن الوشم.

وتنكب الشابة البالغة 19 عاما على رسم أشكال هندسية معقدة ببراعة على جلد اصطناعي مستعملة الحبر الصيني قبل أن تنقلها إلى الجلد باستخدام آلة خاصة.

وكانت مهنة دقّ الأوشام شائعة في المجتمعات الريفية في تونس، وكانت النظرة إليها دونية، وتقتصر ممارستها على غير المتعلّمين أو الهامشيين في المجتمع. لكن الأمر بدأ يتغيّر في السنوات الماضية، ولا سيما بين الشباب.

وتقول غادة "هو فن المستقبل ومهنة المستقبل، ولا يوجد الكثير من النساء في هذا الميدان، وهذا يشكّل تحديا لي".

وإلى جانبها في الصف ثمانية طلاب تتراوح أعمارهم بين التاسعة عشرة والحادية والثلاثين، يأملون أن يصبحوا محترفين مجازين في الوشم لأن غالبية من يمارسون رسم الوشم يعملون بطريقة غير قانونية في تونس.

ويفكر المختص في العلاج الطبيعي سامي الصيد (31 عاما) في فتح قسم للوشم في عيادته، وهو فخور بالوشم الذي يزين يديه ويقول "أكون سعيدا حين أقوم بعمل أحبه".

إعجاب تحول إلى مهنة

افتتحت المدرسة الأولى المعترف بها رسميا في تونس منتصف نوفمبر الفائت، في منطقة المرسى الراقية (الضاحية الشمالية) لتكون بذلك أول مركز من هذا النوع في العالم العربي وشمال أفريقيا.

وقد واجه خبير دقّ الأوشام المعروف فواز زهمول صعوبات من أجل الحصول على ترخيص رسمي وإنشاء نقابة.

وباشر زهمول، المهندس السابق، عمله في الأوشام في العام 2006، وشارك في تدريبات في الخارج ليمسك بزمام "هذا الشغف الذي أصبح مهنة".

وبدأ هذا الفنّ في تونس مع البربر، وانتشر بين سكان البادية على وجه الخصوص.

ولا يلقى الوشم استحسان الأوساط الدينية لاعتباره "تغييرا لخلق الله"، ولا سكان المدن الذين لطالما شعروا بأنه تقليد متخلّف فيما البلد يسعى نحو الحداثة منذ الاستقلال عام 1956. وزاد من النظرة السلبية له أنه ارتبط بالسجناء الذين درج الكثير منهم على تزيين أجسامهم بأسماء من يحبون.

وحين فتح زهمول أول صالون قانوني للوشم في تونس، أراد أن ينقل كلّ معارفه إلى غيره. وكلفه حبه لمهنته مشكلات كثيرة، منها اعتداء من أربعة رجال اتهموه بأنه ماسوني وأنه يبيع مواد ترمز للشيطان.

> الوشم لم يعد يمثل مشكلة في تونس مثلما كان عليه الحال في السابق، بسبب الظهور الإعلامي المتكرر لفنانين تحمل أجسامهم أوشاما وأسست مؤخرا أوّل مدرسة لتعليم هذا الفن

لكن زهمول يؤكد أن "الوشم لم يعد يمثل مشكلا في تونس مثلما كان عليه الحال في السابق، ولا سيما بسبب الظهور الإعلامي المتكرر لفنانين تحمل أجسامهم أوشاما".

ويتلقى الطلبة في مدرسة الوشم تعليما يشمل القواعد الصحية وأسرار المهنة، وذلك يومي السبت والأحد لمدة ستة أشهر مقابل أربعة آلاف دينار (1365 دولارا).

ويرى المدرب أمين العبيدي أن "المدرسة فتحت بابا جديدا للعالم العربي وشمال افريقيا". ويضيف هذا الشاب البالغ 32 عاما الذي يحمل جسمه 40 رسما منها علم تونس واسم الله والأشخاص الذين يحبهم "واجهنا مشاكل كي نتعلم التقنيات والبراعة، وآمل أن لا يواجه هؤلاء الفنانون الشبان المشاكل نفسها".

ويرى الباحث في علم الاجتماع عبدالستار الشيباني أن هناك "طريقة جديدة للوشم بدأت تحتل حيّزا كبيرا اليوم، وهي متأثرة بالتقنيات والذائقة الغربية".

ويعتبر الشيباني أن الظاهرة تشكّل واحدة من تداعيات "هيمنة السياسيين على الفضاءات العمومية" ما يدفع "فئة من المجتمع للجوء إلى وسائل تعبير أكثر جرأة مثل وشم الجسد للأبد".

ولا يتوقف الوشم باعتباره أداة للتمرد عموما عند المجتمع والدين، بل يخرج ليمثل بوتقة من المغامرة غير المحسوبة والترضية الذاتية، مع ربط البعض بين رسم الوشم والإصابة بالأمراض الجلدية الخطيرة.

وفي العقد الماضي توقع العلماء أن تنخفض نسب أصحاب الوشم في العالم مع ظهور تأكيدات على كونه أحد مسببات سرطان الجلد، ويعزز الإصابة بأمراض فيروسات الدم، لكن على النقيض، زادت وتيرة انتشاره بين الشباب ونجوم الفن والكرة من دون اهتمام بما يوصي به الأطباء، وهو ما اعتبره علماء النفس والاجتماع "امتدادا لرسالة التمرد الشبابي على كل مناحي الحياة حتى الوقاية الصحية".

المرأة العربية تجسّد حلمها بالريشة والألوان

تشكيليات يكسرن الإطار الذكوري المحيط بالفنون الجميلة

الطابع الذكوري المهيمن على العالم، يضيق الخناق على الفنانات التشكيليات، لكن كل الضغوط والمشكلات التي تمنح الفنانين الرجال الكثير من الامتيازات في هذا المجال، تصبح غير مرئية بالنسبة لمن تذوقن نشوة الألوان وأتقن لغتها.

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

❑ لم يكن من السهل على النساء إدراك قدراتهن التعبيرية في مجال الفن التشكيلي الذي سيطر عليه الرجال لقرون طويلة من الزمن، وخاصة من عشن في بيئات تنظر إلى المرأة نظرة دونية، وتتشابك فيها الجوانب التشريعية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لتدفن الموهبة الفنية للمرأة وتحول دون مشاركتها في صناعة تاريخ الفن التشكيلي.

وتكشف أعمال أشهر رواد الفن التشكيلي الدور المحوري الذي لعبته المرأة كمصدر إلهام للفنانين، إذ استقوا من جمالها إبداعاتهم واكتسبوا من مفاتنها الأنثوية نجاحاتهم، لتكون رمزا للحب والخصوبة والأمومة والرغبة الجنسية الجامحة...

وتعد لوحة "الموناليزا" واحدا من أجمل أعمال الفنان والعالم والمخترع الإيطالي ليوناردو دافنشي، التي أنجزت في القرن الخامس عشر، وظلت لغزا يحير عشاق الفن التشكيلي، بسبب تلك الابتسامة الغامضة والمدهشة.

وشكلت المرأة على مر العصور نموذجا لأعمال الكثير من الفنانين من مختلف المدارس التشكيلية، وباتت لوحاتهم مادة خصبة للكتاب والمؤرخين، وكذلك جلبت الاهتمام الشعبي، إلا أن رؤية الرجل للمرأة هي التي تطغى عليها وليس رؤية المرأة لذاتها.

ولسنوات طويلة ظل الفن التشكيلي يطفح بهرمون الذكورة أو "التستوستيرون"، وسيطرت عليه عضلات الرجال، من دون أن يترك المجال للمرأة، لترسم هويتها الفنية بشيء نابع من داخلها، وليس من الرجل.

وفي البيئة التي غلب عليها الطابع الذكوري، لم تستطع سوى قلة قليلة من النساء القويات تحسس طريقهن نحو الفن التشكيلي في القرن العشرين، عندما بدأت الأمور تتغير ليس فقط بالنسبة للفنانات، بل للنساء بشكل عام، وقد كانت الحركات النسوية دافعا كبيرا لسريان طاقة لا تُقاوم في أوصال النساء، وتفجير مواهب فنية كانت ترقد وسط الرماد.

غير أن البصمة الأنثوية استغرقت الكثير من الوقت قبل أن تتبلور وتصبح جزءا من حركات الفن التشكيلي، بسبب التحيز الذكوري إلا أن ذلك لم يستمر، فقد حظيت النساء التشكيليات بالاحترام في مراحل لاحقة وانتزعن الانتباه والاهتمام، وفتحت أمامهن مدارس الفن التشكيلي أبوابها الواسعة، ليعبرن عن هويتهن برؤيتهن الذاتية، التي قد تلتقي مع الفنانين التشكيليين الرجال في جوانب معينة، وقد لا تتقاطع معهم بالضرورة. وعلى الرغم من تحسن أوضاع المرأة في مختلف عواصم العالم في القرن الأخير، وبروز العديد من النماذج لنساء تشكيليات ناجحات، لكن ذلك لم يكن دافعا للمجتمعات الذكورية لتساعد نساءها على الولوج إلى عالم الفن، الذي بقي يُنظر إليه في بعض الأوساط على أنه من المحرمات حتى بعد أن أسست الكثير من الفنانات حقولا فنية نوعية، فندت الخلفيات التاريخية التي استبعدت المرأة من المجال الفني.

لكن يبدو أن جميع العوائق تتلاشى عندما نقترب أكثر من الفنانات التشكيليات العربيات، ونلقي نظرة على أعمالهن التي تشي بعطاء إبداعي متواصل يحيط به أمل دائم، حتى وإن كانت أرقام معارض بعضهن ومعدلات العائدات المالية لأعمالهن الفنية، تحكي قصصا أقل تفاؤلا بالمقارنة مع الفنانين الذكور.

الفن لا حدود له

من الواضح أن الفن لا حدود لقيمته بالنسبة للرسامة التشكيلية اللبنانية المقيمة في الإمارات كلود حبيب، فهي مؤمنة بألا شيء يستطيع أن يوقف ريشتها عن رسم عالمها الذي احتواها ووجدت فيه ملاذا وجسرا للتفكير بشكل مختلف.

تقول حبيب لـ"العرب"، "انطلاقا من أهمية العلاقة ما بين الفن والفلسفة، أعتبر أن الفن التشكيلي هو الغاية والوسيلة الفضلى في آن معا، وذلك من حيث التباين والاختلاف والمحاكاة، لذلك لا أفصل الفن والأدب والعلم عن بعضها البعض في أعمالي للتعبير عن الحالات النفسية العميقة غير المرئية كالقلق والفرح والحزن والخوف والحالات الذهنية التي أمر بها كفنانة وإنسانة".

ويبدو أن حبيب الحاصلة على دبلوم دراسات عُليا في الفنون التشكيلية من الجامعة اللبنانية، وشهادة في تاريخ الفن من جامعة السوربون بأبوظبي، لا تؤمن بالمستحيل في الإبداع، لذلك تتعمد دمج العديد من الخامات في رسوماتها، أو ما يعبر عنه بـ"المكسد ميديا"، لكنها تظل وفية للفحم بالدرجة الأولى ثم الزيت، يليهما الإسمنت والأسلاك على اختلافها.

ولفتت حبيب إلى أن أكثر ما يثير قريحتها الفنية هو المناظر الطبيعية والمرأة والشخصيات الفنية والأدبية، وقد استطاعت حبيب بالفعل أن تكون أنموذجا مشرفا للمرأة التشكيلية العربية، حين أسّست في العام 2009 بالعاصمة الإماراتية أبوظبي غاليري "لا بارول" أي "الكلمة" ليكون منبرا للفن المعاصر، وأيضا عندما تم تكريمها في فرنسا عن "البروتريه" الذي رسمته للشاعر والكاتب الفرنسي بول فاليري، والذي أصبح من مجموعة المتحف الخاصة بعد أن تم تحويله إلى بطاقة بريدية.

تستطيع حبيب أن تفعل الكثير في مجالها الذي هي شغوفة به وعازمة على مواصلة دربها فيه، وكذلك الشأن بالنسبة للكثيرات من بنات جنسها اللواتي يشتركن معها في هذا الحب السرمدي للفن التشكيلي.

تقول حبيب "لقد أصبح للمرأة العربية دور فعال في المجال الفني من حيث الطرح والتميز. بحيث توازي الأعمال النسائية ما يقدمه الرجل من فكر تشكيلي وتقنيات متبعة".

وتضيف "كتشكيلية عربية ذات خلفية فلسفية، وكأستاذة فنون جميلة، وصاحبة طرح جديد يعتمد على تقديم الفن التعبيري حتى حدود القلق، أفضل تسليط الضوء وليس التعميم، على ما قد يكون عثرة في طريق بعض التشكيليات العربيات".

وتواصل "تعمل التشكيليات العربيات جاهدات على إيجاد بصمة خاصة في المجال الفني والفكري الجمالي، ولكن في بعض المجتمعات العربية ما زالت تفرض الكثير من القيود على الفن عموما والمرأة تحديدا، من ناحية الموضوع والطرح على حد سواء، ولصالح الرجل، ما يجعل الإنتاجات الفنية الأنثوية محصورة حول مواضيع محدودة ومحددة إلى حد كبير".

وتتمنى حبيب أن يتمكن الجيل الصاعد من طالبات الفنون الجميلة والمثقفات من امتلاك أدوات التغيير، والذهاب بالفن التشكيلي وبكل الفنون بعيدا عن أي حدود معيقة لإبداعات المرأة.

الإبداع مصدر النشوة الدائمة

وجهة نظر جمالية

لا شك أن الفن التشكيلي بمختلف تعبيراته يمثل نافذة تطل من خلالها الرسامات على الجمال المحيط بهن فيتفاعلن معه ويسلطن عليه معيارهن الخاص، ولذلك جاءت رسومات التشكيلية العمانية سمر بنت صادق العزاوي محملة بوجهة نظرها للطبيعة العمانية ومناظرها الخلابة.

تقول العزاوي لـ"العرب"، "ولدت في بلد معروف بتاريخه العظيم والطبيعة الساحرة... ومنه بدأت قصة حبي لهذه اللوحة الطبيعية الممتزجة بالجبال والنخيل والقلاع المليئة بقصص وحكايات تشهد على تاريخ هذا المكان".

وتضيف "كنت أهوى الرسم منذ مرحلة الدراسة الابتدائية، إذ كانت لوحاتي تزين ممرات المدرسة، وبعد التخرج من الجامعة الأردنية ومن قسم الاقتصاد تحديدا، جذبني الحنين إلى هوايتي الأولى وهي الرسم، ولكن بأسلوب أكثر نضجا وبأفكار جديدة، لذلك خضعت لعدة دروس في هذا المجال حتى أستطيع مسايرة الأسلوب الحديث في الرسم، كالرسم بألوان الأكريليك أو الزيتية وحاليا أتدرب على الرسم بمادة الريزن".

وأشارت العزاوي إلى أنها شاركت في عدة معارض، منها مركز الفن الراقي في مدينة دبي، حيث تقيم حاليا، وقد تم تكريمها من قبل عدة جهات، ولكنها عازمة على المشاركة في المزيد من المعارض في الأعوام المقبلة.

وعن الصعوبات التي تواجهها الفنانات التشكيليات في البلدان العربية تقول العزاوي "تضييق المجال على النساء من قبل الرجال هو في حقيقة الأمر تحصيل حاصل".

وتضيف "الرجل ليست لديه التزامات البيت والأولاد، ولذلك فمن السهل عليه السفر والمشاركة في عدة معارض بدول أخرى، أما المرأة فعليها الاهتمام إلى جانب فنها بشؤون أسرتها، من الصعب عليها التواجد في كل الأماكن وفي نفس الوقت، كما أن المرأة بطبيعتها الأنثوية وفطرتها لا تستطيع أن تهمل أسرتها التي تبقى دائما من أهم أولوياتها، ولعل هذا ما يجعل معظم التشكيليات يمارسن الفن كهواية أو كعمل إضافي لعملهن الأساسي".

وشددت العزاوي على أن بصمة المرأة في الفن التشكيلي كانت موجودة على الدوام، وإن اختلف الحال بين الشرق والغرب، موضحة أن هذه البصمة قد أصبحت اليوم أكثر وضوحا وجرأة وتعبيرية، وباتت المرأة تستطيع قول ما تريد بالألوان أكثر من ذي قبل.

قبول فكرة التحدي

مع أن هناك عوائق في المجتمع بالتأكيد، إلا أن الفنانة سهير عبوشي، الأردنية من أصول فلسطينية، مؤمنة بأن النساء في بعض الأحيان، هن من يمنعن أنفسهن من التقدم في مجالهن.

تعتقد عبوشي بأن الأمر كله مرتبط أحيانا بعدم تقبل النساء لفكرة التحدي، فهن بحاجة إلى أن يتمتعن بروح القتال الصحيحة من أجل إثبات ذواتهن. وهذا ليس دائما شيئا يأتي بمفرده.

درست عبوشي الفن التشكيلي في معهد الفنون الجميلة في الأردن ثم فن الفسيفساء الحجري والزجاجي في إيطاليا وتحديدا بمدينة رافينا، وبعد عودتها إلى الأردن انضمت إلى مؤسسة نور الحسين حيث درست فن الخزف وأقامت محترفا خاصا بها يجمع كل ما درست في مكان واحد.

تقول عبوشي لـ"العرب"، "ما يميز أعمالي هو محاكاة الواقع والطبيعة والإنسان من حيث الرسم الزيتي أو المائي، أما الفسيفساء الذي دمجته مع الرسم والخزف فهو نابع من شدة عشقي واهتمامي بأرضيات الفسيفساء الموجودة في الكنائس ودور العبادة والمتاحف، إنها مرجعي الأول والأخير الذي أحاول إظهاره من خلال قطع خزفية وجداريات وعرضها والوصول بها إلى مستوى ثقافي تشكيلي يليق بها، كما أنني أسعى دوما لنشر هذا الفن قدر الإمكان في المؤسسات المهتمة بنشر التراث".

استطاعت عبوشي أن تقدم نفسها كفنانة تشكيلية عربية بشكل جيد وتلبي توقعات محددة، من خلال تركيزها على إبراز هويتها الخاصة في أعمالها، وبعد أن أقامت أول معرض خاص بها في عمان والمشاركة في العديد من المعارض الأخرى في مجال فن الخزف المنقوش بالفسيفساء، تسعى حاليا إلى توظيف ما لديها من طاقة وموهبة وخبرة في فن الخزف الذي يمثل نقطة الارتكاز للتعبير عن ذاتها من خلال التشكيل بالطين وبأفكار مدروسة وأخرى وليدة اللحظة.

وأكدت عبوشي أنها واجهت تضييقا من قبل الرجل التشكيلي ومحاولته تحجيم نشاطها، إلا أنها لم تكن تكترث لمثل هذا الأمر لأن ذلك على حد تعبيرها "ليس ذنب الرجل وإنما ذنب ومسؤولية المؤسسات الرسمية، سواء المدارس أو وسائل الإعلام أو المؤسسات الاجتماعية والأسرية، التي لم تؤهل الرجل ليتقبل الذائقة الجمالية للمرأة".

وقالت عبوشي "يتحمل الرجل التشكيلي جزءا كبيرا من المسؤولية في تضييق الخناق على المرأة التشكيلية، فبرغم أن الفن حرية إلا أن طغيان الثقافة العربية الشرقية التقليدية أشد من الرؤية البصرية لديه، لكن بالمجمل والحمد لله نستطيع أن نقول إننا وصلنا اليوم إلى مستوى العالمية، لأن حساسية الفنان بالفن هي التي تؤهله للبحث عن الأصالة في فنه وإضفائه نزعته الخاصة عليه وليس نوعية جنسه".

يوجد في الواقع عدد لا حصر له من مصادر الضغوط والمشكلات عميقة الجذور التي تعرقل الفنانات التشكيليات وتمنح الفنانين الرجال العديد من الامتيازات، ولكنها قد تصبح غير مرئية بالنسبة لمن تذوقن نشوة الألوان وأتقن لغتها التعبيرية.

سهير عبوشي:
حساسية الفنان بالفن سواء كان رجلا أو امرأة، هي التي تؤهله لإضفاء نزعته الخاصة على أعماله وليس نوعية جنسه

كلود حبيب:
أعمال المرأة العربية توازي ما يقدمه الرجل من فكر تشكيلي وتقنيات متبعة

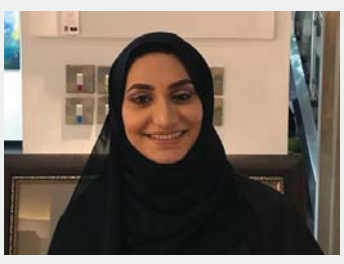

سمر بنت صادق العزاوي:
بصمة المرأة في الفن التشكيلي كانت موجودة على الدوام، ولكنها أصبحت اليوم أكثر وضوحا وجرأة وتعبيرية

زمن الوصاية النسوية على الفن

فاروق يوسف
كاتب عراقي

❑ منذ عصر النهضة وحتى القرن العشرين اكتفت المرأة بأن تكون ملهمة جمال وليست صانعته. قلة من النساء تسكن أعمالهن المتاحف اليوم. الأمر تغير في القرن العشرين بسبب تغير وضع المرأة في المجتمع وحصولها على الكثير من حقوقها وبالأخص في النصف الثاني منه. على الصعيد العربي أعتقد أن النساء يتصدرن المشهد التشكيلي اليوم. وهو ما نتج عن نضال رسامات رائدات كافحن من أجل أن يخترقن المجتمع الذكوري برؤاهن المختلفة أمثال التونسية صفية فرحات والجزائرية باية محي الدين والمصرية جاذبية سري والمغربية شعيبية بن طلال والعراقية مديحة عمر والفلسطينية سامية حلبي. اليوم هناك عشرات الفنانات التشكيليات اللاتي يمكن النظر إلى تجاربهن الفنية بتقدير واحترام، لا بسبب نسويتها وهو أمر قابل للنقاش والجدل من قبل الفنانات أنفسهن بل بسبب ما تنطوي عليه تلك التجارب من مهارة حرفية وخيال يحضر من جهة غير متوقعة وموضوعات ليست للرجل خبرة فيها. يمكنني أن أذكر هنا على سبيل المثال جمان النمري وهيلدا الحياري من الأردن وفاتن النواوي ونازلي مدكور من مصر وآمنة النصيري من اليمن ونادرة محمود من عُمان ورانية كرباج من سوريا وسهى شومان من فلسطين وابتسام الصفار من قطر وبلقيس فخرو من البحرين ونجاة مكي من الإمارت. هناك العشرات سواهن شكل وجودهن نقلة نوعية في الوعي الفني وبالأخص على مستوى التعبير عن طريقة جديدة في التفكير في الفن ومن خلاله. ما يحدث اليوم أن هناك ثورة فنية هي في حقيقتها ثورة نسوية على عالم فشل الرجال في التماهي مع شروط عصره وقيادته. من أهم ملامح تلك الثورة إعادة النظر في النتائج الأسلوبية التي انتهى إليها الفن التشكيلي في العالم العربي عبر أكثر من سبعين سنة. لقد عاد الرسم تشخيصيا بعد أن استقام تجريديا على أيدي الرجال. ذلك تحول أتاح للمرأة أن تضع موضوعاتها على مائدة النقاش باعتبارها رهانا اجتماعيا وثقافيا لا يمكن القفز عليه. وهو ما فتح الأبواب على عوالم لم يدخل إليها الرسم في العالم العربي لأول مرة عبر مسيرته التاريخية.

في ضوء المعطيات الثقافية الراهنة فإن الرسم بشكل محدد في طريقه إلى الانتقال إلى زمن الوصاية النسوية. لن يكون ذلك حدثا سارا حتى بالنسبة لمناصري المرأة. غير أن ما يحدث في العالم ينذر بوقوع حدث من ذلك النوع سيكون مفصليا في التاريخ الفني. وكما يبدو فإن النساء وقد اكتشفن في الفن طريقة للتعبير عن وجودهن المستقل وحريتهن صرن يتدافعن من أجل الإتقان والغزارة. ومن المعروف أن المرأة إذا أحبت شيئا أتقنته وأكثرت منه بما لا يستطيع الرجل مجاراتها. النساء العربيات يدرن اليوم الصالات الفنية، بمعنى أن جزءا من سوق الفن صار في أيديهن. كما أن الكثير منهن يشرفن على الملتقيات الفنية ناهيك عن عدد الفنانات الذي يتزايد في اطراد. على الضفة الأخرى هناك أيضا عدد من ناقدات الفن اللواتي أشعر أنهن يمتلكن مشروعا نقديا لا يقوم على الذائقة الجمالية وحدها بل وأيضا على الخبرة والمعرفة.

زمن الوصاية النسوية على الفن في العالم العربي لا محالة.

كلام الناس سلاح يخرب البيوت ويهدد العلاقات

القيل والقال آفة تكشف مدى هشاشة الثقة بالنفس

تختلف آراء المختصين النفسيين وبعض أفراد المجتمعات العربية سواء كانوا إناثا أو ذكورا حول مدى تأثير كلام الآخرين في شخص كل منهم، فهناك من يسبب له القيل والقال والنميمة جرحا غائرا يغيّر له مسار حياته، وهناك من يحاول مجارة الركب المجتمعي القائم على جملة من الظواهر السلبية، في حين يرى عدد من الأشخاص أن ثقته وقناعاته بنفسه تتغلبان على أي طارق أخطأ الباب.

لا يمكن التغلب على الرغبة الشديدة في مشاركة الثرثرة والأنباء المثيرة

❑ **لندن** – "هناك أناس.. حتى وإن شافوك ماشي مع بقرة قالوا: أكيد يوجد شيء بينكما" كثيرا ما كانت هذه المقولة سببا في تحطيم أسس بنيان أسري قائم بذاته، فبعض الأشخاص لا يهدأ له بال حتى يعاين انهيار حياة الآخرين وسلامهم الأسري والعملي ببضع كلمات غير مسؤولة، وأحيان كثيرة خالية من الصحة.

وتوجد في النسيج المجتمعي العربي مجموعة من الآفات المعششة فيه تتوارث أبا عن جد بشكل آلي ما دامت هذه المجتمعات لم تقوض أسسها وظلت متمسكة بنواميس غير مواكبة لتحولات العصر الكبرى.

وفي السابق كان عدد كبير من العائلات يجمعها منزل واحد شاهد على الامتداد العميق لجذور الشجرة العائلية، وسهّل ذلك على بعض الأبناء تبني سلوكيات سيئة بدأت غالبا بسؤال بريء ماذا تفعل أمك؟ ماذا أكلت عند زوجة عمك؟ وهكذا يصبح الطفل بيئة خصبة لتصيّد هفوات الآخرين مستقبلا ونقل الكلام بمنة ويسرة.

ليس نقل الكلام فقط ما يميّز هذه السلوكيات بل وأيضا نشر الفتن بين الناس والأخبار المزيفة وهو ما يغذي آفتين بين خلايا المجتمعات وهما القيل والقال والنميمة.

وبين سطوة التسليم بأقوال الآخرين والتمسك بالقناعات الشخصية والثقة في النفس يسقط عدد من الضحايا وتفشل الكثير من الزيجات، وتتحطم قلوب.

> إرضاء المجتمع بتوخي الحذر من كلام الناس واجب على الرجل والمرأة، فلا فرق بينهما لأنهما في النهاية يخضعان للأعراف ذاتها

وترى سمية السيد امرأة مصرية "أنا ممن يسلمن بسطوة كلام الناس، فهو في حياتنا بمثابة القانون الذي يحكمنا ويسيّرنا ويوجه خطواتنا وفق نصوصه وأعرافه، وإلا شاعت الفوضى وانعدم النظام بين صفوف البشر، فالناس لا يرحمون المرأة، وهذا ما يجعلني حريصة على مسايرة العقلية الاجتماعية السائدة، فأتعمد ألا أعود إلى البيت في وقت متأخر، إلا برفقة زوجي، وعدم الخروج مساء مع بناتي من دونه، كي لا أدفع الناس إلى الخوض في القيل والقال، لأدفع بعدها ثمن تعليقاتهم".

وأكدت "نخطئ حين نقول إن كلام الناس لا يؤثر فينا، فكلام الناس يقدم ويؤخر في حياتنا، وهو ما يجعلنا مضطرين إلى انتهاج سلوكيات، والقيام بأشياء لسنا مقتنعين بها، فقط لنحمي أنفسنا من كلامهم".

وتصر نورا محمد، موظفة بأحد البنوك، "يجب علينا ضرورة الانضمام إلى ركب القافلة الاجتماعية، وإلا فلنرحل إلى جزيرة بعيدة لنعيش بمفردنا، فنحن نعيش تحت مجهرهم، وأخطاؤنا مهما كانت صغيرة، ستبدو لهم أضعاف حجمها الحقيقي، الأمر الذي يجعلني، وأنا واحدة من المدركات لخطورة موقف المرأة في مجتمعنا، أتجنب الوقوع في الخطأ، حتى لا أحاسب من منظورهم القاسي".

وفي حين يسلم البعض بأقوال الآخرين لمجارة الركب المجتمعي السائد، فإن عددا آخر من الأشخاص يسير وفق قناعاته ولا تؤثر فيه أقوال الآخرين ولا غمزاتهم ولمزاتهم.

وتقول عبير يحيى، أخصائية تسويق، إن "كفة الناس في حياتي لا ترجح أبدا على كفة قناعاتي، وطريقتي في التفكير، الأمر الذي يضع بيني وبينهم حاجزا عاليا، يمنعهم من التأثير في بالشكل الذي يريدونه، قد يحاول البعض تخطي هذا الحاجز، أو كسره، لكني أقف أمامهم بحزم، خاصة إذا تعلقت المسألة بالمساس بحياتي الخاصة". وأكدت "إذا كان كلام الناس لا يقدم ولا يؤخر عندي، فالسبب في ذلك يعود إلى ثقتي بنفسي التي تدعم أفكاري وتساعدني على الثبات على موقفي".

وكشف باحثون أميركيون أنه يمكن التغلب على رغبة النساء الشديدة في مشاركة الثرثرة والأنباء المثيرة للجدل بمجرد سماعها، وعادة ما ينقلن الأسرار إلى شخص واحد على الأقل خلال 47 ساعة و15 دقيقة كحد أقصى.

ووجدت الدراسة التي أجريت على 3000 امرأة أميركية، تتراوح أعمارهن بين 18 و65 سنة، أن 4 من كل 10 نساء، اعترفن بأنهن غير قادرات على الاحتفاظ بسر؛ بغض النظر عن مدى سرية أو حساسية هذه الأخبار.

وفي مجتمعات تربط آفة القيل والقال بنسائها بامتياز، يرى بعض الرجال أن الأمر يسيء للمرأة والرجل على حد السوء، حيث أشار محمد فريد، موظف بالقطاع الخاص، إلى أن "إرضاء المجتمع، وتوخي الحذر من كلام الناس، واجب على الرجل والمرأة معا، فلا فرق بيننا لأننا في النهاية نخضع للأعراف ذاتها، وإن اختلفت درجة المحاسبة وطريقتها بين الرجل والمرأة، وأعتقد أنه ليس صعبا علينا مسايرة الناس ضمن المعقول وبشكل يحفظ احترامنا ولا ينتهك خصوصياتنا، فقد علمتني الحياة ضرورة الأخذ بالحواجز القائمة بين الناس، حتى لا يتجاوز أحدهم حدوده مع الآخر".

وفي حين شدّد عبدالله محمد، طبيب، على أنه لا يسمح "لكلام الناس أن يزعزع مبادئي ولو أثر ذلك سلبا في حياتي، إن المجتمع الذكوري الذي نعيش فيه لا يمكن أن يقدم على إلحاق الأذى بالرجل، كما قد يفعل مع المرأة".

وقالت د. انشراح دسوقي، أستاذة علم الاجتماع بجامعة عين شمس، عن كلام الناس وأثره على المجتمع "كلام الناس خاصية بشرية تتميز بها الكثير من المجتمعات الشرقية والغربية على حد سواء، ولكن في مصر والمجتمعات الشرقية عموما نجد أن هذا الكلام ينتج من الفراغ".

وأضاف د. يحيى الرخاوي، أستاذ الطب النفسي بجامعة القاهرة "المجتمع الذي نعيشه يفرض علينا النظر لأحوال بعضنا، كوننا نعيش في لحمة واحدة".

وأوضح "كلام الناس السلبي يؤخر من يستمع له ولا يقدمه، فهو مجرد انتقاد جارح فارغ لا يحمل حلولا للمشكلات، ولا يتضمن بلسما يداوي الجروح، وربما كان هؤلاء الناس ممن لا يحملون كرها للآخرين، لكنها طبائع سيئة جبلوا عليها، لذلك كان الهروب من مواجهتهم يزيد وقع كلامهم السلبي على ذواتنا".

وأكد الرخاوي على ضرورة "مواجهتهم حتى لا نخسر أنفسنا ونخسر ما نحب، كاستجابة لهم، كما علينا عند مواجهتهم ألا نستسلم لكلامهم بل يتم الرد بطريقة مهذبة نكسب فيها ذواتنا، ولا نخسر من يحبنا، أما من يتحدث في ظهورنا فلا حاجة لنا به، ومتى ما وعى الإنسان ذلك لم يتردد في خوض ما يريد، مادام لم يخالف شرعا ولم يبتدع منكرا".

وعلى الرغم من الآثار السلبية للقيل والقال والنميمة، فإن دراسة إيطالية نشرت في العام 2017 بشرت أصحاب النفوس المريضة بأن سلوكياتهم هي مصدر سعادة لأدمغتهم، حيث خلصت نتائجها المثيرة للجدل إلى أن النميمة والقيل والقال والثرثرة، بشكل عام مفيدة ومفرحة للدماغ.

وأوضح العلماء من مقاطعة بافيا (شمال إيطاليا) أن النميمة مع الأصدقاء مفيدة وجيّدة بالنسبة للأشخاص، حيث أبانت نتائج الدراسة، أن تبادل أخبار الآخرين يرفع من مستويات هرمون الأكسيتوسين ويسمّى هرمون الحب، وذلك بالمقارنة مع مستوياته في ظل المحادثة العادية.

كما درس علماء النفس آثار القيل والقال على مجموعة من النساء، ووجدوا أن دماغ المرأة يفرز كميات أكبر من هرمون الأكسيتوسين بعد النميمة، وهذا الهرمون يساعد على توثيق الصلة مع الأشخاص المقربين.

وبحسب موقع "روسيا اليوم"، قالت الدكتورة ناتاسكيا بروندينو، المؤلفة الرئيسية للدراسة، إنها ترغب في دراسة تأثير النميمة على الدماغ، وذلك بعد ملاحظتها أنها شعرت بالراحة والتقرب من زميلاتها بعد الثرثرة.

وأشارت إلى أن التأثير الناتج عن النميمة لا يتغيّر مع تغيّر شخصية الفرد، فعلى سبيل المثال، لم يؤثر ارتفاع هرمون الأكسيتوسين الناتج عن النميمة على تغيير صفات وحالات معيّنة مثل الحسد والتوحد والتعاطف.

مسنون أكثر حداثة من الشباب

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

❑ ليس بوسعك إلاّ أن تشكر هذه الحياة التي أتاحت لك فرصة معاصرة ومعايشة أحداث ووقائع وكوارث وظواهر وحروب وفتوحات وإنجازات كان سيحسدك عليها حتما من عاش قبلك أو من سوف يعيش بعدك.

من حقك أن تفخر يا إنسان القرن الحادي والعشرين بأنك تضع قدميك فوق قرنين شامخين تتناوب فيهما الأيام الطاسات الساخنة والباردة والفاترة على رؤوسنا الصغيرة منذ ستّينات القرن الماضي، فهاهو الإنسان يظهر عبر الشاشات يدوس شعريّة القمر وخرافته ويقفز فوقه ككرة البينغ بونغ، وذاك مذنّب هالي يشقّ سماءنا في رحلته الأبديّة التائهة أمّا الشمس التي انكسفت بدورها أمام طبيعة تغضب زلازل وحرارة تنحسر وجليدا ينوب كل يوم.

كلّ هذا شكّل لوحة خلفيّة لحروب تريد تغيير الخرائط وجدار يسقط لترتفع جدران أخرى غير مرئيّة، وأسماء مبتكرة لأمراض نظنّها أيضا مبتكرة لم تفدها مبتكرات واستنساخات علميّة، ولو نظر إليها الأقدمون لقالوا "ما هذا إلاّ سحر مبين".

كيف لك أن تحاور أناسا لم يشهدوا هذه الدراما الهائلة في حياتهم أو لم يتفاعلوا معها! كيف لك أن تقنع من ولد في جلباب أبيه أنّ الصوت الجميل ليس عورة وأنّ الشارع ليس ملكا له وحده، وأنّ الأفكار لا تنتظر التأشيرة عند الحدود وأنّ أسراره لم تعد أسرارا.

ولكن.. هل أنّ سنّ الشباب وحده كفيل بجعلك أكثر حبّا للحداثة والتطوير والتجريب والمغامرة؟

كثيرا ما نلتقي بشباب في عقلية آبائنا وأجدادنا، ونصادف مسنين أكثر منّا جرأة ومواكبة للعصر.

كثيرا ما نلتقي بنقاب داخل رأس سافر وبحداثة داخل عباءة تقليدية، وبأقنعة تحت الجلد وبتخلّف يتستّر بمفردات الحداثة ويتزيّن بها على سبيل الخديعة.

أو ليست غالبيّة عناصر الجماعات المتطرّفة من التكفيريين والمنظّرين لثقافة الموت والانتحار من جيل الشباب؟.. ما هذه الردّة السلفيّة إذن، وما الذي جعلها تجتاح مجتمعاتنا في وضح النهار وما أسبابها؟

جوهر السبب في اعتقاد كل من درس الظاهرة، يعود إلى غياب ثقافة الاعتدال والقبول بالآخر، فمن تربّى على الأحاديّة والنمطية، سوف يظلّ أحاديا سواء أكان في اليسار أم في اليمين والقضيّة تتعلّق ببنية التفكير وآلياته قبل الفكر وإنتاجاته.

التطرّف ما هو إلاّ حالة بحث "دونكشوتيّة" عن مخلّص إزاء الأزمات المعيشية والحياتية حين يفقد واحدنا الأمل والأعصاب في ذات الوقت، أمّا المسؤولية فيتحمّلها الحاكم والمحكوم، الماضي والحاضر وكل الأجيال في ذات الوقت.

الأجيال، تلك هي المسألة.. ما لدينا هو أجيال تتخاصم ولا تتحاور بل جيل تتخاصم فيه أجيال وأهواء وحساسيات متنوّعة.

شخصيّا لم يخطر ببالي أن أسأل نفسي يوما: إلى أيّ جيل أنا أنتمي، ذلك أنّ قناعتي ضعيفة ومهتزّة بجدوى تقسيم الوعي البشري إلى فئات عمريّة دون اعتبار للمكان وخصوصياته الملتبسة وللشخص ومرجعياته المتلوّنة.

هل ثمّة خيط ناظم حقّا لفئة تشكّل وعيها على أحداث ووقائع وتطوّرات صاغت نمط عيشها وتفكيرها فجاز لنا أن نضعها في سلّة واحدة إلى جانب خانات أخرى مصنّفة وموثّقة ومؤرشفة حسب منطق الروزنامة.

ما المقصود بعبارة "فلان سبق عصره".. وآخر "يواكب عصره"، وثالث "يعيش خارج عصره؟.. بل ما هي المقاييس الدقيقة للاقتراب أو الابتعاد عن العصر؟

أين الحدود الفاصلة بين المواكبة والاحتجاج والانكفاف؟.. هل نتمكّن يوما من القبض على تعريف جامع مانع لمعضلتي الأصالة والمعاصرة أم أنّ قدر هذه المفاهيم أن تبقى زئبقيّة وعصيّة عن الإمساك بها؟

أنت شاهد يمكن أن يكون مزوّرا على جيل جايلته وجايلك غصبا عنك، هل يتنكّر لك وتتنكر له، وأنت الذي يدّعي أنّه قد محا الفارق اللفظي بين شاعرين مثل سان جون بيرس ومحمود درويش، وبين الأخير والمتنبي، وكذلك بين الطربوش والكاسكيت والبيانو والربابة، أو فلنقل بين الغزالي وابن رشد، وبين مسرحنا ومسرحهم. وبين جيلنا وجيلهم؟

قبل أن نلوك عبارة تقليديّة اسمها "صراع الأجيال" لنلتفت إلى بيتنا ونحاول ترتيبه ـ قدر الإمكان ـ تحت يافطة عنوانها "حوارات جيلنا في جيلنا عن جيلنا ولجيلنا".

طبق اليوم

كيكة صحية دون سكر

* **المكونات:**
- 1/2 كوب زيت
- 1/2 كوب حليب
- 2/3 كوب سكر فركتوز
- 2 بيضة
- ملعقة صغيرة فانيليا
- رشة ملح
- 3/4 كوب دقيق أسمر
- 1/2 كوب شوفان مجروش
- 2 ملعقة صغيرة بيكنغ بودر
- ملعقة صغيرة بيكنغ صودا
- ملعقة كبيرة قرفة
- فواكه مشكلة (حسب الرغبة)

* **طريقة الإعداد:**
- نخلط في وعاء خفق البيض والفانيليا والسكر والحليب والزيت والقرفة ورشة ملح جيدا بالمضرب ثم نضيف الشوفان.
- نقوم بعد ذلك بخلط الدقيق مع البيكنغ صودا والبيكنغ بودر ونضيفه إلى الخليط السابق، مع التقليب الجيد حتى تتجانس المقادير مع بعضها البعض.
- ندهن قالب الكيك بقليل من الزيت ورشة طحين ثم نسكب بداخله الخليط وندخله إلى الفرن الساخن والمُعدّل على درجة حرارة 180 مئوية لمدة 20 دقيقة مع الملاحظة واختبار النضج بعود خشبي.
- ويمكن تزيين قالب الكيك بعد إخراجه من الفرن بالفواكه حسب الرغبة ونقوم بتقديمه بعد ذلك.

ديكور

خبراء: تغليف الهدايا ليس منظرا جماليا فقط

❑ برلين – قالت خبيرة الهدايا جيسلا يلينيك إن "تغليف الهدية يرفع حالة الترقب لدى مُستقبلها ويزيد عنصر المفاجأة.. إنه يعطي لمسة شخصية وهذا يضفي شيئا ما على الهدية".

وكشف الاتحاد الألماني للشركات المصنعة للورق أن اللونين الفضي والأبيض موضة العام الجاري. ويمكن أن توفر درجات الأسود والبترولي والأخضر الداكن تناقضا لطيفا. ومازالت الألوان الكلاسيكية، الأحمر والأخضر والذهبي مستخدمة.

وتنصح المنظمة الألمانية لحماية البيئة بعدم استخدام ورق التغليف المبطن بالسلوفان اللامع، حتى لا تترك أثرا سيئا على البيئة.

وأوضح فيليب زومر من المنظمة "لا يمكن إعادة تدوير ورق التغليف اللامع، حيث أن الورق والفويل ينصهران خلال عملية إعادة التدوير. وعادة ما ينتهي الأمر في محطة حرق النفايات"، مضيفا أنه بالإمكان استخدام الورق الموجود بالفعل في "منزلك كوسيلة لتغليف الهدية. وهؤلاء الذين يعتقدون أن ورق الجرائد ليس احتفائيا بما يكفي أو هؤلاء الذين لم يحتفظوا بأوراق التغليف من السنوات الماضية، يمكنهم اللجوء إلى أوراق التقويم الكبيرة أو الخرائط القديمة للمدن. ولكن المهم أن تتأكد أن لديك النوع الصحيح من الورق".

وتعد قوة الورق أمرا رئيسيا، بحسب يلينيك، موضحة "للحصول على زوايا نظيفة وملساء، أفضل شيء هو الخامة المتماسكة. أما الورق الخفيف فيتمزق ويتجعد سريعا".

وإذا كانت الهدية موضوعة في صندوق ليس مربعا أو مستطيلا، تنصح الخبيرة الألمانية بلفها في ورق تغليف مقوى أو قطعة نسيج أو حقيبة ورقية أو حقيبة قماش.

أما إذا لم يكن صندوق الهدية متماسكا أو لا يوجد أساسا، والهدية ناعمة، فتقترح يلينيك تغطيتها بورق مناديل ثم بورق تغليف الهدايا. وهذا يحول دون شعور المستقبل بماهية الهدية، حيث أن "عنصر المفاجأة هو الأكبر".

الكرة العربية تبحث عن بصمة حقيقية في المعترك الآسيوي

ألبرتو زاكيروني يرفع سقف طموحات الإمارات في أمم آسيا 2019

الأبيض الإماراتي يتأهب لميلاد آسيوي جديد

تترقب جماهير كرة القدم الآسيوية والعربية إعطاء إشارة انطلاق فعاليات بطولة كأس أمم آسيا في نسختها المقبلة بالإمارات العربية المتحدة خلال الفترة من الخامس من يناير حتى أول فبراير المقبلين، حيث ستحمل هذه النسخة رقما قياسيا جديدا بوجود 24 منتخبا من مختلف أرجاء القارة الكبيرة. كما ستشهد هذه النسخة أيضا رقما قياسيا يتعلق بالمشاركات العربية حيث يخوض فعاليات هذه النسخة 11 منتخبا عربيا للمرة الأولى في تاريخ بطولات كأس آسيا. وستكون الأنظار شاخصة نحو نجوم هذه الدورة من لاعبين ومدربين.

❑ **دبي** – على مدار تاريخ هذه البطولة القارية العريقة عاشت الكرة العربية كثيرا من الجراح وقليلا من الأفراح، والدليل على ذلك أنه منذ انطلاقة هذه البطولة لم تفز الكرة العربية باللقب إلا خمس مرات منها ثلاثة ألقاب من نصيب السعودية ومرة واحدة لكل من الكويت والعراق أي ما يقل عن ثلث ألقاب البطولة التي أقيمت منها 16 نسخة حتى الآن فيما يتصدر المنتخب الياباني السجل الذهبي لبطولة القارة الصفراء برصيد أربعة ألقاب.

وبدأت المشاركات العربية في البطولة من النسخة الخامسة التي أقيمت في 1972 وتفاوتت نسبة المشاركة العربية في البطولة من نسخة إلى أخرى حيث اقتصرت المشاركة العربية في النسخة الخامسة عام 1972 على منتخبي الكويت والعراق وتكرر العدد نفسه من خلال المنتخبين أنفسهما في النسخة السادسة عام 1976. وارتفع العدد بعد ذلك إلى أربعة منتخبات عربية في النسخة السابعة عام 1980 هي الإمارات وسوريا والكويت وقطر. وفي النسخة الثامنة عام 1984، شاركت خمسة منتخبات عربية هي السعودية والكويت والإمارات وسوريا وقطر.

وفي النسخة التاسعة عام 1988، ارتفع عدد المنتخبات العربية المشاركة إلى ستة منتخبات هي السعودية والإمارات والكويت والبحرين وسوريا وقطر ولكنه تراجع في النسخة العاشرة عام 1992 إلى ثلاثة منتخبات فقط هي الإمارات والسعودية وقطر ثم ارتفع إلى خمسة منتخبات في كل من النسختين الحادية عشرة عام 1996 والثانية عشرة عام 2000 بمنتخبات الإمارات والكويت والسعودية والعراق وسوريا وفي النسخة الأخرى منتخبات العراق ولبنان والكويت والسعودية وقطر.

وفي النسخة الثالثة عشرة عام 2004، ارتفع العدد لأول مرة إلى ثمانية منتخبات عربية هي الإمارات والكويت والبحرين والأردن والسعودية والعراق وقطر وعمان ثم تراجع العدد في النسخة التالية عام 2007 إلى ستة منتخبات عربية هي العراق وعمان والإمارات والسعودية والبحرين وقطر وارتفع مجددا لثمانية منتخبات في النسخة الخامسة عشرة عام 2011 وهي السعودية والإمارات وسوريا والأردن والكويت والبحرين وقطر والعراق. وشهدت النسخة الماضية عام 2015 وصول العدد إلى تسعة منتخبات هي عمان والكويت والسعودية والإمارات والبحرين والأردن والعراق وقطر وفلسطين قبل أن يرتفع في النسخة السابعة عشرة المرتقبة في 2019، والتي ستنطلق بعد أيام في الإمارات، إلى رقم قياسي جديد وهو 11 منتخبا هي الإمارات والسعودية والبحرين وعمان والأردن وسوريا واليمن وفلسطين والعراق ولبنان وقطر.

ويشارك 24 منتخبا في نسخة 2019 وهي الإمارات البلد المضيف وتايلاند والهند والبحرين في المجموعة الأولى، وفي المجموعة الثانية تتواجد منتخبات أستراليا وسوريا وفلسطين والأردن، وفي المجموعة الثالثة كوريا الجنوبية والصين وقيرغيزستان والفلبين، وتضم المجموعة الرابعة منتخبات إيران والعراق وفيتنام واليمن والمجموعة الخامسة تضم السعودية وقطر ولبنان وكوريا الشمالية، وفي المجموعة السادسة تتنافس منتخبات اليابان وأوزبكستان وعمان وتركمانستان.

بصمة حقيقية

تبدو الفرصة سانحة أمام الجيل الحالي للمنتخب الإماراتي لترك بصمة حقيقية على الساحة الآسيوية من خلال بطولة كأس آسيا السابعة عشرة التي تستضيفها بلاده. وشارك الأبيض الإماراتي في التصفيات المؤهلة لهذه النسخة نظرا إلى كونها تصفيات مشتركة مؤهلة لهذه البطولة الآسيوية وكذلك لكأس العالم 2018 بروسيا. ولم يحالف التوفيق المنتخب الإماراتي في المرحلة النهائية من التصفيات بعدما وقع في مجموعة صعبة للغاية مع منتخبات اليابان والسعودية وأستراليا والعراق وتايلاند. ورغم هذا، ظهر الفريق بمستوى رائع في التصفيات وكان ندا قويا لباقي منافسيه في المجموعة.

لكن الفرصة تبدو سانحة الآن لترك بصمة أكبر على الساحة القارية من خلال النسخة الجديدة لكأس آسيا التي يستطيع خلالها الأبيض الإماراتي الاعتماد على مساندة الأرض والجمهور في مواجهة عمالقة القارة الآسيوية. ومنذ بلوغ الفريق نهائيات كأس العالم 1990 وفوزه بالمركز الرابع في كأس آسيا 1992 والمركز الثاني في النسخة التالية بالبطولة الآسيوية عام 1996 من خلال الجيل الذهبي للأبيض في التسعينات من القرن الماضي، لم تشهد الكرة الإماراتية جيلا متميزا مثل الجيل الحالي الذي صال وجال على الساحة الخليجية والآسيوية في السنوات الأخيرة ولم يعد أمامه سوى تتويج جهوده بمشاركة متميزة في كأس آسيا 2019.

وخلال السنوات القليلة الماضية، فاز المنتخب الإماراتي بلقب كأس الخليج الحادية والعشرين (خليجي 21) لكرة القدم في البحرين عام 2013 واحتل الفريق المركز الثالث في خليجي 22 عام 2014 بالسعودية ثم المركز الثاني في خليجي 23 بالكويت في 2017 بخلاف فوزه بالمركز الثالث في كأس آسيا 2015 بأستراليا. ويتمتع الجيل الحالي لكرة القدم الإماراتية بوجود العديد من المواهب الفذة في صفوفه وفي مختلف خطوط الفريق وخاصة في الوسط والهجوم مما يجعل الفريق مرشحا دائما للمنافسة بقوة على اللقب في مختلف البطولات التي يخوضها.

ويخوض المنتخب الإماراتي (الأبيض) فعاليات البطولة الآسيوية بطموحات كبيرة وتوقعات هائلة في ظل الخبرة التي اكتسبها اللاعبون على مدار السنوات القليلة الماضية والتي تجعل فرصهم أفضل في المنافسة من مشاركتهم في النسخ السابقة من البطولة. ولم يشارك المنتخب الإماراتي في النسخ الست الأولى من البطولة الآسيوية ولكنه أصبح من الوجوه القليلة المنتظمة في البطولة بداية من النسخة السابعة التي أقيمت عام 1980 باستثناء غيابه عن نسخة عام 2000 بعدما عانده الحظ في التصفيات.

وعلى مدار المشاركات التسع السابقة للفريق كان الإنجاز الأفضل للأبيض عندما استضافت بلاده البطولة في 1996 حيث بلغ الفريق المباراة النهائية للبطولة بقيادة مدربه الكرواتي توميسلاف إيفيتش ووصل الفريق إلى ركلات الترجيح مع نظيره السعودي في أول نهائي عربي خالص للبطولة. ولكن ركلات "الحظ" الترجيحية بددت آمال الأبيض في رفع الكأس الآسيوية للمرة الأولى ومنحت اللقب للأخضر السعودي للمرة الثالثة في تاريخه. وكانت هذه المباراة النهائية بمثابة خط النهاية للجيل الذهبي للكرة الإماراتية في التسعينات من القرن الماضي والذي بلغ نهائيات كأس العالم 1990 بإيطاليا كما بلغ المربع الذهبي في كأس آسيا 1992 واحتل المركز الرابع في البطولة.

وبخلاف هاتين البطولتين 1992 و1996 وكذلك النسخة الماضية عام 2015، كانت المشاركة الإماراتية في البطولة الآسيوية متوسطة المستوى ولم يعبر الفريق الدور الأول للبطولة في النسخ الأخرى التي شارك فيها. ولكن الفرصة تبدو سانحة هذه المرة للمنافسة بقوة في النسخة الجديدة بالإمارات لا سيما وأن كثيرين يرون في الجيل الحالي عناصر أفضل من الجيل الذهبي الذي تألق في التسعينات كما كان لنظام الاحتراف المطبق حاليا في الإمارات دوره البارز في التطور الكبير لمستوى الدوري الإماراتي من ناحية والأبيض من ناحية أخرى.

وبات الحلم الجديد والتحدي الأهم الذي يخوضه الفريق هو المعترك الآسيوي حيث يسعى الفريق الحالي إلى استعادة أمجاد بلاده الكروية على الساحة القارية واستعادة ذكريات 1996. ويضاعف من فرص الفريق الحالي أنه يعتمد في اختياراته على عدد من العناصر التي فازت بالميدالية البرونزية لكرة القدم في دورة الألعاب الآسيوية الأخيرة. وتتسم معظم عناصر المجموعة الحالية بالقدرة على الابتكار في الملعب إلى جانب أداء الواجبات الخططية سواء في الهجوم أو الدفاع إلى جانب التعطش لتحقيق الانتصارات. ويرى البعض أن المنتخب الإماراتي يجيد اللعب على ملعبه أكثر من المباريات التي يخوضها خارج أرضه.

وخلال مسيرته في التصفيات المشتركة المؤهلة لمونديال 2018 وكأس آسيا 2019، خاض الفريق 18 مباراة حقق الفوز في تسع منها وتعادل في ثلاث ومني بست هزائم وسجل لاعبوه 37 هدفا واهتزت شباك الفريق 17 مرة. ويفتقد المنتخب الإماراتي في هذه البطولة اللاعب الموهوب عمر عبدالرحمن (عموري) الذي يعتبر القلب النابض لهذا الفريق حيث ستحرمه الإصابة التي تعرض لها خلال اللعب لفريقه الهلال السعودي من المشاركة في البطولة.

وتبرز ضمن صفوف الأبيض مجموعة متميزة من اللاعبين مثل المهاجم أحمد خليل الذي تألق بشدة من قبل في بطولة كأس آسيا للشباب (تحت 19 عاما) في 2008 عندما كان في السابعة عشرة من عمره. واقتسم خليل مع السعودي محمد السهلاوي والبولندي روبرت ليفاندوفسكي صدارة قائمة هدافي التصفيات المؤهلة لمونديال 2018 برصيد 16 هدفا لكل منهم. وخلال السنوات الماضية، رسخ خليل أقدامه كأحد أفضل المهاجمين في منطقة الخليج وفي آسيا كما يتألق إلى جواره عدد كبير من اللاعبين المتميزين الموهوبين مثل المخضرم إسماعيل مطر وعلي مبخوت وإسماعيل الحمادي وعلي سالمين ومحمد عبدالرحمن وغيرهم.

وتسعى هذه المجموعة بقيادة المدرب الإيطالي ألبرتو زاكيروني إلى ترك بصمة حقيقية لها في كأس آسيا 2019 التي يستهلها الفريق بمواجهة عربية خليجية خالصة في المباراة الافتتاحية للبطولة حيث يلتقي المنتخب البحريني قبل أن يستكمل مسيرته في المجموعة الأولى بمباراتيه أمام منتخبي الهند وتايلاند علما بأن المنتخب التايلاندي كان ضمن مجموعة الفريق في تصفيات كأس العالم آسيا 2018 وخسر أمام الأبيض 1-3 ذهابا وتعادل معه 1-1 إيابا.

مواجهات منتظرة

تدخل بعض الأسماء الكبيرة في عالم التدريب تحدي كأس آسيا 2019 بالإمارات وعيونها على لقب البطولة القارية التي ستنطلق بلقاء المنتخبين الإماراتي والبحريني على ملعب مدينة زايد الرياضية في الخامس من يناير المقبل. وتزخر ثانية أعرق البطولات القارية بحضور قوي من صفوة المدربين الذين حققوا نجاحات كبرى على المستوى العالمي، وفي مقدمتهم الإيطالي مارشيلو ليبي مدرب المنتخب الصيني الذي سبق له أن قاد منتخب بلاده إيطاليا إلى لقب كأس العالم 2006 بألمانيا.

وتتضمن قائمة أشهر المدربين الموجودين في كأس آسيا بالإمارات أيضا السويدي زفن جوران إريكسون، الذي قاد إنكلترا إلى دور الثمانية بكأس العالم في نسختي 2002 و2006، حيث يقود الآن المنتخب الفلبيني خلال رحلته في البطولة بالإضافة إلى البرتغالي كارلوس كيروش مدرب المنتخب الإيراني الذي تمكن سابقا من قيادة ثلاثة منتخبات مختلفة للتأهل إلى نهائيات كأس العالم وهي جنوب أفريقيا (2002) والبرتغال (2010) وإيران (2014 و2018).

وبالإضافة إلى كيروش وإريكسون وليبي، تشهد كأس آسيا 2019 حضورا لسبعة مدربين سبق لهم التدريب في كأس العالم، وسبق لاثنين منهم فقط الفوز بالبطولة الآسيوية، حيث توج ألبرتو زاكيروني مدرب المنتخب الإماراتي حاليا باللقب الرابع لليابان في نسخة عام 2011 كما حقق مدرب المنتخب الياباني هاجيمي موریاسو أولى ألقاب بلاده القارية عندما كان لاعبا في نسخة 1992. وقال موریاسو "أحمل ذكريات رائعة خلال مسيرتي في هذه البطولة كلاعب منذ عام 1992 في هيروشيما، ورغم غيابي عن المباراة النهائية للإيقاف، سيكون من الرائع أن أمر بهذه التجربة مرة أخرى وأفوز باللقب كمدرب، وسنعمل على تقديم أفضل ما لدينا لاستعادة اللقب مرة أخرى".

هذه المجموعة بقيادة المدرب الإيطالي ألبرتو زاكيروني تسعى إلى ترك بصمة حقيقية لها في كأس آسيا 2019 التي يستهلها الفريق بمواجهة عربية خليجية خالصة حيث يلتقي المنتخب البحريني

إيران تطمح لرفع كأسها الآسيوية الرابعة رغم مشاكلها المستمرة

المنتخب الفيتنامي يسعى لتتويج صحوته بعبور دور المجموعات

تبدو الطموحات متباينة بين المنتخب الإيراني صاحب الثلاثة ألقاب آسيوية والمنتخب الفيتنامي المتعثر في المسابقة القارية التي ستحتضنها الإمارات أوائل شهر يناير من العام القادم 2019، وهما اللذان وضعتهما القرعة في مجموعة رابعة تبدو متوسطة المستوى، إلى جانب كل من العراق واليمن.

❑ **أبوظبي** – لم يسلم البرتغالي كارلوس كيروش المدير الفني للمنتخب الإيراني لكرة القدم من الانتقادات قبل أيام من خوض النسخة السابعة عشرة من بطولة كأس آسيا، والتي تستضيفها الإمارات من 5 يناير إلى غاية 1 فبراير المقبل، خاصة بعدما صرح بأن الفريق يحتاج لتقديم المزيد والتفكير بشكل أعلى من أجل بلوغ المربع الذهبي للبطولة.

ومع المسيرة الرائعة التي قدمها الفريق في التصفيات المشتركة المؤهلة لكأس العالم 2018 بروسيا وكأس آسيا 2019 بالإمارات، تضاعفت طموحات جماهيره في المنافسة على استعادة اللقب الآسيوي الذي أحرزه الفريق من قبل في ثلاث نسخ متتالية.

وربما تبدو تصريحات كيروش صادمة، لكنها تتفق مع الواقع الذي يعيشه الفريق منذ سنوات طويلة، حيث يتمتع المنتخب الإيراني دائما بوجود لاعبين بارزين يتمتعون بالحماس، إلا أنه يفتقد للإعداد الجيد المناسب لهذه البطولات الكبيرة بسبب المشاكل الاقتصادية في أغلب الأحيان.

> الفريق الإيراني يبرز دائما ضمن أقوى المرشحين للفوز بلقب البطولة، وهذه الترشيحات ليست بعيدة عن الفريق هذه المرة أيضا رغم المشاكل التي تحيط به منذ سنوات

ولهذا، لم يترجم الفريق مسيرته الرائعة في التصفيات إلى واقع جيد في نهائيات كأس العالم بروسيا، وودع البطولة من الدور الأول مجددا بعدما حقق انتصارا واحدا وتعادلا واحدا ومني بهزيمة واحدة.

ورغم الحماس الشديد لدى الفريق ولاعبيه لاستعادة أمجاده الآسيوية الغائبة منذ عقود طويلة، وبالتحديد منذ فوزه باللقب القاري ثلاث مرات متتالية في 1968 و1972 و1976، يعاني الفريق من المشاكل التي تحاصره بشكل شبه دائم قبل مشاركاته في البطولات الكبيرة.

وقبل مشاركته في بطولة كأس العالم 2018 بروسيا، عانى الفريق أيضا من التشتّت بين الحماس التام والإحباط الشديد وساهم هذا في عدم عبوره للدور الثاني (دور الستة عشر) للبطولة، بعدما خاض الدور الأول للبطولة ضمن المجموعة الثانية التي ضمت معه منتخبات إسبانيا والبرتغال والمغرب، وإن قدم الفريق عروضا جيدة ضاعفت من طموحات جماهيره.

والآن، وبعد أشهر من خروجه المبكر من المونديال، سيكون المنتخب الإيراني مطالبا بالدفاع عن صورته على الساحة الآسيوية والتأكيد على أن مسيرته في التصفيات لم تأت صدفة أو ضربة حظ، وإنما كانت معبرة عن تطور ملموس في مستوى الفريق.

وكان الفريق حسم تأهله مبكرا لبطولة كأس آسيا بالنجاح في الجزء الأول من التصفيات المشتركة، حيث تصدر المجموعة الرابعة برصيد 20 نقطة من ستة انتصارات وتعادلين ولم يتعرض لأي هزيمة كما سجل لاعبوه 26 هدفا واهتزت شباكه ثلاث مرات فقط.

وفي الجزء الثاني من التصفيات، كان المنتخب الإيراني أول المتأهلين من القارة الآسيوية للمونديال الروسي، بل إنه كان ثالث فريق يضمن مقعده في المونديال الروسي، حيث لحق بالمنتخب الروسي صاحب الأرض ونظيره البرازيلي أول المتأهلين عبر التصفيات.

وخلال مسيرته في هذه المرحلة من التصفيات، تصدر المنتخب الإيراني مجموعته أيضا على حساب منتخبات كوريا الجنوبية وسوريا وأوزبكستان والصين وقطر، وحصد 22 نقطة من ستة انتصارات وأربعة تعادلات ولم يتعرض لأي هزيمة وسجل لاعبوه عشرة أهداف فيما اهتزت شباكه بهدفين فقط.

ويتصدّر المنتخب الإيراني المنتخبات الآسيوية في تصنيف الاتحاد الدولي للعبة (فيفا)، كما يبرز الفريق دائما ضمن أقوى المرشحين للفوز بلقب البطولة، وهذه الترشيحات ليست بعيدة عن الفريق هذه المرة أيضا رغم المشاكل التي تحيط به منذ سنوات.

وبينما تقتصر المشاركات الإيرانية في بطولات كأس العالم على خمس نسخ فقط في 1978 و1998 و2006 و2014 و2018، يحظى المنتخب الإيراني بتاريخ حافل من المشاركات في البطولة الآسيوية، إذ يقتسم الفريق مع منتخب كوريا الجنوبية الرقم القياسي لعدد المشاركات في البطولة القارية، ويشاركان في البطولة للمرة الـ14 في تاريخ كل منهما.

نتائج لا ترقى إلى مستوى الفريق الإيراني

وبخلاف فوز الفريق باللقب ثلاث مرات متتالية، فاز المنتخب الإيراني بالمركز الثالث أربع مرات وبالمركز الرابع مرة واحدة كما بلغ دور الثمانية في أربع نسخ، ولم يخرج من الدور الأول للبطولة إلا في نسخة 1992 التي استضافتها اليابان.

ومثلما هو الحال قبل البطولات الكبيرة التي يخوضها الفريق، مثلت استعدادات الفريق للبطولة مشكلة أيضا في ظل استمرار بعض العقوبات المفروضة على إيران.

كما ضاعفت من مشكلة الاستعدادات العقوبات الدولية المفروضة على هذا البلد، ما تسبب في حرمان الاتحاد الإيراني لكرة القدم من الحصول على الدعم المالي المناسب لتمويل خطط الاستعداد التي يضعها كيروش المدير الفني السابق لريال مدريد الإسباني.

وظلت الاستعدادات للبطولة الآسيوية قاصرة على عدد من المباريات الودية، التي لا تتناسب مع حجم المنافسة التي سيواجهها الفريق في البطولة الآسيوية وإن أوقعته القرعة في مجموعة رابعة متوسطة المستوى، تضم منتخبا العراق واليمن إضافة إلى المنتخب الفيتنامي.

وقد تكون فرص المنتخب الإيراني جيدة للغاية للعبور دون عناء من هذه المجموعة، لكن الفريق سيواجه بالتأكيد اختبارات أكثر صعوبة في الأدوار الإقصائية.

ومن خلال خبرة الكثير من اللاعبين وحماسهم، يستطيع المنتخب الإيراني التغلب على المشاكل التي يعاني منها ليقدم صورة جيدة تليق بتاريخه في البطولة الآسيوية، لا سيما وأن اللاعبين اكتسبوا خبرة وثقة كبيرة من مشاركتهم في المونديال الروسي، كما أضفى استمرار كيروش في تدريب الفريق المزيد من الاستقرار على أجواء الفريق.

وفي المقابل، لم يستطع المنتخب الفيتنامي ترك بصمة حقيقية في تاريخ مشاركاته بالبطولة القارية للفارق الكبير الذي يفصل بين مستواه وبين مستوى منتخبات أخرى عديدة في آسيا، وذلك رغم مشاركته المبكرة للغاية في بطولات كأس آسيا لكرة القدم.

وخاض المنتخب الفيتنامي فعاليات أول نسختين من البطولة في ظل إحجام المنتخبات العربية عن المشاركة في البطولة، بسبب وجود المنتخب الإسرائيلي في النسخ الأولى لكأس آسيا.

ورغم حضوره في النهائيات، فقد احتل المنتخب الفيتنامي المركز الرابع الأخير في كل من النسختين الأولى والثانية في 1956 و1960، ولم يحقق أي فوز منهما حيث اقتصر رصيده على تعادل واحد في النسخة الأولى وخمس هزائم من بين المباريات الست التي خاضها في النسختين.

وغاب المنتخب الفيتنامي عن البطولة بعدها على مدار ما يقرب من خمسة عقود، حتى سجل مشاركته الثالثة في البطولة من خلال النسخة التي استضافتها بلاده بالتنظيم المشترك مع إندونيسيا وماليزيا وتايلاند.

ورغم المشاركات والخبرة المتواضعة للفريق في البطولة الآسيوية، فقد نال الفريق دفعة معنوية هائلة قبل أقل من عام على خوض هذه النسخة من البطولة الآسيوية، وذلك بحصول المنتخب الفيتنامي على المركز الثاني في البطولة الآسيوية للمنتخبات الأولمبية (تحت 23 عاما) والتي أقيمت مطلع العام الحالي.

ونال الفريق دفعة معنوية أخرى، حيث قاده المدرب الكوري الجنوبي بارك هانغ سيو للفوز بلقب بطولة كأس سوزوكي لاتحاد جنوب شرق آسيا وذلك للمرة الأولى منذ 2008.

ورغم الانتفاضة الجيدة للكرة الفيتنامية في 2018، تبدو فرص الفريق في العبور إلى الدور الثاني مرهونة بقدرته على تفجير مفاجأة في مجموعته التي تضم منتخبات أكثر منه خبرة وخاصة منتخبي إيران والعراق.

وجه بائس أكثر قبحا

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❑ لملمت الكرة الإيطالية أوراقها وشتاتها لتودع عاما كئيبا حزينا كان مليئا بالإخفاقات. مرت سنة 2018 لتترك أثرا بالغا ربما لن يندمل بسهولة، إذ كان الجرح غائرا ومؤلما للغاية. لقد مرّ هذا العام دون أن يكون للمنتخب الإيطالي أي وجود في مونديال روسيا الأخير. هذا المنتخب الذي تخبّط لسنوات عديدة، صعق الجميع سواء في إيطاليا أو خارجها بعد أن فشل للمرة الأولى منذ ستين عاما في ضمان التأهل لكأس العالم.

لقد لخصت هذه النكسة كل تفاصيل السقوط الكبير الذي عرفته الكرة الإيطالية مقارنة بمثيلاتها في دول الجوار. لقد عرّت هذه الصدمة كل ملامح التدهور المستمر للكرة الإيطالية. فحتى على مستوى مسابقات الأندية، لم يعد لكبار الدوري الإيطالي أي حضور مؤثر في المشهد الأوروبي، ليتواصل غيابها (الأندية) عن منصات التتويج في المحافل الهامة.

لكن هذه الوضعية السوداوية التي ميّزت سنة 2018 بالنسبة للكرة الإيطالية، رفضت أن تنتهي دون أن تسجل حدثا أشد وطأة من سوء النتائج حتى تصبح الصورة بذلك أكثر بشاعة وقبحا. فعندما كان الجميع في إيطاليا يستحث هذه السنة الكئيبة كي تنتهي بسرعة، أطل "غول" التمييز العنصري برأسه من جديد كي يثبت مرة أخرى أن الكرة الإيطالية سقطت في مستنقع "عفن" يصعب الخروج منه بسرعة.

وما حدث منذ أيام في ذات مباراة بين إنتر ميلان وضيفه نابولي ليس سوى إثبات جديد أن الكرة الإيطالية لم تقدر بعد على التخلص من "عقدها"، بل هي ربما مازالت غير مهيّأة كي تنتفض وتنفض غبار إخفاقات السنوات الطويلة.

ربما الأقسى والأكثر خطورة من سوء النتائج هو الاستهانة بالذات الإنسانية. الأكثر إيلاما وألما هو معاملة الآخر بشيء من الازدراء والعنصرية، لكنّ بعضا من الجماهير الإيطالية لم يدرك هذا الأمر. البعض منها لم ينتبه إلى أن الرقي في كل الأمور والتطور في شتى المجالات يتوقفان أساسا على الرقي في السلوك والأخلاق قبل كل شيء.

بعض جماهير الإنتر لم تشذ عن القاعدة فانخرطت بدورها في هذا المسار الهالك. لم تتورع على القيام بتصرفات حمقاء ومقززة بحق المدافع السنغالي لنادي نابولي كاليدو كوليبالي. استفزته ودفعته للخروج عن هدوئه. كانت ممارسات وقحة كشفت هذا الوجه البائس في أسوأ تجلياته القبيحة.

خرج كوليبالي مطرودا من تلك المباراة. خرج بعد أن حاول رد الفعل فأقصاه الحكم وتعرض للعقوبة لمباراتين. لكن من يعاقب المذنب الحقيقي؟ من يقدر على اجتثاث هذا "الغول" من العقول؟ من يقدر على نشر القيم النبيلة في الكرة الإيطالية؟ فذلك هو طريق الخلاص الذي قد يساعد حتما على استعادة الهيبة والكبرياء.

حاول القائمون على نشاط الدوري الضرب بعصا قوية، فتم حرمان جماهير الإنتر من مساندة فريقها في مباراتين. كما وقع التهديد بتجميد نشاط الدوري إلى نهاية الموسم، أما الإنتر فقد هدد بدوره بتسليط عقوبات قاسية للغاية ضد كل المذنبين.

عدد من نجوم اللعبة في العالم ساندوا كاليدو مثل نجم اليوفي كريستيانو رونالدو وهداف ليفربول محمد صلاح. لكن هل تكفي كل هذه الخطوات لتلميع الصورة وتجميل هذا الوجه البائس القبيح؟

لا نعتقد ذلك حتما، فتاريخ الكرة الإيطالية مليء بالتجاوزات والممارسات العنصرية، وعدة أحداث خلال السنوات تؤكد ذلك. ففي سنة 2005 مثلا تعرض الإيفواري ماركو زورو لهتافات عنصرية من قبل جماهير الإنتر، وكادت المباراة تتوقف بسبب هذه الممارسات.

وتكرر المشهد ذاته مع الكاميروني صامويل إيتو عندما تقمص زي الإنتر وتعرض لوابل من الهتافات البغيضة ذات مباراة ضد كالياري.. لاعبون أفارقة كثر تعرضوا لمثل هذه الاستفزازات القبيحة على امتداد السنوات الأخيرة.

لكن الأمر مسّ أيضا أحد أبناء البلد. فماريو بالوتيلي، نجم المنتخب الإيطالي في المواسم الماضية، كان ضحية مثل هذه التصرفات الهوجاء في عدة مناسبات، إلى درجة أنه انخرط في بكاء حار ذات مباراة جمعت بين فريقه السابق الميلان بنابولي، قرر على إثرها الرحيل إلى وجهة أخرى بعيدا عن القبح المستشري في الملاعب الإيطالية.

الآن بدأ البعض في إيطاليا يعي خطورة الوضع. الآن بدأ هؤلاء يدركون أن مثل هذه التصرفات لم تعد مجرد تصرفات معزولة، بل هي ربما انعكاس لما يعتري الكرة الإيطالية من هوان وتراجع على جميع المستويات. فإذا سقطت الأخلاق وغابت القيم غابت النتائج وتراجعت بدورها، والعكس صحيح.

اليوم وليس غدا، على جميع صناع القرار في المشهد الكروي بإيطاليا اتخاذ تدابير أكثر إيلاما وصرامة. يجب التخلص نهائيا من هذا "الغول"، ولمَ لا الاستئناس بالتجربة الإنكليزية؟ ففي الدوري الإنكليزي "قامت الدنيا ولم تقعد" بعد حادثة الاعتداء العنصري على لاعب السيتي رحيم ستيرلينغ من قبل بعض محبي تشيلسي، حيث تم اتخاذ قرارات بمعاقبة هؤلاء المذنبين كي يكونوا عبرة لمن يعتبر. وإن أراد القائمون على الكرة الإيطالية بدء عام جديد يكون عنوان بداية الإصلاح، فعليهم قبل كل شيء نزع هذا الوجه القبيح وإن تطلب الأمر سلخه نهائيا بقرارات ثورية بالأساس.

الصين تجرّم تناول المنشطات

❑ **بكين** – أوردت وسائل إعلام صينية أن الرياضيين الصينيين الذين يلجأون إلى المنشطات لتحسين أدائهم، سيواجهون عقوبات جنائية والسجن اعتبارا من العام المقبل، في محاولة من الدولة لاتخاذ تدابير مشددة قبل دورة الألعاب الأولمبية الشتوية في بكين عام 2022.

وأوضحت وكالة "شينهوا" الرسمية أن السلطات الرياضية والقضائية بصدد صياغة مجموعة من القوانين لتطبيق عقوبات جنائية في حالات التنشط.

ونقلت الوكالة عن غو زهونغ وين، مدير الشؤون الرياضية في الصين، أن العقوبات الجديدة ستوضع حيّز التنفيذ "على الأرجح في وقت مبكر من عام 2019".

وقال زهونغ "إنها رغبتنا للتأكيد للعالم أجمع أننا نبدي جدية في مكافحة المنشطات وسنتخذ تدابير ملموسة لمكافحة هذه الآفة".

وتم الاتفاق على هذه الخطوة بين وزارة الرياضة الصينية والمحكمة العليا في البلد الآسيوي، حيث يعدان قانونا جنائيا لتطبيقه في حالات تناول المنشطات.

وحتى الآن، لا يجرّم القانون الصيني تناول المنشطات، لأن قوانين مكافحة المنشطات –التي أقرت في العام –2004 كانت مقتصرة على الغرامات والحظر والعقوبات الإدارية.

وصرّح جيانغ تشيبو، أحد القضاة البارزين في المحكمة العليا، أعلى محكمة في البلد الآسيوي، بقوله "نقوم بإعداد تفسيرات قضائية حول تطبيق القانون الجنائي في حالات تتعلق بتصنيع أو بيع أو تهريب المواد التي تحسّن الأداء الرياضي".

وتلطّخت سمعة الصين في المحافل الرياضية الدولية في العقد الأخير، حيث تم تجريد بعض رياضييها من ميدالياتهم الذهبية في الألعاب الأولمبية، ففي يناير 2017 جرّدت ثلاث رباعات صينيات من ميدالياتهن الذهبية خلال الألعاب الأولمبية في بكين عام 2008 لثبوت تناولهن منشطات بعد إعادة تحليل فحوصات الكشف عن المنشطات.

وفي يناير أيضا من العام الحالي، عاقبت الصين العديد من رياضييها لثبوت تناولهم منشطات من بينهم متزلج على الجليد تم إيقافه لعامين عن ممارسة أي نشاط رياضي وإبعاده عن المنتخب الوطني المشارك في دورة الألعاب الأولمبية الشتوية في بيونغ تشانغ الكورية الجنوبية.

وفي الشهر ذاته أيضا، أوقفت الصين بطلتها المحلية في سباق الماراثون وانغ جيالي على مدى ثماني سنوات بعد ثبوت تناولها منشطات، وذلك للمرة الثانية في مسيرتها.

إسبانيا تستعرض تأثيرها في عالم الموضة عبر التاريخ

يحيل معرض مقام حاليا بمدريد على التأثير الذي تركته إسبانيا في عالم الموضة عبر التاريخ، مقدما تصاميم ونماذج لماركات عالمية طبعت أزياءها روح إسبانية، مع التأكيد على أن مصممين معاصرين يعملون على إعادة إسبانيا إلى مكانتها في عالم الموضة.

لمحة عن ماض مشرف

❑ **مدريد** - يغوص معرض حالي في مدريد في تأثير إسبانيا على عالم الموضة عبر التاريخ وعودة الدمغة الإسبانية إلى الواجهة الآن.

وعندما تطرح كلمة أسود و"أزياء راقية" يتبادر إلى الذهن فورا فستان دار "شانيل" الأسود القصير، لكن إسبانيا هي بالفعل ما جعل هذا اللون رائجا وباتت تتبناه مجددا بدفع من جيل المصممين الشباب.

وقال راوول مارينا، مفوض معرض "مودوس: على الطريقة الإسبانية"، الذي يستمر حتى الثالث من مارس المقبل، "تمر إسبانيا بمرحلة مهمة جدا مع مصممين مثل بالومو سباين ولياندرو كانو ومانيه مانيه يعيدون إلى إسبانيا مكانتها في مجال الموضة". وأضاف "يحدث المصممون الشباب حركة وضجة من خلال دمغة إسبانية مئة بالمئة". ويتجلى ذلك خصوصا من خلال استخدام اللون الأسود.

ولم يكن اللون لأسود على مدى قرون يلبس كثيرا، فالصباغ في الماضي لم يكن يصمد طويلا ويتحول سريعا إلى اللون الرمادي أو البني.

لكن مع غزو الإسبان للقارة الأميركية اكتشفوا في القرن الحادي عشر شجرة البقم. ويسمح خشب هذه الشجرة التي كانت منتشرة في ما صار يعرف بالمكسيك، بالتوصل إلى صباغ أسود كثيف ودائم.

واعتمد ملك إسبانيا فيليب الثاني (1527–1598) الذي كان على رأس قوة أوروبية عظمى، سريعا اللون الأسود في لباسه وانتشرت هذه الموضة عبر القارة برمتها.

وكتبت أماليا ديسكالسو، الخبيرة في تاريخ الموضة في كتيب المعرض، تقول إن أذواق سلالة هابسبورغ التي كان ينتمي إليها فيليب الثاني "كانت مرجعا لنظيراتها الأوروبية تماما مثل ملابسه السوداء الصارمة التي استحالت رمزا للأناقة المطلقة".

وتدريجيا تلاشى ربط اللون الأسود بإسبانيا لكن ربطها بالأناقة ظل متواصلا. والدليل على ذلك "الفستان الأسود القصير" من تصميم كوكو شانيل في العشرينات إضافة إلى تصاميم الإسبانيين الراحلين كريستوبال بالنسياغا وماريانو فورتوني.

واستحدثت إسبانيا في القرن السادس عشر إلى جانب الأسود ما يعرف بـ"التنورة المقببة" التي توضع تحت الفستان لإعطائه نطاقا أكبر. وقد لاقى هذا التصميم كذلك نجاحا كبيرا في أوروبا.

ويضاف إلى ذلك "غواردا إينفانته" أو القفص، وهو كناية عن تنورة توضع تحت الملابس وتتسم بأرداف واسعة.

وأوضح مارينا "كان يقال إن هذا التصميم يخفي الحمل".

ويتجلى تأثير هذا التصميم الأخير في الملابس المخملية على شكل جرس للمصمم المعاصر خوانخو أوليفا الواردة في المعرض.

وأثر اثنان من أكبر التقاليد الإسبانية على الأزياء الراقية أيضا وهما الفلامنكو ومصارعة الثيران، فثمة سترة من تصميم دار "جيفانشي" مصنوعة من المخمل الأسود المطرز بالأحمر مستوحاة من ملابس مصارعي الثيران.

وعلى فستان أسود من تصميم "لانفان" مع ثنيات كثيرة ودوائر سكرية اللون، يبرز تأثير ملابس الفلامنكو في هذا التصميم.

وأشار مارينا إلى أنه "غالبا ما يقال إنه على الصعيد العالمي تأثر المصممون الأجانب بكل ما هو إسباني وهم يفتخرون بذلك أكثر منا". لكنه أضاف أن الوضع يتغير الآن مع عودة رموز موروثة من التقاليد والديانة. فقد اختار بالومو سباين، إلباس بيونسه في يوليو 2017 في أول جلسة تصوير مع طفليها التوأم معطفا مطبعا بزهور فاقعة الألوان ووشاح عروس أزرق لازوردي على امتداد الجسم.

واستوحى المصمم الإسباني الشاب ليانذرو كانو من حكم فيليب الثالث في ملابسه التي تأتي على شكل تنانير رقص الباليه، كما مع ليدي غاغا العام 2016. ويستوحي مانيه من جهته من تقاليد منطقة إيسترامادورا الريفية في غرب إسبانيا.

وأكدت مستشارة الموضة مارتا بلاندو أن الوسط "يشهد يقظة في حين كان كل شيء إسباني حتى فترة قصيرة يذكر بفرانكو".

وأضافت أن المستهلكين الإسبان عادوا ليشعروا بـ"الفخر" حيال بلدهم. فنجاحات إسبانيا الكثيرة في مجال فن الطبخ مع فيران إدريا والرياضة مع رافاييل نادال ومنتخب كرة القدم وصناعة الألبسة مع "زارا"، تسهّل هذا الشعور برأيها.

الفئران مسؤولة عن اختفاء ألف لتر من الخمور في الهند

❑ **أوتار براديش (الهند)** - حمّلت الشرطة الهندية السبت، فئرانا مسؤولية اختفاء ألف لتر من الخمور ضُبطت مؤخرا خلال عملية أمنية شمالي البلاد.

ونقلت صحيفة "هندوستان تايمز" المحلية عن أبهيناندان سينغ، قائد شرطة مدينة باريلي التابعة لولاية أوتار براديش (شمال الهند) قوله إن "الخمور اختفت من مستودع تابع لقسمنا". وكانت الخمور قد تم تخزينها في أوعية بلاستيكية ضخمة بمستودع تابع لقسم الشرطة، بعد ضبطها بمعامل غير مرخصة.

وتابع المسؤول الأمني "على الأغلب أن الفئران شربتها بسبب عدم توافر مياه في المستودع". ولفت إلى أنه "سيتم فتح تحقيق لمعرفة ما إذا كانت الخمور قد شربتها الفئران أم أن شيئا آخر حدث".

وأضاف ساخرا "سنلقي القبض على عصابة الفئران، لنضمن عدم وقوع شيء مثل هذا في المستقبل".

وحسب تقارير محلية تقوم السلطات الهندية في الغالب بإعدام أي كميات من الخمور التي يتم إنتاجها في أماكن غير مرخصة، بسبب وقوع الكثير من حالات التسمم مؤخرا جراء استهلاك خمور مغشوشة.

وكانت السلطات في أوتار براديش أوقفت في العام 2017، 30 عملية سرية لصنع الخمور المحلية وصادرت 1100 لتر من الخمور غير القانونية، وفقا لوكالة "بريس تراست أوف إنديا".

أنجلينا جولي مرشحة لرئاسة الولايات المتحدة

❑ **لوس أنجلس** - ألمحت نجمة هوليوود أنجلينا جولي إلى إمكانية ترشحها لرئاسة الولايات المتحدة، والانتقال إلى مجال السياسة في المستقبل.

وقالت الممثلة الأميركية الحائزة على جائزة أوسكار، لجاستين ويب مقدم برنامج "تودايّ"، في مقابلة مع هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي"، "لو كنت سألتني قبل 20 عاما، لضحكت.. أنا دائما أقول أنا سأذهب أينما كان الناس بحاجة إلي، ولست أدري إن كنت ملائمة في مجال السياسة.. لكنني أيضا أمزح متسائلة هل مازال لدي ما قد يفاجئ الناس".

وأشارت أنجلينا جولي، التي تشغل حاليا منصب سفيرة النوايا الحسنة للأمم المتحدة، إلى أن الفكرة خطرت لها قبل 20 سنة مضت، ورفضتها، مضيفة "إنني قادرة على العمل مع الحكومات ومع الجيوش، ويمكنني المساهمة في إنجاز الكثير من العمل". وتابعت أنها "في الوقت الحالي" ستظل مسالمة.

وعندما سألها ويب إن كان هذا يعني أنها قد تكون من بين الـ30 أو الـ40 الذين سيخوضون الترشح عن الحزب الديمقراطي لانتخابات الرئاسة، لم تستبعد الفكرة، بل ردت قائلة "شكرا لك".

شركة بريد بريطانية تعتذر عن خطأ فادح في ذكرى إنزال نورماندي

❑ **لندن** - قدمت شركة رويال ميل البريطانية للخدمات البريدية اعتذارا بعد أن أشار مؤرخون إلى أن تصميما لطابع بريد كانت تعتزم إصداره في ذكرى إنزال نورماندي، أو ما يعرف بـ"اليوم-دي" (وهو انتصار الحلفاء عند غزو نورماندي شمال فرنسا في عملية أوفرلورد خلال الحرب العالمية الثانية)، هو في الحقيقة صورة لقوات أميركية تتجه إلى شاطئ يبعد آلاف الأميال قبل الإنزال بأسابيع.

وكان الطابع، وهو واحد من 11 طابعا بريديا لإحياء الذكرى الخامسة والسبعين لإنزال قوات الحلفاء في يونيو من عام 1944، جزءا من برنامج خاص لعام 2019 لاستعراض "أفضل ما هو بريطاني".

وقالت رويال ميل قبل الكشف عن هذا الخطأ "سيكون إصدار طوابع البريد إحياء في الموعد لذكرى جميع من شاركوا وسيستخدم صورا من اليوم نفسه".

لكن بعد عرض الطابع على صفحة الشركة الرسمية على موقع تويتر، لاحظ مؤرخون وغيرهم أنه يظهر في الحقيقة القوات الأميركية وهي تخوض الماء قبالة سواحل غينيا الجديدة الهولندية، التي أصبحت الآن إندونيسيا، في مايو من عام 1944 قادمة من سفينة إنزال لم تستخدم في اليوم-دي.

وكتبت الشركة الجمعة على تويتر "نعتذر بشدة عن عرضنا لطوابع 2019 الخاصة التي شملت تصميما اقترن بالخطأ بإنزال القوات في اليوم-دي".

وأضافت "لم يُطبع تصميم الطابع. نود أن نطمئن عملاءنا بأن هذه الصورة لن تكون ضمن المجموعة النهائية".

تحريف للتاريخ

صباح العرب

عدلي صادق

في صناعة اليأس

❑ تُعد مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل (1888-1956) التي نُشرت في ثلاثة أجزاء؛ إحدى أهم الشهادات على حقائق الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مصر، قبل تأسيس الجمهورية. فالرجل كاتب وأديب، تسلّم رئاسة مجلس الشيوخ وهو ممن صاغوا دستور 1923 وشغل مناصب وزارية منها التعليم والشؤون الاجتماعية، وحاز علاقة شخصية بملك البلاد الأخير وأبيه من قبله، وهو صاحب الكتاب الشهير "حياة محمد" الذي طُبعت منه نحو عشرة ملايين نسخة منذ الثلاثينات!

يحزن المرء بأثر رجعي على أحوال مصر قبل تأسيس الجمهورية، ويعجب كيف استطاع تحالف الأصوليين مع شرائح اجتماعية – اقتصادية مستغلة، أن يزرع في أذهان الناشئة من الأجيال الجديدة، الفكرة التي تزعم أن مصر كانت شبيهة إنكلترا قبل تأسيس النظام الجمهوري، وأن ما عندها من فائض الذهب والثروة كان يُعد بالأطنان، ليس له تصريف بعد رغد العيش!

الأصوليون والطفيليون، استغلوا أن الشباب لا يقرأون، فاعتمدوا على صورة لشارع يقطنه متمصرون وأجانب، أو على مسلسل تلفزيوني عن العهد الملكي، تكتب له السيناريو أخصائية أمراض نسائية، أتاح لها النظام الجمهوري أن تتعلم الطب مجاناً. وبهذه الخدع البصرية، راحت أذهان الكثير من الشباب، إلى مشاهد السينما القديمة من إخراج توغو مزراحي وتمثيل استيفان روستي ونجيب الريحاني أو ليلى مراد، وإلى اللقطات من داخل "ستوديو مصر" في الجيزة، يظنونها مشاهد من حياة المصريين!

في مذكرات السياسي المخضرم، هناك مئات اللقطات والوقائع الدالة على الحرمان والتحكم الأجنبي في مصير البلاد والعباد. يصف الرجل كوزير للمعارف ـ مثلا ـ كيف اصطدم في اليوم الأول من عمله كوزير للمعارف، بعجز الدولة عن تلبية المتطلب الدستوري بالتوسع الأفقي في التعليم، ووصف حال المدارس القليلة المكتظة التي تسكنها الحشرات. طلب من وزير المالية اعتمادات مالية لبناء بعض المدارس، فأفاده الأخير بعد البحث، أن المتاح لا يزيد مليما عن سبعين ألف جنيه. ولما رضي بهم، هجم عليه موظفو الوزارة يريدون زيادة رواتبهم، لتغطية معيشتهم، لكن التي حسمت الأمر الطبيبة الإنكليزية المسؤولة عن التفتيش الصحي في الوزارة، إذ طلبت المبلغ وقدمت صورة عن أطفال في المحافظات يذهبون إلى المدارس الإلزامية حُفاة وشبه عراة وجائعين لا يستطيعون التركيز، ويمكن أن يساعد المبلغ، المدارس القليلة الموجودة، على تقديم لقمة غذاء للتلميذ لكي يستوعب درسه. وعندما سمع الوزير هذا الكلام، خلع من الوزارة كلها!

مئات اللقطات، عن العجز والحرمان والمهانة، قبل النظام الجمهوري الذي أنشأ أربعة آلاف مدرسة، في السنوات الخمس الأولى من ظهوره.

تُصنع الأوهام لدفع الشباب إلى اليأس وتشكيكهم في جدوى الاستقلال الوطني، وفي الإرث الكفاحي لشعوبهم؛ لكي يختزلوا التاريخ في جُمل قصيرة بلهاء، تضرب الحاضر والمستقبل، بكلام عن ماضٍ كاذب!